التنبيهات السنية

على

الهفوات العقدية

في

بعض الكتب العلمية



قامت بطباعته وإخراجه

دار إيلاف الدولية للنشر والتوزيع

المركز الرئيسي : الكويت ــ الجهراء ــ مجمع كاظمة التجاري

هاتف : ٤٥٥٧٥٥٩ فاكس : ٤٥٥٧٥٥٨

ص .ب : ١٥١٣ الرمز البريدي : 01017 الجهراء

فرع حولي : شارع الحسن البصري ، ق ٣٧ قسيمة ١٠ ، محل رقم ٣

تلفاكس : ٢٦٤١٧٩٧

التنبيهات السنية

على

الهفوات العقدية

في

بعض الكتب العلمية

بقلم

د. محمد بن عبد الرحمن الخميس



الطبعة الأولى

١٤١٨هـ / ١٩٩٧م

الناشر

دار إيلاف الدولية للنشر والتوزيع

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ١٠٢﴾ (آل عمران: ١٠٢).

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ١﴾ (النساء: ١).

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ٧٠ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ٧١﴾ (الأحزاب: ٧٠-٧١).

أما بعد:

فإن هذا الكتاب هو مجموع لبعض كتب متفرقة أخرجت بعضها، والبعض الآخر تحت الطبع، وموضوعها هو التنبيه على بعض الهفوات العقدية في بعض الكتب العلمية، وقد أسميت هذا الكتاب (التنبيهات السنية على الهفوات العقدية في بعض الكتب العلمية) وقسمته إلى الأبواب الآتية:

الباب الأول:

(الهفوات العقدية في بعض كتب التفسير)، وفيه أربعة فصول:

١ - التعقبات على تفسير الجلالين.

٢ - التأويلات في كتاب فتح القدير.

٣ - التأويلات في تفسير النسفي.

٤ - التعقبات على كتاب كلمات القرآن تفسير وبيان (لمخلوف)

الباب الثاني:

(الهفوات العقدية في بعض كتب علوم القرآن)، وفيه فصلان:

١ - تأويلات الراغب في (المفردات).

٢ - أخطاء الزرقاني في مناهل العرفان.

الباب الثالث:

(الهفوات العقدية في بعض كتب السنة النبوية والسيرة)، وفيه فصلان:

١ - التعقبات على كتاب بذل المجهود في حل ألفاظ أبي داود.

٢ - الهفوات في كتاب المواهب اللدنية.

الباب الرابع:

(الأخطاء العقدية في بعض كتب علم الكلام)، وفيه أربعة فصول:

١ - بيان مخالفة الكوثري لاعتقاد السلف.

٢ - الأخطاء في كتاب تحفة المريد شرح جوهرة التوحيد.

٣ - نقض قول من تبع الفلاسفة في دعواهم أن الله لا داخل العالم ولا خارجه.

٤ - المنخل لغربلة خرافات ابن الحاج في المدخل.

هذا والله أسأل أن ينفع بهذا الكتاب كل من قرأه، وأن يجعله في ميزان حسناتي.

إنه ولي ذلك والقادر عليه، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

بقلم

د. محمد بن عبدالرحمن الخميس

الباب الأول:

الهفوات العقدية في بعض كتب التفسير

وفيه أربعة فصول:

الفصل الأول:

التعقبات على تفسير الجلالين

الفصل الثاني:

التأويلات في كتاب فتح القدير

الفصل الثالث:

التأويلات في تفسير النسفي.

الفصل الرابع:

التأويلات في كتاب كلمات القرآن
تفسير وبيان (لمخلوف)

الفصل الأول:

التعقبات على تفسير الجلالين

مُقَدِّمَةُ الطَّبْعَةِ الثَّانِيَةِ

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ (آل عمران: ١٠٢).

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ (النساء: ١).

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ (الأحزاب: ٧٠-٧١).

أما بعد:

فقد سبق لي طبع هذا الكتاب ثم وقفت بعد ذلك على طبعة لتفسير الجلالين من سورة غافر إلى سورة الناس، ووجدت فيه تعليقات مفيدة جداً للشيخ / عبد الرزاق عفيفي رحمه الله تعالى، هذه التعليقات متعلقة بالصفات وهو المبحث الأول في كتابي، وكنت قد انتهجت في كتابي نهجاً يتضمن عدم تكرار الكلام على الصفة الواحدة، أو على الخطأ الواحد، فإن بعض الصفات قد تكرر في أكثر من موضوع، فإذا تكرر الخطأ فلا داعي لتكرار التعليق عليه في كل مرة، غير أن بعض الإخوان كانوا يتساءلون عن السبب في عدم تكرار التعليق في كل موضع من مواضع الخطأ.

فلما وقفت على تعليقات الشيخ عبد الرزاق المذكورة، وجدتها عظيمة الفائدة، كثيرة النفع، فأحببت أن أضيفها إلى مقدمة الكتاب زيادة في الفائدة، وهي كالآتي:

صفة العلو:

١- «العلي» قال السيوطي: بخلقه، قال الشيخ عفيفي: «فيه دليل على علو الله على خلقه بذاته حقيقة، لأن التنزيل إنما يكون من أعلى إلى أسفل، والأصل الحقيقة حتى يثبت دليل من السمع والعقل يصرف النص عن ذلك، ولا دليل منهما أو من أحدهما»[١].

٢- «الكبير» قال السيوطي: العظيم، قال العفيفي: «العلي على خلقه مطلقاً ذاتاً ومنزلة، وفي ذلك رد على الجهمية إذ يبعد أن تتوارد النصوص على إثبات أمر في أصول الدين، والمراد خلافه من غير دليل يرشد إلى ذلك اعتماداً على ما أودعه الله عباده العقول[٢].

٣- «تنزيل الكتاب» قال السيوطي: القرآن، قال العفيفي: «دل ذلك على علو الله على خلقه مطلقاً وقدراً انظر أول غافر»[٣].

٤- «أءمنتم من في السماء» قال السيوطي: سلطانه وقدرته، قال العفيفي: اتبع الشارح - في تأويل الآية - الجهمية الذين نفوا عُلُوَّ الله بذاته على خلقه والصواب أن السماء بمعنى العلو، والمعنى: أءمنتم الله الذي في العلو أو في معنى على، والتقدير: أأمنتم لله الذي على السماء»[٤].

٥- «تنزيل من رب العالمين»، قال العفيفي: «فيه إثبات علو الله بذاته على خلقه حقيقة» - انظر أول سورة فاطر -.

---

(١) تفسير الجلالين: /٧. غافر.
(٢) تفسير الجلالين: ٩/ . غافر.
(٣) تفسير الجلالين: /٥٩. الجاثية.
(٤) تفسير الجلالين: /١٩٧. تبارك (الملك).

٦- «نزل عليك القرآن تنزيلا»، قال العفيفي: «فيه دليل علو الله على خلقه مطلقا قدراً وقهرا وذاتاً، ومن نفى شيئاً من ذلك فقد تنقص وخالف مقتفي العقل والنقل».. انظر أول غافر[1].

٧- «إنا أنزلناه» قال السيوطي: القرآن: وقال العفيفي: «الإنزال كالتنزيل لايكون إلا من أعلى إلى أسفل والأصل الحقيقة، فتدل الآية على علو الله على خلقه بذاته حقيقة كما تشعر بعلوه منزلة وقدراً»[2].

صفة الكلام:

١- «كذلك حقت كلمة ربك»، قال العفيفي: «في الآية إثبات الكلام الكوني الخبري لله فهو تعالى تكلم بوعيد الكافرين بقول يسمع، وقدر عليهم العذاب تقديرا لا مرد له، وجزاهم به جزاءً عادلاً لاظلم فيه ولاجور»[3].

٢- «وما تحمل من أنثى ولاتضع إلا بعلمه ويوم يناديهم»، قال العفيفي: «فيه إثبات صفة الكلام لله، وقد تقدم نظيره في أول سورة غافر»[4].

٣- «إذ ناداه به»، قال العفيفي: «في الآية إثبات صفة الكلام لله حقيقة على ما يليق به فهو تعالى نادى من موسى حقيقة بكلام سمعه من موسى في حينه، خلافا للجهمية»[5].

---

(١) تفسير الجلالين: / ٢٣٩. الإنسان.

(٢) تفسير الجلالين: / ٢٩٧.

(٣) تفسير الجلالين: / ٨.

(٤) تفسير الجلالين: / ٢٨.

(٥) تفسير الجلالين: / ٢٥٢.

ذو العرش خالقه تأويل باطل:

«ذو العرش»، قال السيوطي: خالقه: قال العفيفي: الإضافة تشعر بأمر اختص به العرش دون العالم، والخلق ليس مما اختص به - فإن الله خالق كل شيء، فوجب أن يحمل ذلك على أنه صاحبه المستوى عليه بنفسه حقيقة استواء يليق بجلالة[1].

«فأطلع إلى إله موسى وإني لأظنه كاذبا»، قال العفيفي: هذا يشعر بأن موسى أخبر فرعون بأن ربه الذي في السماء أرسله، وأن فرعون فهم ذلك منه، وإلا ما طلب في السماء، فمن آمن بعلو الله على خلقه بذاته فهو تابع لموسى، ومن أنكره فهو فرعون[2].

«إن الذين يلحدون في آياتنا»، قال السيوطي: القرآن بالتكذيب، قال العفيفي: كما يكون الإلحاد في الآيات بالتكذيب بها ومعارضتها بالشبه، بانعاته يكون بتحريفها وتفسيرها لغير ما قصد منها كما فعل الجهمية[3].

صفة الرحمة: تأويل الرحمة بالنعمة باطل.

«وإنا إذا أذقنا الإنسان منا رحمة»، قال السيوطي: نعمة كالغنى والصحة، قال العفيفي: «إذاقة الناس الرحمة بمعنى النعمة يستلزم عقلاً إثبات الرحمة صفة الله قائمة بذاته إذ النعمة أثر من أثارها»[4].

«فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فسيدخلهم ربهم في رحمته»، قال السيوطي: في جنته، قال العفيفي: قد يظن من فسر الرحمة بالجنة فرارا من

---

(١) تفسير الجلالين: /٩.
(٢) تفسير الجلالين: /٦٣.
(٣) تفسير الجلالين: /٢٧.
(٤) تفسير الجلالين: /٣٩.

إثبات صفة الرحمة لله حقيقة أن ذلك ينفعه، وليس كذلك فإن الجنة أثر من آثار الرحمة التي هي صفة لله قائمة بذاته، والتي هي مصدر الخير، وأصل التراحم بين العالم وإثبات الأثر يستلزم عقلاً إثبات أصله ومصدره[1].

خلق القرآن باطل:

«إنا جعلناه، قال السيوطي: أوجدنا الكتب»، قال العفيفي: تفسير الجعل بالايجاد مبني على القول بخلق القرآن لفظ فقط أو لفظا ومعنى، ذلك خطأ، والصواب: تفسير الجعل بالانزال أو الوصف والتسمية أو البيان، كما ذكر ابن جرير، والبغوي، وغيرهما، ممن يذهب مذهب السلف من المفسرين[2].

الكرسي قيل أنه هو العرش والصواب أنه غيره:

«سبحان رب السموات والأرض رب العرش»، قال السيوطي: الكرسي: قال العفيفي: «التحديد بالألف مروي عن ابن عباس وروى عن عبد الله بن عمر، وابن العاص أنه يجيبهم بعد أربعين عاما»، وهذا يحتاج إلى إثبات.

قال العفيفي: وقيل العرش: غير الكرسي، وهو الصواب، وفيه أحاديث منها قوله صلى الله عليه وسلم: «ما الكرسي في العرش إلا كحلقة ملقاة في فلاة»[3]، قال ابن مسعود: بين السماء السابعة وبين الكرسي خمسمائة عام وبين الكرسي إلى الماء خمسمائة عام، والعرش على الماء، والله فوق العرش[4].

---

(١) تفسير الجلالين: / ٦٤.

(٢) تفسير الجلالين: / ٤١.

(٣) صحيح لغيره. أخرجه ابن أبي شيبة في (كتاب العرش) وابن حبان في صحيحه. وانظر الصحيحة (١٠٩).

(٤) تفسير الجلالين: / ٥.

«ثم استوى على العرش» قال السيوطي: الكرسي استواء يليق به، قال العفيفي: «الصواب أن العرش غير الكرسي للحديث الوارد في ذلك وفي الآية دليل على علو الله على العرش حقيقة، إذ الأصل الحقيقة حتى يكون دليل من العقل أو النقل ولا دليل منهما ولا من أحدهما وأيضاً كلمة: ثم تمنع من التأويل بالاستيلاء[1].

صفة الغضب:

«وغضب الله عليهم» قال العفيفي: في ذلك اثبات غضب الله على المنافقين والمشركين صفة لله على الحقيقة.[2]

صفة اليدين اللازم والملزوم:

«يد الله فوق أيديهم» قال العفيفي: تفسير قوله تعالى (يد الله فوق أيديهم) ذكر من اطلاع الله واستحكامها بتنزيل بيعتهم للرسول».

لمنزلة بيعتهم لله تفسير باللازم، وهو لا يمنع من اثبات اليد حقيقة لله على ما يليق به كما لا يمنع من اثبات الأيدي للمبايعين لرسول الله ﷺ على ما يليق بهم.[3]

صفة المحبة:

١- «إن الله يحب المقسطين» قال العفيفي: فيه إثبات المحبة صفة لله على الحقيقة خلافا للجهمية ومن ذهب مذهبهم، فهو تعالى يحب

---

(١) تفسير الجلالين: /١٤٥.

(٢) تفسير الجلالين: /٨٦.

(٣) تفسير الجلالين: /٨٧.

المقسطين. حقيقة حبا يليق بجلاله، ويتبع ذلك موالاتهم واثباتهم بالحسنى». [1]

٢- (إن الله يحب): قال السيوطي: ينصر ويكرم.

قال العفيفي:

هذا من تأويل الجهمية نفاة الصفات الذين يحلون أن يتصف الله بالمحبة حقيقة، فيؤلون ما ورد من ذلك بالنصر والإحسان، أما السلف فيثبتون المحبة صفة لله حقيقة على ما يليق بجلاله ويتبع ذلك النصر ونحوه من آثارها، بل ثبوت لازمها الذي فسروها به يدل عقلاً على ثبوتها. فلزمهم ما فروا منه. [2]

«والسماء بنيناها بأيد» أي بقوة. وهذا صحيح.

قال السيوطي: «بأيد» بقوة وقال العفيفي: ليس هذا بتأويل لأن الأيد هنا مصدر آدَ وليس بجمع ليد فليس في ذلك متمسك لمن يقول إن السلف تناقضوا في آيات الصفات تأويلا وتركا للتأويل[3].

«فسبح باسم» قال السيوطي؛ (با) زائدة.

وقال العفيفي: الصواب أن اسم ليس بزائد فإنه كما يجب أن ينزه الله عما لا يليق به يجب أن تنزه أسماؤه التي سمى بها نفسه وسماه بها رسوله عليه الصلاة والسلام عن جحدها أو تحريفها عن مواضعها.

«والذي بيده» قال السيوطي في تصرفه (الملك) قال السيوطي: السلطان.

---

(١) تفسير الجلالين: / ٩٦.

(٢) تفسير الجلالين: / ١٧١.

(٣) تفسير الجلالين: / ١٠٩.

قال العفيفي: ها هنا أمران:

١- الأول عموم قدرة الله تعالى، وكمال تصرفه في الكون بيسر وسهولة، وهذا مستفاد من كون الملك بيد الله.

٢- والثاني: ثبوت صفة ذات الله تعالى: وهذا مستفاد من إضافة اليد إليه تعالى فكل من الأمرين حق مستفاد من الآية، أما ما ذكر الشارح: فمع ما فيه تأويل اليد فرار من إثباتها صفة لله، فيه اضطراب في العبادة، إذ تقدير الكلام على تغيره تنزه عن صفات المحدثين الذي في تصرفه السلطان والقدرة، ولا شك أن السلطان والقدرة ليسا في التصرف[١].

صفة الرضا:

١ - «لقد رضي الله عن المؤمنين» قال العفيفي: فيه إثبات رضا الله على المؤمنين صفة له تعالى على الحقيقة خلافا للجهمية، ويتبع ذلك إثباته تعالى، الطائعين بالنصر والحفظ والنعيم ونحو ذلك.

٢ - «رضي الله عنهم ورضوا عنه» قال السيوطي بطاعته:

وقال العفيفي[٢]:

دل ذلك على إثبات الرضا صفة الله تعالى على الحقيقة إثباتا بلا تشبيه ولا تمثيل.[٣]

---

(١) تفسير الجلالين: / ١٩٥.

(٢) تفسير الجلالين: / ٨٩.

(٣) تفسير الجلالين: / ٣٠٠.

مقدمة الطبعة الأولى

إن الحمدلله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾[1].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾[2].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾[3].

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار، ثم أما بعد.

فإن تفسير الجلالين لجلال الدين المحلى وجلال الدين السيوطي من التفاسير المختصرة السهلة الشائعة بين الناس، وكثير قراؤه، وهو تفسير جيد نافع، غير أن فيه بعض زلات رأيت من واجبي التنبيه عليها، وتحذير الناس

---

(١) سورة آل عمران آية (١٠٢).

(٢) سورة النساء آية (١).

(٣) سورة الأحزاب آية (٧٠ - ٧١).

منها ليكونوا على بينة من أمر دينهم، حتى لا يقعوا في مزالق تؤثر على سلامة عقيدتهم.

والمفسران لهما جلالتهما وقدرهما، وأنا أقل من أن أحكم على هذين الإمامين الجليلين بشيء ولكن هي أمور وجب علي شرعا التنبيه عليها والتحذير منها، ولا أحاكم شخصهما، إنما أناقش أموراً قرراها في كتابهما.

ولا أدعي أنني وفيتُ الأمر والموضوع حقه، ولكن هذه أمثلة لهنات وزلات وقعت في الكتاب (ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا).

والله من وراء القصد وهو حسبنا ونعم الوكيل وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

المبحث الأول

التأويلات في بعض آيات الصفات

جاء في تفسير الجلالين تأويل بعض آيات الصفات على خلاف الظاهر وعلى خلاف منهج السلف في ذلك، ومن الأمثلة على ذلك:

المثال الأول: صفحة (٢) من سورة الفاتحة آية رقم (٣) قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣﴾.

قال المؤلف: «أي ذي الرحمة وهي إرادة الخير لأهله».

* قلت: الرحمن والرحيم اسمان دالان على صفة الرحمة فالله تعالى ذو الرحمة الواسعة العظيمة التي وسعت كل شيء وعمت كل حي، والمؤلف رحمه الله اقتصر على لازم الرحمة ولم يثبت صفة الرحمة والقواعد المتفق عليها بين سلف الأمة وأئمتها الإيمان بأسماء الله وصفاته وأحكام الصفات وإمرار آيات الصفات على ظاهرها دون تأويلها بما يخرجها عن حقيقة معناها، فإن التأويل بما ينفي حقيقة معنى الصفة هو تعطيل لها، بل ونوع من الإلحاد فيها.

المثال الثاني: الآية (١٥٨) من سورة الأنعام في قوله تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ﴾.

قال المؤلف: «أو يأتي ربك: أي علاماته الدالة على الساعة».

* قلت: هذا صرف اللفظ عن ظاهره وتعطيل لصفة الاتيان. قال ابن جرير في تفسير هذه الآية:

«يقول جل ثناؤه: هل ينتظر هؤلاء العادلون بربهم الأوثان والأصنام

إلا أن تأتيهم الملائكة بالموت فتقبض أرواحهم أو أن يأتيهم ربك يا محمد بين خلقه في موقف القيامة»[1].

المثال الثالث: الآية (٣٢، ٧٦، ١٤٦، ١٣٤) من سورة آل عمران والآية (٩٤) من سورة المائدة والآية (١٠٩) من سورة التوبة عطل صفة المحبة وصرفها عن ظاهرها إلى الثواب فقال: «يحببكم الله» وإذا أحبكم يثبكم لأن المثوبة من آثار المحبة لا عين المحبة.

المثال الرابع: الآية (٣٢، ٥٨، ١٤٠) من سورة آل عمران عطل صفة الغضب وصرفها عن ظاهرها إلى العقاب فقال في قوله تعالى: **﴿لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾**: بمعنى أنه يعاقبهم. والصواب: أن المعاقبة من نتائج عدم محبة الله لهم وليست معنى عدم المحبة.

المثال الخامس: الآية (٥٤) من سورة الأعراف قوله تعالى: **﴿مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ﴾**.

قال المؤلف: «بقدرته».

* قلت: هذا صرف للفظ عن ظاهره وتعطيل لصفة الأمر. قال ابن جرير في تفسير هذه الآية: «يقول تعالى ذكره: **﴿إن ربكم الله الذي خلق السموات والأرض والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين﴾** كل ذلك بأمره أمرهن فأطعن أمره، فلله الخلق كله والأمر الذي لا يخالف ولا يرد أمره دون ما سواه من الأشياء كلها ودون ما عبده المشركون من الآلهة والأوثان التي لا تضر ولا تنفع ولا تأمر»[2]. فالصواب أن يقال: إن المراد من الأمر كلام الله وحكمه وهو غير

---

(١) تفسير ابن جرير (٥/ ٤٠٤).

(٢) تفسير ابن جرير (٥/ ٥١٤).

القدرة. **المثال السادس**: صفحة (١٨٦) من سورة الأعراف الآية رقم (٥٤) وطه الآية (٥) ص (٣٧٤) والسجدة الآية رقم (٤) ص (٥٠١) في قوله تعالى: ﴿ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ﴾.

قال المؤلف: «استواء يليق به».

* **قلت**: إن كان المؤلف يريد به تفويض كيفية الاستواء فهذا حق لأن الكيفية على الوجه اللائق به سبحانه ولا يعلم ذلك إلا الله كما قال الإمام مالك: «.. والكيف مجهول».

وأما إن كان يريد بذلك أن معنى الاستواء نفسه مجهول فهذا فرار من إثبات صفة العلو والاستواء على العرش لأن السلف ذكروا أن الاستواء معناه العلو والارتفاع والاستقرار[1].

وعبارة المؤلف تحتمل كلا المعنيين، ولكن السلف لم يجهلوا معنى الاستواء كما قال الإمام مالك وغيره: «الاستواء معلوم».

المثال السابع: ص ١٣٨ من سورة المائدة الآية رقم (٦٤) في قوله تعالى: ﴿بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ﴾.

قال المؤلف: «مبالغة في الوصف بالجود وثنى اليد لإفادة الكثرة إذ غاية ما يبذله السخي من ماله أن يعطي بيديه».

* **قلت**: لا شك أن الله سبحانه بسط فضله وجوده وإحسانه الديني والدنيوي على عباده لكن المصنف أغفل إثبات صفة اليدين بل صرفها عن حقيقتها وقد أجمع أهل السنة على القول بما تظافرت على إثباته النصوص من

---

(١) انظر صحيح البخاري (٤/٣٨٧).

الكتاب والسنة من أن لله يدين حقيقة على الكيفية اللائقة بجلاله والتثنية هنا إثبات لأنهما يدان وليست يدا واحدة وفي الحديث: «وكلتا يدي ربنا يمين»[1] فيجب المصير إلى هذا القول وتفسير الآية على هذا المعنى، نعم الجود من لوازم إثبات صفة اليد لكن لا يجوز تفسير الآية باللازم وترك الملزوم فيجب إثبات صفة اليدين ولوازمها ومن القواعد المقررة عند أهل السنة الإيمان بأسماء الله وصفاته وأحكام الصفات.

المثال الثامن: صفحة (٢٤٨) من سورة يونس الآية رقم (٢١) في قوله تعالى) ﴿قُلِ ٱللَّهُ أَسۡرَعُ مَكۡرًاۚ﴾.

قال المؤلف: «مجازاة».

* **قلت**: حقيقة المكر تدبير محكم في إنزال العقوبة بالمجرم من حيث لا يشعر فهو أخص من مطلق الجزاء، لأنه عقوبة على وجه مخصوص، فالمكر من الله تعالى تدبير لرد كيد الكائد في نحره، وإنزال العقوبة به من حيث لا يشعر، ومجازاته بجنس عمله ونيته. هذا ومما يجب أن يعلم أن لا يطلق على الله تعالى اسم ماكر استنباطا من الآية، حاشا لله، بل يقال إن الله تعالى هو خير الماكرين، والله يمكر بالكافرين والمنافقين، فيقف القائل عند حدود ما ورد في النصوص مقيدا، حتى لا يكون موهما بنسبة شيء إلى الله تعالى مما لم يرده.

* * *

المثال التاسع: صفحة (٢٩٧) من سورة الرعد الآية رقم (٩) في قوله تعالى: ﴿ٱلۡكَبِيرُ ٱلۡمُتَعَالِ ۝٩﴾.

---

(١) رواه مسلم ٣/١٤٥٨ عن عبدالله بن عمرو.

قال المصنف: «المتعال على خلقه بالقهر».

* قلت: هذا أحد معاني العلو الثابتة له سبحانه، فهو المتعالي على كل شيء بقهره، والمتعالي عن كل سوء ونقص بكماله والمتعالي بذاته فوق خلقه. فالله تعالى هو المتعال بأنواع ثلاثة، فلا يجوز قصر «المتعال» على نوع واحد؛ لأن هذا في باب قصر العام على بعض أفراده وهو لا يجوز.

* * *

المثال العاشر: صفحة (٤٧٩) من سورة القصص الآية رقم (٨٨) في قوله تعالى: ﴿إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾.

قال المؤلف: «إلا إياه».

* قلت: غفر الله للمؤلف فقد حرف معنى صفة الوجه إلى معنى الذات وهذا تعطيل واضح فالوجه من صفات الله الحقيقية التي تليق به سبحانه ولا شك أن الوجه يستلزم الذات فقوله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾معناه كل شيء فانٍ إلا تعالى أي يبقى وجهه تبارك وتعالى ولا يهلك فيلزم بقاء وجهه بقاء ذاته فلا يجوز إرادة اللازم ونفي الملزوم. بل يجب إثبات الملزوم مع إثبات اللازم.

* * *

المثال الحادي عشر: صفحة (٢٥٧) من سورة فاطر الآية رقم (١) في قوله تعالى: ﴿**إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه**﴾.

قال المؤلف: «إليه يصعد الكلم الطيب قال يعلمه وهو لا إله إلا الله والعمل الصالح يرفعه يقبله».

* قلت: غفر الله للمؤلف فليس معنى إليه يصعد الكلم الطيب العلم، فهذا صرف للنص عن معناه اللغوي في لغة العرب إلى غير معناه وتعطيل لصفة علو الله، بل معناه: أن الكلم الطيب من قراءة وتسبيح وتحميد وتهليل وكل كلام حسن طيب يرفع إلى الله ويعرض عليه ويثني الله على صاحبه بين الملأ الأعلى و(العمل الصالح) من أعمال القلوب وأعمال الجوارح (يرفعه) الله تعالى إليه أيضا كالكلم الطيب.

وقيل: العمل الصالح يرفع الكلم الطيب وذلك لأن العمل الصالح برهان على صحة وصدق الكلم الطيب الصادر من العبد على لسانه فيكون رفع الكلم الطيب بحسب أعمال العبد الصالحة فهي التي ترفع كلمة الطيب فإذا لم يكن له عمل صالح لم يرفع له قول إلى الله تعالى[1]، وهذه الآية من أعظم حجج أهل السنة على أهل البدع في باب إثبات صفة العلو لله تعالى.

المثال الثاني عشر: صفحة (٥٠٠) من سورة لقمان الآية رقم (٢٧) في قوله تعالى: ﴿مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ﴾.

قال المؤلف: «المعبر بها عن معلوماته».

* قلت: تفسير كلمات الله بمعلوماته خلاف ما فهمه السلف منها، وهو بالتالي عدول عن ظاهرة اللفظ، بل كلماته سبحانه هي كلامه وقوله الذي لا نفاد له، لأنه سبحانه أول بلا ابتداء، آخر بلا انتهاء، لم يزل ولا يزال يتكلم بما شاء إذا شاء فلا حدَّ لكلامه سبحانه فيما مضى ولا فيما يُستقبل، وما يقدر من الأشجار والبحور لتكتب به كلمات الله لا نفاد له، وتفسير كلمات الله بمقدوراته، أو معلوماته تفسير لها بأمور وجودية

---

(١) انظر تفسير كلام المنان (٦/٣٠٣ - ٣٠٤).

وعدمية، وكلمات الله تعالى الموصوفة بأنها لا تنفد هي أمور وجودية، وكأن هذا التفسيرالذي ذكره المؤلف يرجع إلى مذهب الأشاعرة والماتريدية الحنفية في كلام الله، وهو أن كلام الله معنى واحد نفسي قديم فلا يوصف بالتعدد، وهو خلاف مذهب أهل السنة والجماعة، فإنهم يقولون: لم يزل الله ولا يزال يتكلم بما شاء إذا شاء وكيف شاء وكلماته لا نهاية لها، فيوصف تعالى بأنه قال ويقول ونادى وينادي كما أخبر بذلك تعالى عن نفسه وهو أعلم بنفسه وبغيره، وأصدق قيلا وأحسن حديثا من خلقه[1].

المثال الثالث عشر: صفحة (٥٠٢) من سورة السجدة الآية رقم (٥) في قوله تعالى: ﴿يَعْرُجُ إِلَيْهِ﴾.

قال المؤلف: «يرجع الأمر والتدبير».

***قلت**: يستفاد من مجموع أقوال السلف في تفسير هذه الآية أن العروج بمعنى الصعود فالملائكة تنزل بأمر الله تعالى إلى الأرض ثم ترجع صاعدة بأمر ربها، وهذا إثبات لعلو الله تعالى على خلقه قال ابن جرير الطبري: «وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب قول من قال: معناه يدبر الأمر من السماء إلى الأرض ثم يعرج إليه في يوم كان مقدار ذلك اليوم في عروج ذلك الأمر إليه ونزوله إلى الأرض ألف سنة مما تعدون من أيامكم خمس مئة في النزول وخمس مئة في الصعود، لأن ذلك أظهر معاني وأشبهها بظاهر التنزيل»[2]

* * *

(١) انظر تفسير ابن جرير (٢١/ ٨٠-٨٢) والبغوي (٦/ ٢٩٢) والسعدي (٦/ ١٦٦).

(٢) تفسير ابن جرير (١/ ٢٣٢).

المثال الرابع عشر: صفحة (٥٥٦) من سورة ص الآية رقم (٧٥) في قوله تعالى: ﴿قَالَ يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ﴾.

قال المؤلف: «أي توليت خلقه وهذا تشريف لآدم فإن كل مخلوق لم يتولَّ الله خلقه».

* **قلت**: غفر الله للمؤلف فليس تولي خلق آدم معنى اليدين في لغة العرب بل هو تعطيل لصفة اليدين وعدول عن ظاهر اللفظ وخلاف لما فهمه السلف قال ابن جرير الطبري: «أي شيء منعك من السجود ﴿لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ﴾ يقول: لخلق يدي يخبر تعالى ذكره بذلك أنه خلق آدم بيديه كما حدثنا ابن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة قال أخبرني عبيد المكتب قال: سمعت مجاهدا يحدث عن ابن عمر قال: خلق الله أربعة بيده: العرش، وعدن، والقلم، وآدم ثم قال لكل شيء كن فكان»[1].

ولولا أن المقصود بذلك خلقه آدم باليدين حقيقة، ما كان هناك مزية لآدم ولا تشريف له، فإن كل المخلوقات تولى الله خلقها، وخلقها بقدرته فمن هنا يبطل تأويل من فسر اليدين بالقدرة أو بتولي الخلق أو غير ذلك.

* * *

المثال الخامس عشر: سورة الزخرف الآية رقم (٣) في قوله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا﴾.

قال المؤلف: «أوجدنا الكتاب بلغة العرب».

---

(١) تفسير ابن جرير (١٠/٦٠٦) ط دار الكتب العلمية.

* قلت: هذا كلام باطل؛ لأن المؤلف تأثر بالزمخشري وهو جهمي معتزلي، فقد قال (. . . أي خلقناه)[1].

والصواب ما قاله ابن جرير وابن كثير:

(أي أنزلنا. . .)[2].

* * *

المثال السادس عشر: صفحة (٥٦٦) من سورة الزمر الآية رقم (٦٧) في قوله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَٱلسَّمَـٰوَٰتُ مَطْوِيَّـٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾﴾.

قال المؤلف: «ما عرفوه حق معرفته، أو ما عظموه حق عظمته حين أشركوا به غيره ﴿**والأرض جميعا**﴾ حال: أي السبع (قبضته) أي مقبوضة له: أي في ملكه وتصرفه ﴿**يوم القيامة والسموات مطويات**﴾ مجموعات (بيمينه) بقدرته. . .».

* قلت: غفر الله للمؤلف فليست القدرة هي معنى اليمين فهذا عدول عن ظاهر اللفظ وخلاف لما فهمه السلف قال ابن جرير: «يقول تعالى ذكره:

وما عظم الله حق عظمته، هؤلاء المشركون بالله الذين يدعونك إلى عبادة الأوثان. . . وقوله: ﴿**والأرض جميعا قبضته يوم القيامة**﴾ يقول تعالى ذكره: والأرض كلها قبضته في يوم القيامة ﴿**والسموات**﴾ كلها

---

(١) الكشاف ٣/ ٤٧٧.

(٢) جامع البيان ٢٥/ ٤٧ وتفسير ابن كثير ٤/ ١٢٢.

﴿مطويات بيمينه﴾ فالخبر عن الأرض متناه عند قوله: يوم القيامة، والأرض مرفوعة بقوله **﴿قبضته﴾ ثم استأنف الخبر عن السموات فقال ﴿والسموات مطويات بيمينه﴾** وهي مرفوعة بمطويات ورُوي عن ابن عباس وجماعة غيره أنهم يقولون: الأرض والسموات جميعا في يمينه يوم القيامة. . . وقال آخرون بل السموات في يمينه والأرضون في شماله»[١].

وقد أخرج البخاري في صحيحه (١٣/ ٣٩٣) ح٧١٢ في الايمان باب قول الله تعالى لما خلقت بيدي من حديث نافع عن ابن عمر مرفوعا: «إن الله يقبض يوم القيامة الأرض وتكون السموات بيمينه ثم يقول أنا الملك» فهذا الحديث حجة في تفسير الآية بأن السموات يطويها ربنا بيمينه ويقبض الأرض ويهزهن ويقول أنا الملك، وإذ قد ثبت النص فلا مجال لتأويل.

* * *

المثال السابع عشر: صفحة (٦٦٠) من سورة الحديد الآية رقم (٣) في قوله تعالى: ﴿وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ﴾.

قال المؤلف: «الظاهر: بالأدلة عليه، والباطن عن إدراك الحواس».

* قلت: الأولى تفسير هذين الاسمين (الظاهر والباطن) بما فسرهما النبي ﷺ في قوله: «وأنت الظاهر فليس فوقك شيء، وأنت الباطن فليس دونك شيء»[٢] فيكون اسمه الظاهر دالا على علوه على خلقه واسمه الباطن دالا على إحاطة علمه وأنه لا يحجبه شيء فسمعه واسع لجميع الأصوات، وبصره نافذ إلى جميع المخلوقات.

---

(١) انظر تفسير ابن جرير (١١/ ٢٣ - ٢٥).

(٢) رواه مسلم ٤/ ٢٠٨٤

المثال الثامن عشر: سورة الواقعة الآية رقم (٧٤) في قوله تعالى: ﴿فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ۝٧٤﴾.

قال المؤلف: «وقيل: (باسم) زائد».

* قلت: الصواب أن «اسم» غير زائد؛ قال ابن جرير: يقول تعالى ذكره: **﴿فسبح بتسمية ربك العظيم بأسمائه الحسنى﴾**[1].

* * *

المثال التاسع عشر: صفحة (٦٧٨) من سورة الصف الآية رقم (٤) في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ﴾.

قال المؤلف: «إن الله يحب ينصر ويكرم».

* قلت: إن كان المؤلف يقصد أن هذا تفسير للمحبة فهذا تعطيل لها وإن كان يقصد أن هذا من آثار المحبة ومن لوازمها مع إثبات المحبة لله فهذا حق فإن الله إذا أحب عبدا يكرمه وينصره ويجزيه. فله تعالى صفة «المحبة» ولوازمها فنحن نثبت الملزوم مع اللوازم.

* * *

المثال العشرون: صفحة (٦٩٢) من سورة الملك الآية رقم (١) في قوله تعالى: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ﴾.

قال المؤلف: «بيده: في تصرفه».

* قلت: هذا تعطيل لصفة اليد وعدول عن ظاهر اللفظ وخلاف لما

---

(١) جامع البيان ٢٧/ ٢١٤.

فهمه السلف قال ابن جرير: «الذي بيده الملك: بيده مُلك الدنيا والآخرة وسلطانهما نافذ فيهما أمره وقضاؤه»[1].

فلا ينبغي تفسير صفة بأخرى لأن التصرف غير اليد وإن كان لازما لها ومن القواعد المقررة والمتفق عليها بين سلف الأمة وأئمتها الإيمان بأسماء الله وصفاته وأحكام الصفات.

* * *

المثال الحادي والعشرون: صفحة (٦٩٣) من سورة الملك الآية رقم (١٦) في قوله تعالى: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخۡسِفَ بِكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ۝١٦﴾.

قال المؤلف: «من في السماء: سلطانه وقدرته».

* قلت: هذا تعطيل لصفة العلو وعدول عن ظاهر اللفظ وخلاف لما جاءت به رسل الله وأنزلت به الكتب وصرح به رسول الله ﷺ ونطقت به الجارية العاقلة المؤمنة بشهادة رسول الله ﷺ وأطبقت عليه الأمم ولا سيما هذه الأمة قبل ظهور الجهمية من أن الله تعالى في السماء على عرشه فوق عباده قال ابن جرير في تفسير هذه الآية: «من في السماء: وهو الله»[2].

وقال الإمام مالك: «إن الله في السماء وعلمه في كل مكان».

وقال أبو حنيفة: «من أنكر أن الله في السماء فقد كفر».

* * *

---

(١) تفسير ابن جرير (١٢/١٦٩).

(٢) تفسير ابن جرير (١٢/١٦٩).

المثال الثاني والعشرون: صفحة ٦٩٧) من سورة القلم الآية رقم (٤٢) في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾.

قال المؤلف: «هو عبارة عن شدة الأمر يوم القيامة للحساب والجزاء».

* قلت: هذا أحد القولين في تفسير الآية أن المراد بها شدة الهول يوم القيامة، وعليه فليست من آيات الصفات.

والقول الثاني: أن المراد في الآية هنا أن الله يكشف عن ساقه، ويدل على هذا الحديث الثابت في الصحيح أن النبي ﷺ قال:

«يكشف ربنا عن ساقه فيسجد له كل مؤمن ومؤمنة، ويبقى من كان يسجد في الدنيا رئاء وسمعة، فيذهب ليسجد، فيعود ظهره طبقا واحدا»[(١)].

هذا ومما يجب أن يعلم أن الذين فسروا الآية بالتفسير الأول لم ينفوا عن الله تعالى صفة الساق التي ثبتت بها السنة، لكنهم لم يروا أن الآية دالة عليها ولم يعدوها من آيات الصفات، إنما أثبتوا الصفة - صفة الساق - بالسنة ولا منافاة بين القولين، فالله يكشف عن ساقه يوم شدة الهول، وذلك بخلاف المعطلة الذين ينفون صفة الساق، ولا يثبتونها لا بالقرآن ولا بالسنة، بل حملوا الآية والحديث على شدة الأمر.

وهذا وإن كان محتملا في الآية لكنه لا يحتمل في تفسير الحديث، لورود الساق مضافة إلى الضمير العائد على الله تعالى[(٢)].

---

(١) أخرجه البخاري (٨/٦٣٣) ح ٤٩١٩ في التفسير باب (يوم يكشف عن ساق) من حديث عطاء عن أبي سعيد مرفوعا.

(٢) انظر تفسير ابن جرير (١٢/١٩٧) وتفسير ابن كثير (٧/ ٩٠:٩١).

المثال الثالث والعشرون: صفحة (٧٠١) من سورة المعارج الآية رقم (٤) في قوله تعالى: ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ﴾.

قال المؤلف: «إلى مهبط أمره من السماء».

* قلت: الصواب في معنى الآية أن الملائكة والروح - وهو جبريل عليه السلام - تصعد إلى الله تعالى، والهاء ضمير عائد على الله عز وجل، (في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة) قيل هو يوم القيامة، وقيل إن مدة صعودهم يوم مقداره بالنسبة للخلق يساوي خمسين ألف سنة، ولكن المهم أن قوله تعالى؛ (إليه) أي إلى الله تعالى.

* * *

المثال الرابع والعشرون: صفحة (٧٣٤) من سورة البروج الآية رقم (١٤) في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ ﴿١٤﴾﴾.

قال المؤلف: «المتودد إلى أوليائه بالكرامة».

* قلت: فيه نظر، لأن فيه رائحة تأويل لصفة المحبة بالإكرام، والصواب أن يقال: الودود، صيغة مبالغة بمعنى فاعل، أي المحب لمن تاب إليه وأناب.

قال ابن جرير رحمه الله تعالى: «هو ذو المغفرة لمن تاب إليه من ذنوبه وذو المحبة له»(١).

* * *

(١) تفسير ابن جرير (١٢/٥٢٩).

المثال الخامس والعشرون: صفحة (٧٣٤) من سورة البروج الآية رقم (١٦) في قوله تعالى: ﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٦﴾﴾.

قال المؤلف: «لا يعجزه شيء».

* قلت: هو في نفيه للعجز لم يثبت كمال القدرة على فعل ما أراد، ومن أثبت القدرة فقد نفى العجز ضمنا، بخلاف العكس ولكن الآية فيها إثبات لصفة الإرادة، وفيها إثبات لقدرة الله تعالى التي ليس لها منتهى، ولا يعجزه شيء، فما أراده - سبحانه - فعله، لا معقب لحكمه، ولا راد لقضائه.

المثال السادس والعشرون: صفحة (٧٣٦) من سورة الأعلى الآية رقم (١) في قوله تعالى: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ﴿١﴾﴾،

قال المؤلف: «الأعلى: صفة لربك».

* قلت: الأعلى: اسم من أسماء الله يشتمل على إثبات صفة العلو لله تعالى ومعناه الأعلى من كل شيء، فهو أفعل تفضيل دال على علوه تعالى بكل معاني العلو فهو الأعلى قدرا ومنزلة، وهو الأعلى بالقهر والغلبة، وهو الأعلى بذاته فوق كل شيء وفي ذكر اسمه الأعلى في هذا الموقع بيان لموجب استحقاقه للتسبيح وهو التنزيه عن النقائص.

* * *

المثال السابع والعشرون: صفحة (٧٣٩) من سورة الفجر الآية رقم (٢٢) في قوله تعالى: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾﴾.

قال المؤلف: «وجاء ربك: أي أمره».

* قلت: تأويل المجيء بأمر الله باطل وخلاف لظاهر النص وعدول عنه إلى معنى آخر وخلاف لما فهمه السلف من الآية.

قال ابن جرير: «يقول تعالى ذكره: وإذا جاء ربك يا محمد وأملاكه صفوفا صفا بعد صف»[(١)].

فالمجيء صفة من صفات الله على الحقيقة على ما هو لائق بالله بلا معرفة الكيف ومن الدلائل على بطلان تأويل المجيء بالأمر أن الملائكة من أمر الله فلا معنى لمجيء بالأمر أن الملائكة من أمر الله فلا معنى لمجيء الأمر مع تصريح مجيء الملائكة لأنه يكون ذكرا للملائكة بلا فائدة.

* * *

المثال الثامن والعشرون: صفحة (٧٤٦) من سورة العلق الآية رقم (١٥) في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ﴿١٤﴾﴾.

قال المؤلف: «ما صدر منه أي يعلمه فيجازيه عليه».

* قلت: العلم من لوازم الرؤية لكن الرؤية غير العلم.

قال ابن جرير في تفسير هذه الآية: «يقول تعالى ذكره: ألم يعلم أبو جهل إذ ينهي محمداً عن عبادة ربه والصلاة بأن الله يراه فيخاف سطوته وعقابه»[(٢)].

* * *

---

(١) تفسير ابن جرير (١٢/٥٧٦).

(٢) تفسير ابن جرير (١٢/٦٤٨).

المبحث الثاني
قصر العام على بعض أفراده

وذلك أن اللفظ أحيانا قد يصدق على عدة معان ويطلق عليه ويحتملها كلها أو يقصد به مجموعها، فلو قيل بأحدها فقط وطرح الباقي، ولم يلتفت إليه لكان اطراحا لمعان حقه هي جزء من مدلولات اللفظ.

وإليك الأمثلة لذلك:

المثال الأول: صفحة (٥٠) من سورة البقرة الآية رقم (٢٥٥) في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ﴾.

قال المؤلف: «وهو العلي: فوق خلقه بالقهر».

وفي سورة النحل الآية رقم (٥) في قوله تعالى: **﴿يخافون ربهم من فوقهم﴾**.

قال المؤلف: «أي عاليا عليهم بالقهر».

* قلت: هذا قصر لمعنى (العلي) على أحد مدلولاته وإغفال لباقي ما يدل عليه هذا الاسم من المعاني فإنه سبحانه العلي بذاته العلي على جميع مخلوقاته وهو العلي بعظمة صفاته وهو العلي الذي قهر المخلوقات ودانت له الموجودات وخضعت له الكائنات فلابد من إثبات كل هذه المعاني لله.

* * *

المثال الثاني: سورة النحل الآية رقم (٣٦) في قوله تعالى: ﴿وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾.

قال المؤلف: «الطاغوت: الأوثان».

* قلت: الطاغوت كل ما عبد من دون الله وهو راضٍ بالعبادة.

المثال الثالث: صفحة (٦٧٤) من سورة الأعراف الآية رقم (١٨١) في قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾. والآية (٢٤) من سورة الحشر في قوله تعالى: ﴿لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾.

قال المؤلف: «التسعة والتسعون الوارد بها الحديث».

* قلت: التسعة والتسعون من أسماء الله الحسنى لأن أسماء الله غير محصورة بعدد لقوله ﷺ: «أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو أنزلته في كتابك أو علمته أحدا من خلقك أو استأثرت به في علم الغيب عندك»[1].

المثال الرابع: صفحة (٧٤٧) من سورة البينة الآية رقم (١) في قوله تعالى: ﴿مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ﴾.

قال المؤلف: «أي عبدة الأصنام».

* قلت: فيه نظر فالمشركون عباد الصالحين والقبور والجن والأشجار والأحجار فإن غالب المشركين كانوا عبدة للصالحين، وهذا كان مبدأ الشرك في الأرض، الغلو في الصالحين ثم اتخاذ أصنام بأشكالهم ثم عبادتها من دون الله.

---

(١) أخرجه أحمد (١/٣٩١) والطبراني في الكبير (١٠/٢٠٩، ٢١٠) وابن حبان كما في موارد الظمان ص (٥٨٩) كلهم من طريق عبد الرحمن بن عبدالله.
عن عبد الله بن مسعود وأورده الهيثمي في المجمع (١٠/١٣٦) قال «رجاله أحمد وأبي يعلي رجال الصحيح غير أبي سلمة الجهني وقد وثقه ابن حبان».

المثال الخامس: صفحة (٧٥٣) من سورة الكافرون الآية رقم (٢) في قوله تعالى: ﴿لَآ أَعۡبُدُ مَا تَعۡبُدُونَ ۝٢﴾.

قال المؤلف: «ما تعبدون: من الأصنام».

* قلت: قوله ما تعبدون أي الأصنام فيه نظر لأنه قصر للعام على بعض أفراده والصواب المعبودات سواء كانت من الصالحين أو القبور أو الأشجار أو الأصنام، يقول: قل لهم: لا أعبد ما تعبدون من دون الله من هذه المعبودات الباطلة التي اتخذتموها من دونه، ولا أصرف لها شيئا من العبادة، بل إنما أتوجه بعبادتي وأصرفها لله تعالى الذي يستحقها وأبيتم أن تعبدوه.

* * *

المبحث الثالث

في الإسرائيليات

يقصد بالاسرائيليات هنا ما ورد من حكايات نقلا عن أهل الكتاب من بني إسرائيل، ومعلوم لنا جميعا أنه فيما يتعلق بالاسرائيليات فهي ثلاثة أنواع:

١- ما ورد شرعنا بتصديقه فهذا نصدقه ونحكيه.

٢- ما ورد شرعنا بتكذيبه فهذا لا نشتغل به ولا نحكيه إلا على سبيل بيان بطلانه. ونكذبه ولا نصدقه.

٣- ما لم يرد شرعنا بتصديق له ولا تكذيب، فهذا وإن حكي فإنه لا يصدق ولا يكذب لأنه يحتمل الأمرين.

وإليك أمثلة النوع الثاني:

المثال الأول: صفحة (١٨) من سورة البقرة الآية رقم (١٠٢) في قوله تعالى: ﴿وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَـٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَـٰنَ﴾.

قال المؤلف: «من السحر وكانت دفنته تحت كرسيه لما نزع ملكه».

* قلت: حادثة نزع ملك سليمان لا يمكن التصديق بصحتها إذ هي من حكايات بني إسرائل التي لا تتناسب مع مناصب الأنبياء وحفظ الله لهم.

* * *

المثال الثاني: صفحة (٢٨٧) من سورة يوسف الآية رقم (٥٢) في قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ﴾.

قال المؤلف: «ذلك: أي طلب البراءة (يعلم) العزيز (أني لم أخنه في أهله».

* قلت: ظاهر كلام المؤلف أن يوسف هو القائل ذلك والأولى حمل الآية على أن امرأة العزيز هي التي قالت ذلك فيكون معنى الآية: أي ليعلم زوجي أني لم أرتكب الفاحشة، وإنما راودت يوسف مراودة فامتنع مني وما أبرىء نفسي فإن نفوس البشر ضعيفة تغلب عليها الشهوات إلا ما رحم ربي وهذا ما رجح شيخ الإسلام وابن القيم وابن كثير وقاله الماوردي في تفسيره وهو أليق بسياق الآية[١].

المثال الثالث: صفحة (٣٦٢) من سورة الكهف الآية رقم (٨٣) في قوله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَن ذِي الْقَرْنَيْنِ﴾.

قال المؤلف: «اسمه الاسكندر».

* قلت: ليس هناك دليل صحيح حتى يقطع المؤلف على أن اسم ذي القرنين الاسكندر فلقد قال تعالى بعد ذلك: ﴿سَأَتْلُوا عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا﴾ أي سأتلوا عليكم من أحواله، ما يتذكر فيه، ويكون عبرة وأما ما سوى ذلك من أحواله فلم يتله عليهم[٢] ثم الظاهر أن الاسكندر هو المقدوني وهو كان من المشركين، فلم يكن من المسلمين فضلا عن أن يكون من أولياء الله.

* * *

(١) انظر التفسير القيم ص ٣١٦ وتفسير ابن كثير ٢/٤٨١. وانظر النكت والعيون للماوردي.

(٢) انظر تفسير السعدي ٥/٧٣.

المثال الرابع: صفحة (٣٦٣) من سورة الكهف الآية رقم (٩٣) في قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ...﴾.

قال المؤلف: «بفتح السين وضمها هنا وبعدهما، جبلان بمنقطع بلاد الترك..».

* قلت: قطعه بأن السد في بلاد الترك لا دليل عليه.

* * *

المثال الخامس: صفحة (٥٥٣) من سورة ص الآية رقم (٣٤) في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَٰنَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ﴿٣٤﴾﴾.

قال المؤلف: «ثم أناب: رجع سليمان إلى ملكه بعد أيام بأن وصل إلى الخاتم فلبسه وجلس على كرسيه».

* قلت: فيه نظر لأن هذا تنقيص لهذا النبي واستيلاء على أزواجه المطهرات، وهذا مما يعلم بطلانه إذ أن أعراض الأنبياء محفوظة من الله تعالى.

تنبيه: مما يلتحق بالاسرائيليات قول المؤلف في سورة الأحزاب الآية ٣٧ في تفسير قوله تعالى: ﴿وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ﴾.

قال: «مظهره من محبتها وأن لو فارقها زيد تزوجتها».

* قلت: هذا كلام فيه نظر من وجهين:

الأول: أنه غير ثابت رواية.

والثاني: أنه غير صحيح دراية لأنه مخالف لمنصب النبوة والصواب ما قاله ابن كثير عن الحسن بن علي رضي الله عنهما: «أن الله تعالى أعلم نبيه

أنها ستكون من أزواجه قبل أن يتزوج فلما أتاه زيد رضي الله عنه ليشكوها إليه قال: (اتق الله وأمسك عليك زوجك). فقال الله تعالى: قد أخبرتك أني مزوجكها (وتخفي في نفسك ماالله مبديه).

قال ابن كثير: «وهكذا روى عن السدي أنه قال نحو ذلك».

الحاصل: أن أسطورة عشق النبي ﷺ ومحبته إياها وكتمان ذلك كلها باطلة لا أصل لها.

وإنما الصواب: أن الله تعالى قد أخبر نبيه أنه سيزوجه إياها فكتم النبي ﷺ ذلك مخافة أن يقول الناس كيف يتزوح محمد زوجة ابنه (المتبنى).

* * *

الخاتمة

الحمدلله الذي بنعمته تتم الصالحات أما بعد:

فهذه أمثلة على هنات وزلات وقعت في تفسير الجلالين، ولم أقصد الاستيعاب وإنما أردت التنبيه على أمثله، وأرجوا أن يستفيد منها القارىء وقد نبهت أن هذه التنبيهات ليس معناها انتقاص الكتاب أو هضمه حقه، وإنما هو واجب شرعي يمليه عليّ الدين، ولعل هذا يكون فاتحة خير، لعمل تنبيهات على تفاسير أخرى مما هو شائع بين أيدي الناس، وذلك على حسب الوسع واتساع الوقت إن شاء الله تعالى، والله أسأل القبول، وأن يجعل هذا العمل في ميزان حسناتنا.

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وآخر دعوانا أن الحمدلله رب العالمين.

كتبه أبو عبدالرحمن:
محمد بن عبدالرحمن الخميس
١/ ٤/ ١٤١٤هـ

الفصل الثاني

في بيان التأويلات
في كتاب فتح القدير للشوكاني

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمدلله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾[1].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾[2].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾[3].

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار.

ثم أما بعد: فإن كتاب التفسير الشهير الموسوم بـ «فتح القدير الجامع بين فني الدراية والرواية من علم التفسير» للإمام العلامة محمد بن علي الشوكاني، رحمه الله تعالى، هو من التفاسير الشائعة بين طلبة العلم، وهو من الكتب المقرر دراستها في بعض الكليات الشرعية، وهو تفسير عظيم

---

(١) سورة آل عمران الآية (١٠٢).

(٢) سورة النساء الآية (١).

(٣) سورة الأحزاب الآيتان (٧٠: ٧١).

النفع من كل ناحية، ويجد فيه الباحث وطالب العلم بغيته ومراده في الغالب، حيث إن مؤلفه رحمه الله مجتهدا اجتهاداً مطلقاً، متبحر في كافة العلوم الشرعية، ويعتبر تفسيره هذا أصلاً من أصول التفسير، ومرجعا مهما من مراجعه، فهو تفسير جامع بين التفسير بالدراية والتفسير بالرواية، وقد أحسن حيث فسر بالدراية، وتوسع حيث فسر بالرواية وأما عن طريقته في تفسيره هذا فقد بينها حيث قال: (. . ووطنت النفس على سلوك طريقة هي بالقبول عند الفحول حقيقة. . إلى أن قال: إن غالب المفسرين تفرقوا فريقين، وسلكوا طريقين: الفريق الأول اقتصروا في تفاسيرهم على مجرد الرواية وقنعوا برفع هذه الراية، والفريق الآخر جردوا أنظارهم إلى ما تقتضيه اللغة العربية، وما تفيده العلوم الآلية، ولم يرفعوا إلى الرواية رأسا، وإن جاءوا بها لم يصححوا لها أساساً، وكلا الفريقين قد أصاب، وأطال وأطاب. . إلى أن قال: وبهذا تعرف أنه لابد من الجمع بين الأمرين، وعدم الاقتصاد على مسلك أحد الفريقين، وهذا هو المقصد الذي وطنت النفس عليه، والمسلك الذي عزمت على سلوكه إن شاء الله مع تعرضي للترجيح بين التفاسير المتعارضة مهما أمكن واتضح لي وجهه، وأخذي من بيان المعنى العربي والإعرابي والبياني بأوفر نصيب، والحرص على إيراد ما ثبت من التفسير عن رسول الله ﷺ، أو الصحابة أو التابعين أو تابعيهم أو الأئمة المعتبرين. . . إلى أن قال: فهذا التفسير وإن كبر حجمه، فقد كثر علمه، وتوفر من التحقيق قسمه وأصاب غرض الحق سهمه، واشتمل على ما في كتب التفسير من بدائع الفوائد، مع زوائد فوائد، وقواعد شوادر، فإن أحببت أن تعتبر صحة هذا، فهذه كتب التفسير على ظهر البسيطة، انظر تفاسير المعتمدين على الرواية، ثم ارجع إلى تفاسير المعتمدين على الدراية، ثم انظر في هذا التفسير بعد النظرين، فعند ذلك يسفر الصبح لذي عينين، ويتبين لك أن هذا الكتاب هو لب اللباب وعجب العجاب، وذخيرة الطلاب، ونهاية مأرب الألباب، وقد سميته (فتح القدير الجامع بين فني

الرواية والدراية من علم التفسير مستمدا من الله سبحانه بلوغ الغاية. . .)[١] فهذا يوضح منهجه في تفسيره وهو الجمع بين الرواية وبين التفسير من خلال اللغة وغيرها بعيداً عن الرأي المنهي عنه وهذا مما يرفع ويُعلي من قيمة هذا التفسير في بابه، غير أن الكمال لله وحده سبحانه فقد وقع في هذا التفسير زلات وهنات، فيما يتعلق بتأويل بعض الصفات، وقد رأيت من واجبي تنبيه طلبة العلم إليها، ذلك مع العلم بأن المؤلف في كتبه الأخرى، قد أثنى على طريقة السلف في الإِثبات، وحصر الحق فيها، وانتقد المتأولين في الصفات، فمن ذلك قوله في كتاب (التحف في مذاهب السلف): «ومن جملة الصفات التي أمرها السلف على ظاهرها، وأجروها على ما جاء به القرآن والسنة، من دون تكلف ولا تأويل، صفة الاستواء التي ذكرها السائل، يقولون نحن نثبت ما أثبت الله لنفسه من استوائه على عرشه على هيئة لا يعلمها إلا هو، وكيفية لايدري بها سواه ولا نكلف أنفسنا غير هذا، فليس كمثله شيء، لا في ذاته ولا في صفاته. . إلى أن قال: والحق ما عرفناه من مذهب السلف الصالح، فالاستواء على العرش والكون في تلك الجهة قد صرح به القرآن الكريم في مواطن يكثر حصرها، ويطول نشرها، كذلك صرح به رسول الله ﷺ في غير حديث، بل هذا مما يجده كل فرد من أفراد الناس في نفسه، ويحسه في فطرته، وتجذبه إليه طبيعته كما تراه في كل من استغاث بالله سبحانه والتجأ إليه، ووجه أدعيته إلى جنابه الرفيع، فإنه يشير عند ذلك بكفه، ويرمي إلى السماء بطرفه»[٢].

فانظر إلى قوله: «والحق ما عرفناه من مذهب السلف الصالح» فإنه صريح في أن ذلك مذهبه، وما يوضح كذلك أن مذهبه مذهب السلف رده

---

(١) فتح القدير (١/ ١٢ - ١٣).

(٢) التحف في مذهب السلف ص ١١:١٢.

على المعتزلة والمعطلة وغيرهم ممن نفى رؤية الله تعالى في الآخرة، فقد ندد بهم وأنكر عليهم إنكاراً شديداً، وحكم بجهلهم وضلالهم في نفيهم لرؤية الله في الآخرة، وذلك في تفسيره للآية (٥٥) من سورة البقرة عند قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً﴾ وانظر كلامه بتمامه (١/ ٨٧) حيث قال: «وقد تواترت الأحاديث الصحيحة بأن العباد يرون ربهم في الآخرة، وهي قطعية الدلالة لاينبغي لمنصف أن يتمسك في مقابلها بتلك القواعد الكلامية التي جاء بها قدماء المعتزلة، وزعموا أن العقل قد حكم بها، دعوى مبنية على شفا جرف هار، وقواعد لايغتر بها إلا من لم يحظ من العلم النافع بنصيب، وسيأتيك إن شاء الله بيان ما تمسكوا من الأدلة القرآنية، وكلها خارج عن موضع النزاع بعيد من موضع الحجة، وليس هذا موضع المقال في هذه المسألة»أ.هـ. وقد كان رحمه الله رجاعاً إلى الحق، بعيدا عن التعصب، فهذا اجتهاده، وإن كان قد أخطأ في مواضع، لكنه أحسن في أكثر منها، ومادام رجاعاً إلى الحق فإننا نقول رحمه الله ثم رحمه الله على ما أسداه للإسلام من خدمات جليلة في مجال نشر العلم الشرعي في الفروع المختلفة، وقضائه بين الناس بما أنزل الله تعالى، وعلى صدعه بالحق لايخاف في الله لومة لائم.

ومما وقع للشوكاني رحمه الله في تفسيره من الزلات، نقله لبعض الروايات الموضوعة والضعيفة التي وضعها طوائف من الشيعة والإمامية لنصرة ما ذهبوا إليه من الباطل المخالف لما كان عليه السلف فإن السلف يثبتون الإمامة لأبي بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي رضي الله عنهم جميعا، وهذا من أصول اعتقادهم التي نقلوها في كتبهم، وادعت الشيعة أن عليا أحق بالإمامة وأن الشيخين قد اغتصباها منه، وأن الأمة كتمت نصوصاً تدل على أحقيته فيها، وقد أورد الشوكاني بعض هذه الروايات الموضوعة دون أن

ينبه عليها، ونحن نربأ به أن يكون مورداً لنصوص تؤيد ما ذهبت إليه الشيعة، عمداً منه، ولكن فاته التنبيه عليها، فمنها:

١- ذكر ضمن ما ذكر من الروايات عن ابن عباس أنه قال: تصدق علي بخاتم وهو راكع، فقال النبي ﷺ للسائل: من أعطاك هذا الخاتم؟ قال: ذلك الراكع. فأنزل الله فيه: ﴿**إنما وليكم الله ورسوله**..﴾ومر الشوكاني على هذه الرواية الموضوعة باتفاق أهل العلم فلم ينبه عليها، وانظر (فتح القدير ٢/ ٥٣).

٢- أورد الشوكاني كذلك (جزء ٢/ ٦٠) في تفسير الآية (٦٧) من سورة المائدة قال: «وأخرج ابن أبي حاتم وابن مردويه وابن عساكر عن أبي سعيد الخدري قال: نزلت هذه الآية ﴿**يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك**...﴾على رسول الله ﷺ يوم غد يرخم في علي بن أبي طالب رضي الله عنه». ولم يبين الشوكاني عدم صحة هذه الرواية بل أوردها كما رأيت وسكت عنها.

٣- وأورد كذلك (٢/ ٦٠) عقب كلامه السابق رواية أخرى قال فيها: «وأخرج ابن مردويه عن ابن مسعود قال: كنا نقرأ على عهد رسول الله ﷺ (يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك إن عليا مولى المؤمنين وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس» وسكت عن هذه الرواية كذلك.

وكان الواجب عليه بيان حالها، لأن مسائل الإمامة هي من مسائل الأصول عند السلف وليس معنى ذلك أنها من مسائل أصول الإيمان كأركانه الستة مثلا، ولكن لما ضلت طوائف الشيعة والرافضة في هذا الباب، وأكثروا فيه الابتداع نص العلماء فيما نصوا عليه من مسائل الأصول التي أوردوها في كتب العقيدة، نصوا على هذه المسألة حتى يغلقوا باب

الفتنة والابتداع في الدين، والافتراء على أصحاب رسول الله ﷺ، ورميهم بما هم برءآء منه.

هذا ومما يؤسف له وجود تيارين بين بعض الناشئة ممن لم ينالوا قسطا وافراً من إلمام بالعلوم الشرعية، وبما هو لائق بأهل العلم العاملين من الإكرام والإنصاف.

لذا تراهم يعرضون عن قراءة كتاب «فتح الباري بشرح صحيح البخاري» لابن حجر العسقلاني، وكتاب «شرح صحيح مسلم» للنووي، وكتاب «فتح القدير» للشوكاني.

وهذا منهم جهل وقصور، فإنهم لم يبلغوا عشر معشار هؤلاء في العلم والورع والصدع بالحق والزهد في الدنيا والعمل بعلمهم.

وما وقع في كتبهم من[1] هنات فإنه قطرات قليلة في بحر صوابهم وحسناتهم الزاخرة، فلله درهم على ما قدموا للإسلام، وعلى ما نشروا من علومه، وعلى ما نوروه من قلوب مظلمة بفضل الله تعالى.

ونصيحتي لهؤلاء أن يقفوا من هؤلاء العلماء موقف المنصف، وأن يكفوا ألسنتهم عن الوقوع فيهم، فإنهم بين يدي الله تعالى، ويخشى على من وقع فيهم أن يكون ممن يأكلون لحوم العلماء المسمومة وأن ينظروا إلى ما ألقى الله لهم ولكتبهم من القبول والذيوع بين الناس، فهذه والله بشارة خير لهم.

وإن كان ثمة أخطاء فيجب أن تبين ولكن بهدوء وأدب، ودون الخوض فيهم والتنقص لهم.

---

(١) لأن أي شخص من أهل السنة صاحب منهج صحيح إذا زل في أمر جزئي لا يكون حكمه حكم مبتدع فاسد المنهج، لأن خطأ الأول خطأ جزئي، وخطأ الثاني خطأ منهج مذهبي. ولذلك ترى شيخ الاسلام لاينهي عن قراءة شرح صحيح مسلم للنووي ونحوه كما هو في كتب الفلاسفة والمعتزلة والماتريدية والأشعرية لأن شرح صحيح مسلم للنووي على طريقة المحدثين ونهجهم على ما وقع فيه من هنات وزلات.

وأخيرا فلا أدعي أني قد وفيت الموضوع حقه، وما أتيت به فإنه أمثلة لهنات وزلات وقع فيها المؤلف رحمه الله في تفسيره «فتح القدير» وصدق الله: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَـٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾﴾(النساء/ ٨٢) والله من وراء القصد وهو حسبنا ونعم الوكيل.

جاء في تفسير فتح القدير للإمام المجتهد العلامة قاضي قضاة القطر اليماني محمد بن علي بن محمد الشوكاني تأويل بعض الصفات على خلاف الظاهر وعلى خلاف منهج السلف وإليك الأمثلة على ذلك:

المثال الأول:

الآية رقم (٧) من سورة الفاتحة: قول الله تعالى: ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾.

فقد فسر الغضب[١] بلازم معناها وأثرها وهي العقوبة وهذا تعطيل لهذه الصفة قال الإمام أبو حنيفة: «ولايقال غضبه عقوبته ورضاه ثوابه»[٢]، وقال ابن جرير في تفسير هذه الآية: «من أجل أن من أنعم الله عليه فهداه لدينه الحق، فقد سلم من غضب ربه...»[٣].

المثال الثاني:

الآية (١٥) من سورة البقرة قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾.

---

(١) فتح القدير (١/ ٢٤).

(٢) الفقه الأبسط ص (٥٦).

(٣) تفسير ابن جرير (١/ ١٠٨).

فقد ذكر الشوكاني أن استهزاء الله بالمنافقين على سبيل المشاكلة[1] وهذا فيه نظر فإن معنى ذلك نفي صفة استهزاء الله بالمنافقين والصواب إثبات صفة استهزاء الله بالمنافقين على ما يليق به وليس كاستهزاء المخلوقين ومن صور هذا الاستهزاء أنه تعالى يمد الظالم في ظلمه وفي طغيانه ويعطيه مايشتهيه حتى يرد بعد ذلك إلى ما لم يكن يحتسب من الله، ومن استهزائه بهم أن زين لهم ما كانوا فيه من الشقاء والأحوال الخبيثة حتى ظنوا أنهم مع المؤمنين لما لم يسلط الله المؤمنين عليهم ومن استهزائه بهم يوم القيامة أن يعطيهم مع المؤمنين نوراً ظاهراً فإذا مشى المؤمنون بنورهم طفىء نور المنافقين وبقوا في الظلمة بعد النور متحيرين[2].

المثال الثالث:

الآية (٢٧) من سورة البقرة قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا﴾.

حمل الشوكاني الحياء على المشاكلة[3] والتمثيل وهذا فيه نظر، فقد قال ابن جرير: «إن الله جل ذكره أخبر عباده أنه لا يستحي أن يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها عقيب أمثال قد تقدمت في هذه السورة ضربها للمنافقين دون الأمثال التي ضربها في سائر السور وغيرها»[4].

وقال البغوي: «أي: لايترك ولا يمنعه الحياء أن يضرب مثلا

(١) فتح القدير (١/ ٤٤).
(٢) انظر تفسير ابن جرير (١/ ١٦٥ - ١٦٦).
(٣) فتح القدير (١/ ٥٦).
(٤) تفسير ابن جرير (١/ ٢١٤).

يذكر»[1]. وقال ابن القيم: «وهذا جواب اعتراض اعترض به الكفار على القرآن وقالوا: إن الرب أعظم من أن يذكر الذباب والعنكبوت.. فأجبهم الله تعالى إن الله لايستحي أن يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها فإن ضرب الأمثال بالبعوضة فما فوقها إذا تضمن تحقيق الحق وإيضاحه وإبطال الباطل وإضحاده كان من أحسن الأشياء والحسن لا يستحيا منه فهذا جواب الاعتراض»[2]. وقال السعدي: «أي مثل كان - بعوضة فما فوقها - لاشتمال الأمثال على الحكمة وإيضاح الحق والله لايستحي من الحق»[3].

المثال الرابع:

الآية (٣١) من سورة آل عمران قوله تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾.

فسر المؤلف[4] المحبة بالإنعام عليهم وبالغفران وهذا فيه نظر لأنه تفسير للملزوم باللازم، والصواب ما عليه سلف هذه الأمة من إثبات صفة المحبة لله عز وجل على ما يليق بجلالة فالآية تبين أن محبة الله ورضوانه وثوابه لا تنال إلا بتصديق ما جاء به الرسول من الكتاب والسنة وامتثال أمرهما واجتناب نهيهما فمن فعل ذلك أحبه الله وجازاه جزاء المحبين وغفر له ذنوبه وستر عليه عيوبه[5].

---

(١) معالم التنزيل (١/٥٨).

(٢) بدائع الفوائد (٤/١٣٦).

(٣) تفسير السعدي (١/٦٥).

(٤) فتح القدير (١/٣٣٣).

(٥) انظر تفسير ابن سعدي (١/٣٧٤).

فالسلف يثبتون اللازم مع إثبات الملزوم، بخلاف الخلف فإنهم يثبتون اللازم وينفون الملزوم ومن هنا يقعون في تعطيل الصفات وتحريف نصوصها.

المثال الخامس:

الآية (٣٢) من سورة آل عمران قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾﴾.

قال المصنف: «نفي المحبة كناية عن البغض والسخط»[١].

قلت: رحم الله المؤلف فقد ذكر عبارة توهم خلاف المقصود لأن «الكناية» من مصطلحات المجازين المؤولين مع أن هذه الآية ليس فيها كناية.

قال ابن جرير في تفسير هذه الآية: «قل يا محمد لهؤلاء الوفد من نصارى نجران أطيعوا الله والرسول محمداً... فإن تولوا فاستدبروا عما دعوتهم إليه من ذلك وأعرضوا عنه فأعلمهم أن الله لايحبُ من كفر فجحد ما عرف من الحق وأنكر بعد علمه..»[٢]، ولعل مراد المفسر رحمه الله أن الله تعالى إذ لم يحبهم يلزم ذالك أنه يبغضهم ويسخطهم.

المثال السادس:

الآية (١٦٩) من سورة آل عمران قوله تعالى: ﴿بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾﴾.

---

(١) فتح القدير (١/ ٣٣٣).

(٢) تفسير ابن جرير (٣/ ٢٣٣).

فسر المؤلف[1] العندية بالكرامة وهذا فيه نظر لأنه يتضمن إبطال صفة العلو.

* قال ابن جرير: «الذين قتلوا بأحد من أصحاب رسول الله ﷺ (أمواتا) يقول: ولاتحسبنهم يا محمد أمواتا لايحسون شيئا ولايلتذون ولايتنعمون فإنهم أحياء عندي متنعمون في رزقي فرحون مسرورون بما آتيتهم من كرامتي..»[2].

ولفظ (عند ربهم) يقتضي علو درجتهم وقربهم من ربهم[3].

المثال السابع:

الآية (١٥) من سورة المائدة قوله تعالى: ﴿**بل يداه مبسوطتان**﴾.

قال المؤلف: «أي بل هو في غاية ما يكون من الجود وذكر اليدين مع كونهم لم يذكروا إلا اليد الواحد مبالغة في الرد عليهم بإثبات مايدل على غاية السخاء فإن نسبة الجود إلى اليدين أبلغ من نسبته إلى اليد الواحدة وقيل المراد بقوله: (بل يداه مبسوطتان) نعمة الدنيا الظاهرة ونعمتها الباطنة وقيل نعمة المطر والنبات»[4].

* قلت: لاشك أن الله سبحانه بسط فضله وجوده وإحسانه على عباده لكن المصنف رحمه الله تعالى أغفل إثبات صفة اليدين بل صرفها عن حقيقتها وقد أجمع أهل السنة على القول بما تظافرت على إثباته نصوص الكتاب والسنة من أن لله يدين على الكيفية اللائقة بجلالة، والكيف مجهول والتثنية هنا إثبات لأنهما يدان وليست يدا واحدة وفي حديث الشفاعة الكبرى: «يا آدم أما ترى

---

(١) فتح القدير (١/ ٣٩٩).

(٢) تفسير ابن جرير (٣/ ٥١٣).

(٣) تفسير ابن سعدي (٤٥٥١).

(٤) فتح القدير (٢/ ٥٧)، وانظر أيضا (٢/ ٥٧) (٥/ ٤٨).

الناس؟ خلقك الله بيديه وأسجد لك ملائكته» الحديث[1]. فيجب المصير إلى هذا القول وتفسير الآية على هذا المعنى، نعم الجود من لوازم إثبات صفة اليد لكن لايجوز تفسير الآية باللازم وترك الملزوم ومن القواعد المقررة عند أهل السنة الإيمان بأسماء الله وصفاته وأحكام الصفات.

المثال الثامن:

الآية (١٨) من سورة الأنعام قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ﴾.

قال المؤلف: «معنى (فوق عباده) فوقية الاستعلاء بالقهر والغلبة عليهم، لا فوقية المكان كما تقول: السلطان فوق رعيته: أي بالمنزلة والرفعة»[2].

* قلت: لاشك أن الله فوق عباده بالقهر والغلبة عليهم فلا يتصرف منهم متصرف ولا يتحرك متحرك ولا يسكن ساكن إلا بمشيئته سبحانه وتعالى فهو المستحق وحده للخضوع والذل.

ولكن المصنف رحمه الله تعالى نفى علو الله على خلقه وهذا مخالف لما تظافرت على إثباته النصوص من الكتاب والسنة وما عليه سلف الأمة.

قال ابن جرير في تفسير هذه الآية: «والله الظاهر فوق عباده يعني بقوله (القاهر) المذلل المستعبد خلقه العالي عليهم»[3].

---

(١) رواه البخاري في التفسير باب قول الله تعالى: **﴿وعلم آدم الأسماء﴾** ٤/ ١٦٢٤، والرقاق باب صفة الجنة والنار ٥/ ٢٤٠١، والتوحيد باب قول الله تعالى: كما خلقت بيدي وباب كلم الله موسى تكليما ٦/ ٢٧٣٠، من حديث أنس رضي الله عنه.

(٢) فتح القدير (٢/ ١٠٤).

(٣) تفسير ابن جرير (٥/ ١٦١).

المثال التاسع:

الآية (١٥٨) من سورة الانعام قوله تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ...﴾.

قال المؤلف: «(أو يأتي ربك) يا محمد كما اقترحوه بقولهم - (لولا أنزل علينا الملائكة أو نرى ربنا) - وقيل: معناه أو يأتي ربك بإهلاكهم وقيل المعنى: أو يأتي كل آيات ربك بدليل قوله (أو يأتي بعض آيات ربك) وقيل هو من المتشابه الذي لا يعلم تأويله إلا الله وقد جاء في القرآن حذف المضاف كثيراً كقوله - واسأل القرية - وقوله - وأشربوا في قلوبهم العجل - أي حب العجل، وقيل إتيان الله مجيئه يوم القيامة لفصل القضاء بين خلقه كقوله - (وجاء ربك والملك صفا صفا)-»[1].

* قلت: رحم الله المصنف فقد جمع بين التعطيل والتفويض والإِثبات بذكر الأقوال المتضادة المتعارضة التي منها حق ومنها باطل.

فالحق قوله: «يا محمد كما اقترحوه بقولهم - لولا أنزل علينا الملائكة أو نرى ربنا -» وكذا قوله الأخير (وهو إتيان الله لفصل القضاء بين خلقه).

وهذا هو الحق الذي مضى عليه سلف الأمة قال ابن جرير: «يقول جل ثناؤه هؤلاء العادلون بربهم الأوثان والأصنام (إلا أن تأتيهم الملائكة) بالموت فتقبض أرواحهم أو أن يأتيهم ربك يا محمد بين خلقه في موقف القيامة»[2] فالله يأتي لفصل القضاء بين العباد ومجازاة المحسنين والمسيئين.

---

(١) فتح القدير (٢/ ١٨١)، وانظر أيضاً (١/ ٢١٠).

(٢) تفسير ابن جرير (٥/ ٤٠٤).

أما قول المصنف: أو يأتي أمر ربك بإهلاكهم فهذا من تأويل المعطلة قديماً وحديثاً حيث جعلوه على حذف المضاف على سبيل ادعاء المجاز فيه.

وأما قوله: هو من المتشابه الذي لايعلم تأويله إلا الله فهذا فاسد جدا لأن هذا قول ببدعة تفويض المعطلة حيث يزعم كثير من المعطلة أن آيات الصفات من المتشابه الذي لا يصح معناه، وهذا جهل وتجهيل للسلف. فإن أراد أن معنى الإتيان من المتشابه فهذا فيه نظر لأن معناه محكم وليس من المتشابه وإن أراد الكيفية فهذا حق فالكيف مجهول.

فالحاصل أن معاني آيات الصفات من قبيل المحكمات الواضحات وليست من قبيل المتشابهات التي لا يعلم تأويلها إلا الله...

المثال العاشر:

الآية (٩) من سورة الرعد قوله تعالى: ﴿ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ ۝٩﴾.

قال المؤلف: «أي العظيم الذي كان شيء دونه، المتعالي عما يقوله المشركون أو المستعلي على كل شيء بقدرته وعظمته وقهره»[(١)].

* قلت: هذا أحد معاني العلو الثابتة له سبحانه، فهو المتعالي على كل شيء بقهره والمتعالي عن كل سوء ونقص بكماله ولكنه لم يذكر المعنى الآخر: وهو المتعالي بذاته فوق خلقه كأنه مشى على طريقة المتكلمين في تأويل صفة العلو بالقهر، مع أن علو الله يشمل النوعين؛ فذكر علو القهر وترك علو الذات تعطيل بحت.

قال الإمام ابن القيم رحمه الله:

---

(١) فتح القدير (٣/٦٨)، وانظر أيضا (١/ ٢٧٢) (٥/٢٨٨).

ولـه الـعـلـو فـي الـوجـوه جـمـيـعـهـا
ذاتـا وقـهـرا مـع عـلـو الـشـأن
لـكـن نـفـاة عـلـوه سـلـبـوه إكـ
ـمـال الـعـلـو فـصـار ذا نـقـصـان
حـاشـاه مـن إفـك الـنـفـاة وسـلـبـهـم
فـلـه الـكـمـال المطـلـق الـربـان[1]

المثال الحادي عشر:

الآية (٨٨) من سورة القصص قوله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾.

قال المؤلف: «أي إلا ذاته»[2].

* قلت: إن كان المؤلف يريد تأويل صفة الوجه بالذات وأن الكلام مبني على المجاز فهذا تعطيل واضح فالوجه من صفات الله الحقيقية التي تليق به سبحانه ولاشك أن الوجه يستلزم الذات.

فقوله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ معناه كل شيء هالك إلا وجهه تعالى أي يبقى وجهه تبارك وتعالى ولايهلك فيلزم من بقاء وجهه بقاء ذاته فلا يجوز إرادة اللازم ونفي الملزوم فإذا وجد مثل كلام المؤلف في تفسير الآية عند أئمة السنة فهذا هو قصدهم فهم يثبتون ذات الله مع إثبات صفة الوجه بخلاف المعطلة فهم يريدون تأويل الوجه بالذات وقصدهم نفي الصفة.

---

(١) النونية مع شرحها ١/٢٠٨.

(٢) فتح القدير (٤/١٨٩).

المثال الثاني عشر:

الآية (١٠) من سورة فاطر قوله تعالى: ﴿إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلۡعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرۡفَعُهُۥۚ﴾.

قال المؤلف: «أي إلى الله يصعد لا إلى غيره ومعنى صعوده إليه قبوله له أو صعود الكتبة من الملائكة بما يكتبون من الصحف...»[١].

* قلت: غفر الله للمؤلف فليس معنى «الصعود» في لغة العرب القبول.

بل معناه: أن الكلم الطيب من قراءة وتسبيح وتحميد وتهليل وكل كلام حسن طيب يرفع إلى الله ويعرض عليه ويثني على صاحبه بين الملأ الأعلى.

فهذه الآية من أعظم الحجج الدالة على إثبات صفة العلو عند أهل السنة.

أما المعطلة فإنهم يؤولون صعود الكلم بلازم معناه وهو القبول فيجب مع إثبات اللازم إثبات الملزوم. والله أعلم.

قال الإمام ابن القيم:

هذا وخامسها صعود كلامنا
بالطيبات إليه والإحسان
وكذلك صعود الباقيات الصالحا
ت إليه من أعمال ذي الايمان

(١) فتح القدير (٤/ ٣٤١).

وكـذا صـعـود تـصـديـق مـن طـيـب
أيــضــاً إليه عـــنـــد كـــل أوان[1].

المثال الثالث عشر:

الآية (١) من سورة الملك قوله تعالى: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ﴾.

قال المؤلف: «اليد مجاز عن القدرة والاستيلاء»[2].

* قلت: غفر الله للمؤلف فهذا تعطيل واضح وعدول عن ظاهر اللفظ وخلاف لما فهمه السلف.

قال ابن جرير: الذي بيده الملك: بيده مُلك الدنيا والآخرة وسُلطانهما، نافذ فيهما أمره وقضاؤه»[3].

فلا ينبغي تغيير صفة بأخرى لأن القدرة غير اليد، والأدلة على تغايرهما كثيرة جدا من القرآن والسنة واللغة، ومن القواعد المقررة والمتفق عليها بين سلف الأمة وأئمتها الإيمان بأسماء الله وصفاته وأحكام الصفات.

المثال الرابع عشر:

الآية (١٦) من سورة الملك قوله تعالى: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا هِىَ تَمُورُ ⑯﴾.

---

(١) النونية مع شرحها ٢١٦/١.

(٢) فتح القدير (٢٥٨/٥).

(٣) تفسير ابن جرير (١٦٤/١٢).

قال المؤلف: «قدرته وسلطانه وعرشه وملائكته»[1].

* قلت: غفر الله للمؤلف فقد عطل صفة العلو وعدل عن ظاهر اللفظ.

قال ابن جرير في تفسير هذه الآية: «من في السماء: وهو الله»[2].

فهذه الآية من أعظم الحجج على إثبات صفة العلو لله ثم حمله على القدرة والسلطان ينافي سياق هذه الآية من ناحية اللغة لأن كلمة (من) لذوي العقول والقدرة والسلطان والملك ليس من ذوي العقول فلو كان المراد القدرة والملك لكان المناسب أن يقول: (أأمنتم ما في السماء) بدلا من (مَن).

وكلمة (في) في هذه الآية بمعنى كلمة (على)؛ فالمعنى: أن الله تعالى على السماء؛ أي فوق سمواته على عرشه. أو كلمة (السماء) بمعنى جهة الفوق والعلو؛ فالمعنى: أن الله تعالى في جهة العلو؛ أي أن الله تعالى فوق خلقه عال على عرشه؛ وجهة العلو على هذا أمر عدمي، فلا يلزم من هذا كون الله تعالى حالاً في شيء مخلوق، فإن الله تعالى بائن من خلقه ليس هو في شيء من خلقه، وليس فيه شيء من خلقه.

وهذه الآية من أعظم الحجج القاطعة الدالة على علو الله تعالى على خلقه عند أئمة السنة.

قال الإمام ابن القيم رحمه الله:

هذا وتاسعها النصوص بأنه
فوق السماء وذا بلا حسبان

(١) فتح القدير (٥/ ٢٦٢).

(٢) تفسير ابن جرير (١٢/١٦٩).

إذ أجمع السلف الكرام بأن معـ
ـناها كمعنى الفوق بالبرهان
أو أن لفظ سمائه يعني به
نفس العلو المطلق الحقاني
والرب فيه وليس يحصره في الـ
ـمخلوق شيء عز ذو سلطان
كل الجهات بأسرها عدمية
في حقه هو فوقها ببيان[1]

المثال الخامس عشر:

الآية (٤٢) من سورة القلم في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾.

لقد ساق الشوكاني رحمه الله تعالى في تفسير «الساق» أقوال الناس بأن المراد شدة الأمر والهول وذكر في الاستشهاد عدة أشعار للعرب، ثم قال: «وسيأتي في آخر البحث ما هو الحق، وإذا جاء نهر الله بطل نهر العقل» ثم ساق حديث الساق المتفق عليه ثم قال: «وقد أغنانا الله سبحانه في تفسير هذه الآية بما صح عن رسول الله ﷺ كما عرفت، وذلك لايستلزم تجسيما ولا ولا تشبيها فليس كمثله شيء.

دعوا كل قول عنه قول محمد
فما أمن في دينه كمخاطر»[2]

(١) النونية مع شرحها ١/ ٢٢٢.
(٢) فتح القدير (٤/ ٢٧٥، ٢٧٨).

أقول: لقد أجاد المؤلف رحمه الله في هذا المقام في إثبات صفة «الساق» لله تعالى وأعطانا قاعدة عظيمة تصلح لجميع الصفات وهي أن إثبات الصفات لله تعالى لا يستلزم التشبيه، ولكن خالف رحمه الله قاعدته هذه في عدة مواضع من تفسيره هذا حيث عطل عدة صفات لله تعالى وأول نصوصها.

وكان الواجب عليه أن يمشي على هذه القاعدة وليسلك مسلك السلف في إثبات الصفات بلا تعطيل ولا تمثيل ليسلم من التناقض والتعطيل.

* تنبيه: التحقيق أن «الساق» في هذه الآية تحتمل معنيين:

- الأول: أن يكون المراد شدة الهول كما فسر بذلك ابن عباس وغيره من المفسرين.

فعلى هذا لاتكون هذه الآية من آيات الصفات. فلا يلزم من تفسير الساق بشدة الهول تأويل الصفات ويكون إثبات «الساق» بالسنة لا بهذه الآية.

- والثاني: أن المراد من «الساق» ساق الله تعالى كما ورد في الحديث الصحيح.

فعلى هذا تكون هذه الآية في جملة آيات الصفات فلا يجوز تأويل «الساق» بشدة الهول والأمر.

ولا منافاة بين القولين، فالله يكشف عن ساقه يوم شدة الهول وهذا خلاف قول المعطلة الذين ينفون صفة الساق ولايثبتونها لا بالقرآن ولا بالسنة، بل حملوا الآية والحديث على شدة الأمر، وهذا وإن كان محتملاً في الآية لكنه لايحتمل في تفسير الحديث، لورود الساق مضافة إلى الضمير العائد على الله تعالى[1].

---

(١) انظر تفسير ابن جرير (١٢/ ١٩٧) وتفسير ابن كثير (٧/ ٩٠ - ٩١).

ولاشك في أن القول الثاني أظهر وأرجح في تفسير الآية، وأولى بأن تفسر الآية به، لما ورد فيه من الحديث السابق كما عرفت.

ويا ليت المؤلف رحمه الله قرر الحق في أول كلامه لئلا يقع القارىء في اضطراب ووهم.

المثال السادس عشر:

الآية (١) من سورة الأعلى قوله تعالى: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾.

ذكر المؤلف رحمه الله ما كان لازما لصفة[1] العلو فقط والأعلى اسم من أسماء الله تعالى يشتمل على إثبات صفة العلو لله تعالى ومعناه الأعلى من كل شيء، فهو أفعل تفضيلٍ دال على علوه تعالى بكل معاني العلو فهو الأعلى قدراً ومنزلة، وهو الأعلى بالقهر والغلبة، وهو الأعلى بذاته فوق كل شيء.

قال الحافظ الحكمي:

الأحد الفرد القدير الأزلي ... الصمد البر المهيمن العلي

علو قهر وعلو الشأن ... جل عن الأضداد والأعوان

كذا له العلو والفوقية ... على عباده بلا كيفية

ومع ذا مطلع إليهمو ... بعلمه مهيمن عليهم

(١) فتح القدير (٥/٤٢٣).

وذكـــره لـــلـــقـــرب والمعـــيـــة

لم يـــنـــف لـــلـــعـــلـــو والـــفـــوقـــيـــة

فـــإنـــه الـــعـــلـــي فـــي دنـــوه

وهـــو الـــقـــريـــب جـــل فـــي عـــلـــوه[1]

المثال السابع عشر:

الآية (٢٢) من سورة الفجر قوله تعالى: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾﴾.

حمل المؤلف[2] رحمه الله تعالى هذه الآية على المجاز على طريقة حذف المضاف أي جاء أمره وهو باطل وخلاف لظاهر النص وعدول عنه إلى معنى آخر وخلاف لما فهمه السلف من الآية ومسايرة للجهمية وأفراخهم الماتريدية والأشعرية.

قال ابن جرير رحمه الله: «يقول تعالى ذكره: وإذا جاء ربك يا محمد وأملاكه صفوفاً، صفا بعد صف»[3] فالمجيء صفة من صفات الله على الحقيقة على ماهو لائق بالله بلا معرفة الكيف، ومن الدلائل على بطلان تأويل المجيء بالأمر أن الملائكة من أمر الله فلا معنى لمجيء الأمر مع التصريح بمجيء الملائكة لأنه يكون ذكراً للملائكة بلا فائدة.

(١) معارج القبول (١/١٣٦).
(٢) فتح القدير (٥/٤٤٠).
(٣) تفسير ابن جرير (١٢/٥٧٦).

المثال الثامن عشر:

الآية (١٥) من سورة العلق قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ﴾.

فسر المؤلف[١] رحمه الله تعالى الرؤية بالعلم وهذا فيه نظر لأن العلم من لوازم الرؤية لكن الرؤية غير العلم.

قال ابن جرير في تفسير هذه الآية: «يقول تعالى ذكره: ألم يعلم أبو جهل إذ ينهى محمداً عن عبادة ربه والصلاة بأن الله يراه فيخاف سطوته وعقابه»[٢].

ففي الآية إثبات صريح لصفة الرؤية لله تعالى بلا كيف.

---

(١) فتح القدير (٥/٤٦٩).

(٢) تفسير ابن جرير (١٢/٦٤٨).

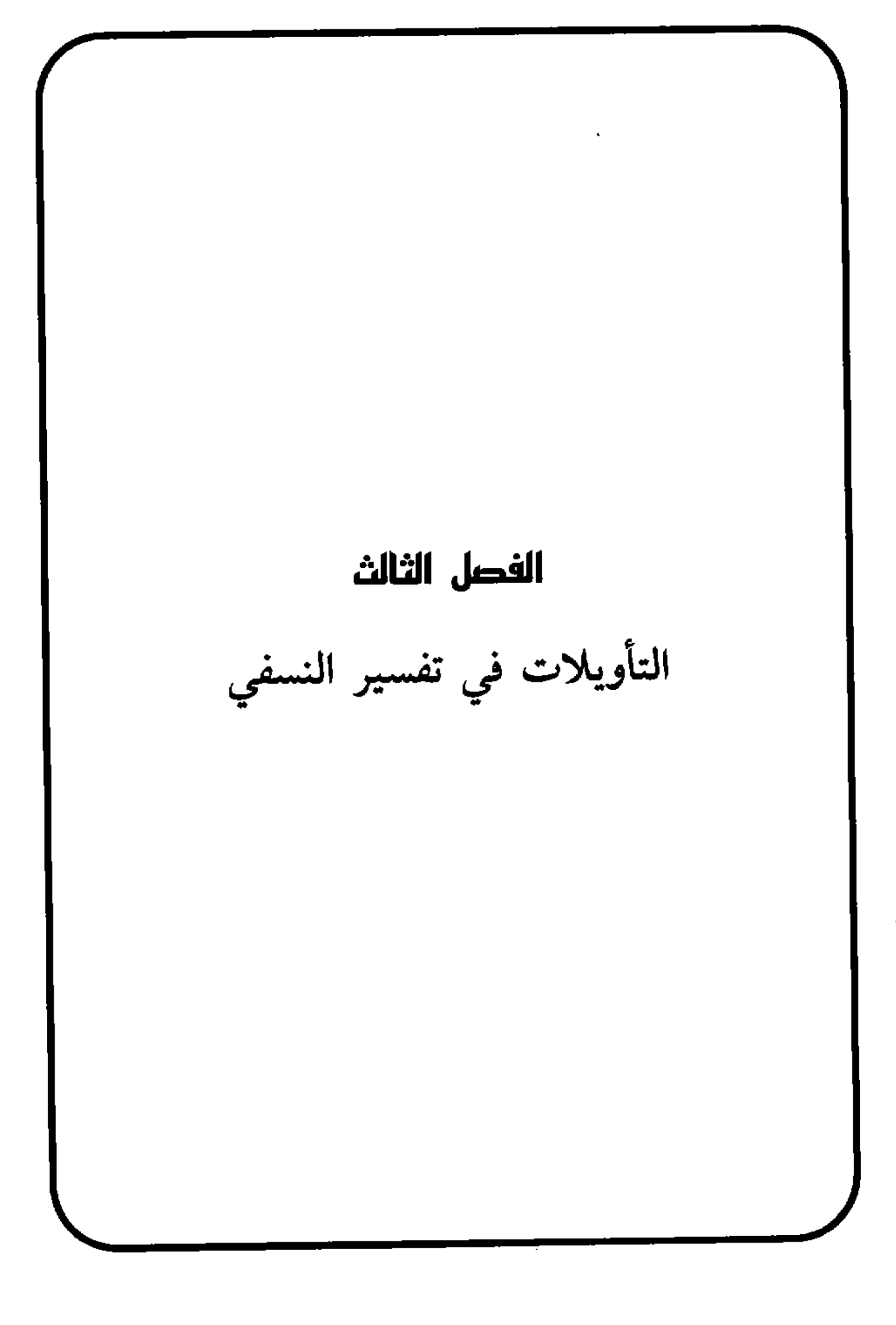
الخاتمة

الحمدلله الذي بنعمته تتم الصالحات وبعد:

فهذا ما أردت التنبيه إليه مما وقع فيه الشوكاني رحمه الله في «فتح القدير» ولم أقصد الاستيعاب وليس سوقي لهذه الأخطاء انتقاصا لهذا التفسير العظيم أو هضما لحقه أو محاكمة لشخص المؤلف الإمام رحمه الله تعالى وهو بين يدي ربه عز وجل.

وإنما هي أمور رأيت من اللازم علي شرعاً أن أنبه عليها وألفت أنظار طلبة العلم إليها حتى يكونوا على بينة من أمر دينهم، والله أسأل القبول وأن يجعل هذا العمل في ميزان حسناتي يوم ألقاه، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.



الفصل الثالث

التأويلات في تفسير النسفي

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ (آل عمران: ١٠٢). ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾(النساء: ١).

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ (الأحزاب: ٧٠-٧١).

أما بعد:

فلما كان تفسير النسفي[١] المسمى بمدارك التنزيل وحقائق التأويل من أشهر كتب التفسير المتداولة بين أهل العلم وطلاّبه، بل بين الخواص والعوام أيضاً.

(١) هو حافظ الدين أبو البركات عبدالله بن أحمد النسفي (٧١٠هـ) كان مشاركاً في عدة من العلوم كالتفسير والفقه والأصول والعلوم العربية والكلام، كان من كبار أئمة الحنفية، وأعاظم أعيان الماتريدية، ولكتبه أهمية بالغة عند الحنفية ألّف كتباً كثيرة في مختلف العلوم والفنون.
كالمدارك في التفسير، والكنز في الفقه الحنفي، والمنار، وشرحه كشف الأسرار في تحقيق أصول أهل الرأي وعمدة العقائد في علم الكلام.
ترجمته في الجواهر المضية ٢/ ٢٩٤، وتاج التراجم ٣٠، وطباقت الطاش ١١٣، وكشف الظنون ١/ ١١٩ و ٢/ ١١٦٨ و ١٥١٥، وإيضاح الكنون ١/ ٩٨ وهدية العارفين ١/ ٤٦٤، والفوائد البهية ١٠١ - ١٠٢ وتعليقات الكوثري على لحظ الألحاظ ١٥٩.

وكان مؤلفه من كبار علماء الحنفية والماتريدية ومن أعاظم أهل الكلام المذموم وكان من المنكرين لعلو الرحمن ومن القائلين ببدعة خلق القرآن وغيرها من العقائد الفاسدة.

وكان قد ملأ تفسيره هذا بالعقائد الجهمية من تعطيل الصفات وتحريف نصوصها بتأويلاتهم التي هي عين التحريفات[1].

= تنبيه النبيه:
اعلم أخي المسلم أن هناك نسفيين آخرين:
الأول: أوحد الدين أو المعين ميمون بن محمد المحولي النسفي (٥٠٨هـ) صاحب تبصرة الأدلة وبحر الكلام، والتمهيد لقواعد التوحيد، وهذه الكتب كلها كتب أهل الكلام. انظر ترجمته في الجواهر المضية ٣/ ٥٢٧، وتاج التراجم ٧٨، وطبقات الفقهاء للطاش ٦٩، وكشف الظنون ١/ ٢٢٥، ٣٣٧، ٤٨٤، وإيضاح المكنون ١/ ١٥٦، وهدية العارفين ٢/ ٤٨٧.
الثاني: مفتي الثقلين نجم الدين أبو حفص عمر بن محمد النسفي (٥٣٧هـ) صاحب العقائد النسفية التي شرحها التفتازاني (٧٩٢هـ).
وهذا الكتاب كالفهرس لكتاب تبصرة الأدلة للنسفي المذكور، ترجمته في الجواهر المضية ٢/ ٦٥٧، تاج التراجم ٥٧، مفتاح السعادة ١/ ١٢٣، طبقات الفقهاء ٩٢، الفوائد البهية ١٤٩.

(١) وهذا التفسير فيه كذلك ما يناقض توحيد العبادة مثل:
قوله في تفسير قوله تعالى: ﴿**لنتخذن عليهم مسجداً**﴾ في سورة الكهف، قال: «مسجداً يصلي فيه المسلمون ويتبركون بمكانهم» (المدارك ٣/ ٧٦) وفي هذا محظوران:
الأول: بناء المساجد على القبور، وقد نهى عن ذلك النبي ﷺ وقال: «**لا تتخذوا القبور مساجد فإني أنهاكم عن ذلك**».
الثاني: الصلاة في تلك المساجد للتبرك، وكل هذا من فعل اليهود والنصارى الذي حذر منه النبي ﷺ، وكذلك الغلو في شأن النبي ﷺ مثل قوله في تفسير قوله تعالى: ﴿**وعلمك ما لم تكن تعلم**﴾.
قال: من أمور الدين والشرائع أو من خفيات الأمور وضمائر القلوب (المدارك ١/ ٢٥٠).
أقول: وهذا الكلام يحتمل أحد أمرين:
الأول: إما أن يقصد ما اطلع الله نبيه ﷺ من بعض الأمور المغيبات فهذا حق.
والثاني: أنه ﷺ عالم بجميع خفايا القلوب والضمائر، فهذا شرك أكبر ناقل عن الملة، فإن الله تعالى هو علاّم الغيوب. وقد نص كثير من أهل العلم من فقهاء الحنفية على تكفير من اعتقد أن النبي ﷺ يعلم الغيب، وانظر فتواهم في الفتاوى الهندية (٢/ ٢٢٦) البحر الرائق (٣/ ٨٨) والدر المختار (٣/ ٢٩).

بل اتبع الزمخشري[1] المكنى بأبي المعتزلة في جميع خرافاته وجهمياته وتعطيلاته للصفات وتحريفاته لنصوصها ما خلا بعض المسائل الخاصة بالاعتزال كالقول بالمنزلة بين المنزلتين ونفي القدر ونحو ذلك.

بل نرى النسفي ينقل في تفسيره جميع كلام الزمخشري في كشافه نقلاً حرفياً بدون أن يصرح أنه من كلام الزمخشري، كأن تفسير النسفي نسخة ثانية لكشاف الزمخشري وتفسير النسفي هذا من أهم مصادر العقيدة الماتريدية فهو في الحقيقة كتاب في علم الكلام الماتريدي قبل أن يكون تفسيراً.

ولهذا كان هذا التفسير موضوعاً في صلب المنهج الدراسي في عهد الأتراك وبلاد ما وراء النهر والهند وفي الشام ومصر، في العهد القريب، ولذلك انتشر هذا التفسير انتشاراً واسعاً في العرب والعجم، بدون أن ينبه أحد مما فيه من هفوات وتعطيل الصفات، وتحريف نصوصها.

أردت متوكلاً على الله عز وجل أن أنبه على ما في هذا التفسير من تعطيل للصفات وتحريف لنصوصها مما يخالف توحيد الأسماء والصفات والعقيدة السلفية.

وسميت هذه الرسالة: «كشف الخفي في بيان التأويلات في تفسير النسفي» وهو عنوان معبر عن مضمون الكتاب، فإنه ليس رداً تفصيلياً على

---

(١) هو أبو المعتزلة محمود بن عمر بن محمود الزمخشري الملقب بجار الله الحنفي الجهمي المعتزلي أحد أئمة اللغة والمتعصب للجهمية والوالغ في أعراض أهل السنة ولحومهم فقد رماهم بسبب اعتقادهم الرؤية البصرية بقوله: وجماعة سموا هواهم سنة* لجماعة حمر لعمري موكفة*
قد شبهوه بخلقه وتخوفوا*شنع الورى فتستروا بالبلكفة*. «انظر الكشاف ٢/ ١١٥ - ١١٦».
زعم أن الفرقة الناجية هي المعتزلة كما في الكشاف ١/ ١٨، وجوز في القرآن ما ليس من كلام الرحمن، انظر الكشاف ٣/ ٥٤٩. ترجمته في الجواهر المضية ٣/ ٤٧، وتاج التراجم ٧١، والفوائد البهية ٢١٠.

النسفي، فما أكثر الكتب السلفية التي تكشف عوار المعطلة والنفاة، وإنما القصد مجرد تنبيه المسلم على مواضع الخطأ تلك حتى يعرفها، ويكون فيها على حذر ومن أراد الاستزادة فعليه بالكتب السلفية التي ترد على هؤلاء الضلال.

والله أسأل أن ينفع بهذا الجهد المتواضع في الدفاع عن العقيدة السلفية والرد على أهل الكلام، وأن يجعله من الجهاد في سبيله ومن الطاعات المقربة إليه، والله من وراء القصد.

والحمد لله وصلى الله وسلم على عبده ورسوله وآله وصحبه ومن والاه.

الباطل الأول:

قول أحد تلاميذه قبل كلام شيخه النسفي: «الحمدلله المنزه بذاته عن إشارة الأوهام».

أقول: هذا القول في مصطلحات أهل الكلام المذموم؛ تحمل الحق والباطل لإجماله، وكونه ذا وجهين[1].

فإن أهل الكلام يريدون بمثل هذا القول نفي علو الله تعالى على خلقه، ونفى السؤال بأين الله، ونفي الجواب بأنه في السماء، فإن هذه المعارف كلها حق.

وقد ثبت في عدة من الأحاديث الصحيحة أن النبي ﷺ قد أشار إليه تعالى بأنه في السماء يعني فوق العرش عال على خلقه فوق عباده بائن من

(١) المدارك ٢.

خلقه وهذه إشارة حسية ولكن لا يشار إليه تعالى بأنه محبوس محدود مظروف في كذا، فنعوذ بالله من التعطيل والتمثيل جميعاً.

الباطل الثاني:

أن أحد تلامذة النسفي قد أطال في ديباجة هذا التفسير بذكر السلوب، والتنزيهات الكثيرة، وهذه طريقة أهلَ البدع قديما وحديثا للجهمية والمعتزلة الماتريدية والأشعرية[1].

فإن الطريقة الصحيحة السلفية هي التفصيل في الإِثبات والإِجمال في النفي[2]. فلا ينبغي الإِطالة في أن الله تعالى ليس بكذا ولابكذا ولا بكذا، فإن السلوب لاتنتهي، ولافائدة فيها ولا مدح في مجرد النفي بل يكتفى بأن يقال: ليس كمثله شيء، وسبحانه ونحو ذلك.

ويقال: إن الله كذا وكذا أي أن الله تعالى خالق رازق محيي مميت فوق عرشه عالٍ على خلقه يتكلم ويكلم وينادي ونحوها من الصفات.

فإثبات الصفات بلا تكييف ولاتمثيل ولاتشبيه ولاتعطيل هو مذهب السلف.

الباطل الثالث:

قول أحد تلامذة النسفي في ديباجة تفسيره: «ننزه عن مماسة المكان».

هو من مصطلحات الماتريدية والأشعرية، يحتمل الحق والباطل.

---

(١) انظر مقالات الأشعري ١٥٥، والتدمرية ٨ - ١٢، ومجموع الفتاوى ٣/ ٤ - ٧ وشرح الطحاوية ١٠٨ - ١١٠، وانظر مجموع الفتاوى ١١/٤٨٣ - ٤٨٤.

(٢) انظر شرح الطحاوية ٢٣٨ - ٢٤٣.

فإن يُقصد به أن الله تعالى ليس محدوداً في مكان مخلوق وليس هو متصلاً بالمكان ولا مماساً به.

فهذا النفي حق؛ لأن الله تعالى عالٍ على خلقه بائن عن الخلق.

وإن يقصد به أن الله تعالى ليس في جهة الفوق ويسمونها مكاناً، فهذا النفي باطل؛ لأن هذا نفي لعلو الله تعالى على خلقه وفوقيته على الكون كله، وهذا تعطيل محض وتجهم بحت.

الباطل الرابع:

تأويله لقوله تعالى: ﴿**بل يداه مبسوطتان**﴾[1]. بأن المراد من اليدين بسطهما غاية السخاء[2].

وقال مفتخراً بهذا التأويل: «ومن لم ينظر في علم البيان يتحير في تأويل أمثال هذه الآية»[3].

أقول: هذا التأويل في غاية من البطلان؛ لأنه يتضمن تعطيل صفة اليدين لله تعالى وتحريف نصوصها، ولاتحير بحمد الله تعالى لا في هذه الآية ولا في مثلها.

وهؤلاء لم تنفعهم علومهم في اللغة والنحو والصرف والتفسير والحديث والفقه فضلا عن علم البيان والمعاني والبديع، فإنهم مع علومهم الجمة من أعظم المتحيرين المتشككين في صفات الله تعالى ومن أبرز المعطلين لصفات الله بنصوصها ومن أعظم المحرفين.

---

(١) تفسير النسفي ٢.

(٢) المدارك ١/ ٢٩١.

(٣) المدارك ١/ ٢٩١.

فإن أحدهم يظن أن يد الله تعالى تكون كيد خلقه ثم يظن أن هذا تشبيه، ثم يريد الفرار من هذا التشبيه بتلك التأويلات التي تنتهي إلى التعطيل وتحريف نصوص الصفات. فالأمر سهلٌ والحمدلله تعالى.

وهو أن يثبت لله يداً، ويدين كما وردت به النصوص إثباتاً بلا تمثيل وتنفي عنها علمنا بالكيف نفياً بلا تعطيل.

وهذه هي طريقة السلف في باب الصفات كلها، بخلاف طريقة الجهمية والماتريدية فإنهم جميعاً يعطلون الصفات الخبرية ويحرفون نصوصها.

فقد مشي على هذا التأويل نفسه أبو المعتزلة وأحد أئمة الجهمية الزمخشري[1] وسايره أبو منصور الماتريدي (٣٣٣هـ) في تأويلاته[2].

وأما النسفي هذا فقد خالف عقيدة السلف حيث مشى مشية الزمخشري فكتابه هذا نسخة ثانية لكشاف الزمخشري في تعطيل الصفات وتحريف نصوصها إلا في بعض مسائل تتعلق بالاعتزال خاصة.

ولاشك أن هذا خلاف عقيدة السلف عامة وأبي حنيفة وأصحابه الأوائل خاصة، فقد قال أبو حنيفة:

«ولا يقال يده قدرته أو نعمته فإن فيه إبطال الصفة وهو مذهب أهل القدر والاعتزال»[3].

فهذا النص صريح في أنه لايجوز تأويل صفة بصفة أخرى؛ لأن هذا إبطال وتعطيل لتلك الصفة، والإبطال والتعطيل مذهب الجهمية المعطلة منكري القدر أو الجبرية.

---

(١) انظر الكشاف.

(٢) تأويلات الماتريدي (سورة المائدة) مخطوطة دار الكتب المصرية.

(٣) الفقه الأكبر بشرح القاري ٥٩.

كما لايجوز تفسير صفة العلم بصفة الحياة، أو تفسير صفة القدرة بصفة الإرادة.

وقال أبو حنيفة رحمه الله أيضاً:

«وغضبه ورضاه صفتان من صفاته بلا كيف وهو قول أهل السنة والجماعة؛ ولايقال غضبه عقوبته ورضاه ثوابه، ونصفه كما وصف نفسه»[1].

أقول: إن أبا حنيفة رحمه الله تعالى قد بيّن بعض أصول السلف في صفات الله تعالى.

منها إثبات الصفات لله تعالى بلا دخول في كيفيتها.

ومنها وصف الله بما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله ﷺ.

ومنها أن ما ثبت في الكتاب والسنة مما وصف به الله عز وجل فهو من صفات الله تعالى.

ومنها: أنه إذا ثبتت أية صفة لله تعالى في الكتاب والسنة لايجوز لنا أن نفسرها بصفة أخرى.

فلا يجوز لنا أن نفسر الغضب بالعقوبة، ولا الرضا بالثواب.

بل نقول: إن الغضب والرضا صفتان لله تعالى من صفاته.

وإذا ثبت هذا فنقول: إن «اليد» و«اليدين» من صفات الله تعالى في الكتاب والسنة، فيجب إثباتها لله عز وجل بلا كيف وبلا تشبيه ولا يجوز تفسيرها بالقدرة ولا بالنعمة ولا بغاية السخاء والجود.

فمن فعل هذا فقد عطّل هذه الصفة، وحرّف نصوصها.

---

(١) الفقه الأبسط ٥٦، تحقيق الكوثري وسكت عليه.

الباطل الخامس:

قول النسفي في تأويل اسم الله تعالى: «العلي»:

«. . . وهو العلي في ملكه وسلطانه. . أو العلي المتعالي عن الصفات التي لاتليق به. . .»[1].

أقول: هذا التأويل فاسد؛ فإن الله تعالى عليّ له العلو المطلق على عرشه والفوقية المطلقة على خلقه، فاسم «العلي» من أسمائه الحسنى يدل على الصفة الحسنى، وهي الفوقية المطلقة والعلو الذاتي، إضافة إلى دلالته على علو الشأن وعلو القهر، فقوله: «وهو العلي في ملكه وسلطانه» لايفيد نفي العلو المطلق والفوقية المطلقة على خلقه، وإنما هذا من معاني القادر والمتصرف وليس من معاني العلي.

وكذا قوله: «أو المتعالي عن الصفات التي لاتليق به» فهذا من معاني السبوح والقدوس وليس من معاني العلي، فالواجب أن يقال: «وهو العلي» على خلقه المتعالي على عرشه ونحو ذلك.

ولكن النسفي مشى مشية على طريقة أهل الكلام المذموم في تأويل معنى هذا الاسم الحسن بالسلب لأنهم منكرون لعلو الرحمن وفوقيته على عرشه؟!

فإنهم يقولون: إن الله تعالى لا داخل العالم ولا خارجه، ولامتصل بالعالم ولامنفصل عنه، ولا فوق العالم ولاتحته ولا يمين العالم ولا شماله، ولا أمام العالم ولاخلفه[2].

---

(١) المدارك: ١/١٢٨.

(٢) انظر كتاب التوحيد للماتريدي ١٠٧، تبصرة الأدلة ٧، الدرة للجامي ٢٠٢، شرح العقائد النسفية ٤٢. شرح المواقف للجرجاني ٢٣١، تبدد الظلام ٣٥، ٧١.

ولذلك نرى عامة الماتريدية يؤولون معنى «العلي» بمثل ما أول به النسفي.

فقد قال الماتريدي: «العلي عن كل موهوم يحتاج إلى عرش أو كرسي»[1].

وقال العمادي: «المتعالي بذاته عن الأشياء والأنداد»[2].

وقال الجرجاني: «العلي: المتكبر»[3].

الحاصل أن هذه التأويلات لمعنى اسم الله «العلي» كلها تدل على الدملوب ولا تدل على العلو المطلق، بل نافية له، فهي باطلة في مخالفة العقيدة السلفية.

الباطل السادس:

تأويل النسفي لصفة «الرحمة» وتأويل معنى: اسم الله «الرحمن» واسمه «الرحيم» بأن المراد من الرحمة الإنعام[4].

أقول: هذا التأويل باطل؛ لأن الرحمة من الصفات الذاتية، والإنعام صفة من الصفات الفعلية. ثم الإنعام لازم للرحمة لا بمعنى الرحمة، فلا يجوز إثبات اللازم ونفي الملزوم، بل يجب إثبات اللازم مع إثبات اللزوم. فالرحمن والرحيم اسمان دالان على أنه تعالى ذو الرحمة الواسعة التي وسعت كل شيء وعمت كل حي وكتبها للمتقين المتبعين لأنبيائه ورسله فهؤلاء لهم الرحمة

---

(١) تأويلات الماتريدي ١/ ٥٩٣.

(٢) إرشاد العقل السليم ١/ ٢٤٨.

(٣) شرح المواقف ٨/ ٢١٥، ونشر الطوالع ٣٢٠.

(٤) المدارك: ١/ ٥.

المطلقة ومن عاداهم فلهم نصيب منها واعلم أن من القواعد المتفق عليها بين سلف الأمة الإيمان بأسماء الله وصفاته وأحكام الصفات فيؤمنون مثلاً أنه رحمن رحيم ذو الرحمة التي اتصف بها المتعلقة بالمرحوم فالنعم كلها أثر من آثار رحمته[١].

مثال ذلك: صفة «اليد» ولازمها «القدرة» و«اليد» ملزومة لها فلا بد من إثبات اللازم مع إثبات الملزوم، وذلك بإثبات اليد والقدرة جميعاً.

وأما من نفي «اليد» وقال المراد «القدرة» فقد نفى الملزوم وأثبت اللازم، وهذا عين التعطيل.

الباطل السابع:

تأويل النسفي لصفة الاستواء على العرش: بالاستيلاء على العرش[٢].

أقول: تفسير الاستواء بالاستيلاء في مثل هذا السياق باطل لوجوه:

الأول: أنه لم يأت في اللغة العربية الاستواء بمعنى الاستيلاء كما صرح به أئمة اللغة ولا سيما ابن الأعرابي (٢٣٠ هـ)[٣].

فقد حاور أحمد بن أبي دؤاد الجهمي رأس فتنة خلق القرآن (٢٤٠هـ)[٤]

---

(١) انظر المدارك: ٢/٥٦.

(٢) انظر المدارك: ٢/٥٦.

(٣) هو محمد بن زياد أحد أئمة اللغة ترجمته في تاريخ بغداد ٥/٢٨٢، ٢٨٥، وتاريخ العلماء، والنحويين للتنوخي ٢٠٥ - ٢٠٦ ومعجم الأدباء ١٨/١١٩- ١٩٦.

(٤) هو تلميذ بشر المريسي الجهمي (٢٢٨) في بدعة التعطيل، وقد بلغ به الخبيث إلى حد أنه أفتى بقتل الإمام أحمد ووصل في الإلحاد إلى حد أنه كتب على ستارة الكعبة «ليس كمثله شيء وهو العزيز الحكيم» بدل السميع البصير، وشرح خبثة طويل الذيل، وراجع تاريخ بغداد ٤/١٤١، ووفيات الأعيان ١/٨١، والفرقان بين الحق والباطل ١١٩، والسير ١١/١٦٩، والبداية ١/٣١٩، واللسان ١/١٧١، والجواهر المضيئة ١/١٣٤. ٤/٤٥٣، وشذرات الذهب ٢/٩٣.

ابن الأعرابي وطلب منه أن يفتش في اللغة عن الاستواء بمعنى الاستيلاء فقال: «والله ما تؤول هذه الآية الكريمة إلى صفة واحدة وهي «القهر»، فأين راحت صفة «الفوقية» التي دل عليه قوله تعالى: ﴿**فوق عباده**﴾؟ إذ يكون مبنى هذه الآية على التأكيد لا على التأسيس[1]، وهذا باطل في مثل هذا السياق.

(الحاصل) أن حمل «الفوقية» في هذه الآية على القهر من أبطل الأباطيل.

أقول: دل هذا النص المبارك على أن تفسير الاستواء بالاستيلاء من تحريفات الجهمية قديماً وحديثاً.

فالنسفي هذا تابع للجهمية الأولى في هذا التحريف والتعطيل.

الوجه الثاني: أن «الاستيلاء» يتضمن المغالبة، وهي لا تتصور إلا أن يكون ثمة شخص يغالب الله تعالى ويمانعه.

ولذلك قال الإمام ابن الأعرابي لابن إبي دؤاد حينما قال ابن أبي دؤاد له: يا أبا عبدالله معناه: «استولى».

فقال له ابن الأعرابي: اسكت ما أنت وهذا، لا يقال: «استولى» على الشيء إلا أن يكون معانداً له فإذا غلب أحدهما قيل استولى؛ أما سمعت النابغة يقول:

---

(١) راجع شرح اعتقاد أهل السنة للالكائي ٣/ ٢٩٩، والأسماء والصفات للجصاص ٤١٥، وتاريخ بغداد ٥/ ٢٨٣ - ٢٨٤، والعلو للذهبي ١٣٣، وفتح الباري ١٣/ ٢٠٦، واجتماع الجيوش الإسلامية ٢٦٥- ٢٦٦.

ألا لمثلك أو من أنت سابقه   سبقَ الجوادة إذا استولى على الأسد[١]

وقال الإمام ابن عبدالبر حافظ المغرب:

«وهذه الآيات كلها واضحات في إبطال قول المعتزلة. وأما ادعاؤهم المجاز في الاستواء وقولهم في تأويل الاستواء «استولى» فلا معنى له؛ لأنه غير ظاهر في اللغة، ومعنى الاستيلاء في اللغة المغالبة، والله لا يغالبه ولا يعلوه أحد، وهو الواحد الصمد، ومن حق الكلام أن يحمل على الحقيقة حتى تتفق الأمة على أنه أريد به المجاز...»[٢].

ومثله كلام الإمام الخطابي رحمه الله[٣].

الوجه الثالث: أن السلف قد فسروا «الاستواء» بالعلو والارتفاع والصعود والاستقرار.

فقد قال أبو العالية: ارتفع[٤].

وقال الربيع بن أنس؛ ارتفع إلى السماء[٥].

وقال مجاهد بن حرجير: «علا على العرش»[٦].

وقال أبو عبيدة (٢١٠هـ): «ظهر على العرش وعلا عليه»[٧].

---

(١) انظر شرح أصول الاعتقاد واللالكائي ٣/٣٩٩، والأسماء والصفات للبيهقي ٤١٥، وتاريخ بغداد ٥/٢٨٣ - ٢٨٤، والعلو للذهبي ١٣٣، اجتماع الجيوش ٢٦٥ - ٢٦٦، وفتح الباري ١٣/٤٦.

(٢) التمهيد: ٧/١٣١.

(٣) كما في بيان تلبيس الجهمية ٢/٤٣٧ - ٤٣٨، ومختصر الصواعق ٣٢١، في كتب الخطابي شعار الدين.

(٤) انظر صحيح البخاري ٦/٢٦٩.

(٥) انظر تفسير ابن جرير: ١/١٩١.

(٦) انظر صحيح البخاري: ٦/٢٦٩٨.

(٧) مجاز القرآن: ١/٢٧٣، ٢/١٥، ٥٧.

وعلى هذه الأقوال أئمة السنة كالبخاري وغيره[1].

وهكذا فسّره ابن قتيبة أديب أهل السنة (٢٧٦هـ)[2]، وقال ابن جزير الطبري: «على عليهن وارتفع»[3].

وهكذا فسره ابن عبدالبر (٤٦٣هـ)[4].

وقال البغوي عن ابن عباس رضي الله عنهما: «ارتفع إلى السماء»[5].

وقال إسحاق بن راهوية الإمام: أنبأنا بشر بن عر الزهراني سمعت غير واحد من المفسرين يقولون: الرحمن على العرش استوى: «على العرش ارتفع»[6].

أقول: هذه تفاسير أئمة الإسلام في معنى «استوى على العرش» ولذلك قال الإمام ابن القيم رحمه الله في استقراء كلام السلف في تفسير الاستواء، وأن السلف فسروا الاستواء بأربعة تفسيرات ولكن المعنى واحد وهو العلو:

فلهم عبارات عليها أربع ... قد حصلت للفارس الطعان

وهي استقر وقد علا وكذلك أر ... تفع الذي ما فيه في نكران

وكذاك قد صعد الذي هو رابع ... وأبو عبيدة درجت الشيباني

يختار هذا القول في تفسيره ... أدرى عن الجهمي بالقرآن[7]

---

(١) راجع صحيح البخاري ٦/٢٦٩٨، والفتح ١٣/٤٠٥، والعمدة ٢٥/١١٢.

(٢) انظر تفسير غريب القرآن: ٢٧٧.

(٣) جامع البيان: ١/١٩٢.

(٤) التمهيد: ٧/١٣١ - ١٣٢.

(٥) معالم التنزيل: ١/١٥٩، ٢/١٦٥.

(٦) رواه الذهبي في العلو ١٣، وقال الألباني: هذا إسناد مسلسل بالثقات (مختصر العلو ١٦٠).

(٧) النونية ٦٧ - ٦٨، وشرحها توضيح المقاصد ١/٤٤، وشرحها لهراس ١/٢١٥.

الحاصل: أن معنى قوله تعالى: استوى على العرش عند السلف:

(علا على العرش وارتفع عليه وصعد واستقر عليه).

وهذه المعاني كلها تدل على علو الله تعالى وارتفاعه وفوقيته على عرشه وعلى خلقه أجمعين.

وأما الاستيلاء ونحو ذلك فهو من تحريفات الجهمية قديماً وحديثاً، ومن هؤلاء هذا النسفي؛ فإنه أحد أساطين أهل الكلام الجهمية، فتفسيرهم هذا في غاية البطلان؛ لأنه يتضمن إنكار العلو لله تعالى على خلقه وفوقيته على عرشه.

الباطل الثامن:

وصف النسفي ورميه للسلف بالمشبهة، وجعله تفسير «الاستواء» بالاستقرار تشبيهاً، وزعمه أنه باطل، وأنه مذهب المشبهة[1].

أقول: هذا في غاية من البطلان والظلم والعدوان والتقول والبهتان؛ لأن تفسير الاستواء بالاستقراء من تفسير السلف كما سبق فكيف يجعل المصنف هذا التفسير باطلاً، وأنه تشبيه وأنه مذهب المشبهة؟!

وأقول: لا غرابة في ذلك فإن المعطلة الجهمية وأتباعهم قديماً كالمعتزلة وحديثاً كالماتريدية والأشعرية يرمون السلف بالمشبهة والمجسمة ظلماً وبغياً وبهتاناً.

وهذا من أهم علامات أهل البدع؛ بل هذا من علامات الزنادقة الملاحدة.

---

(١) انظر المدارك: ٢/٥٦.

قال الإمام أبو حاتم (٢٧٧هـ) رحمه الله:

«علامة أهل البدع الوقيعة في أهل الأثر، وعلامة الزنادقة تسميتهم أهل الأثر (حشوية) يريدون بذلك إبطال الأثر، وعلامة الجهمية تسميتهم أهل السنة (مشبهة)»[١].

وقال الإمام قتيبة بن سعيد (٢٤٠هـ) رحمه الله تعالى:

«إذا أتيت الرجل يحب أهل الحديث... فإنه على السنة، ومن خالف هذا فاعلم أنه مبتدع، وإذا قال: المشبهة، فاحذروه فإنه جهمي»[٢].

الباطل التاسع:

إنكار النسفي لكون العرش سريراً، وزعمه أن جعل العرش سريراً من مذهب المشبهة[٣].

أقول: أما رميه أهل الحديث بالمشبهة فقد تبين أن هذا من علامات أهل البدع عامة والجهمية خاصة.

وأما إنكار العرش سريراً؛ فهذا من أبطل الباطل؛ لأن نصوص الكتاب والسنة قد تواترت وتضافرت على أن العرش شيء مخلوق أعظم من جميع المخلوقات، وأنه شيء حسي لا معنوي، وقد اعترف النسفي بذلك حيث قال: «لأن العرش أعظمها وأعلاها»[٤].

---

(١) أصل السنة، المطبوع في مجلة الجامعة السلفية بنارس الهند في رمضان سنة ١٤٠٣هـ. وشرح الاعتقاد اللالكائي ٢/ ١٧٩، وعقيدة السلف أصحاب الحديث للصابوني ١٠٥، والعلو للذهبي ١٣٩، وحجة الله البالغة ١/ ٦٤، والمرقاة للقاري ٨/ ٢٥١، وقواعد التحديث للقاسمي ٥٨.

(٢) شعار أصحاب الحديث لأبي أحمد الحكم ٣٠ - ٣٣، وشرح السنة للبربهاري ٥٢ - ٥٣ وطبقات الحنابلة ٢/ ٣٦ - ٣٧.

(٣) المدارك: ٢/ ٥٦.

(٤) المدارك: ٢/ ٥٦.

ثم العرش في اللغة العربية هو السرير، ولا سيما في مثل هذا السياق، فمن زعم أن العرش ليس بسرير فقد ناقض اللغة العربية.

فقد ذكر الإمام ابن القيم للتأويل الباطل أنواعاً عديدة، فقال في النوع الخامس:

النوع الخامس: ما ألف استعماله في ذلك المعنى الذي يريده المؤول، ولكن في غير التركيب الذي ورد به النص الذي يريد المؤول أن يحرفه إلى المعنى ورد استعماله من غير تركيب هذا النص، كقول المعطل:

إن للعرش سبعة معانٍ منها الملك مثلاً. وللاستواء خمسة معان مثلاً منها التمام، فيكون معنى قوله تعالى: ﴿**ثم استوى على العرش**﴾: ثم ظهر تمام الملك بخلق العرش والسماوات والأرض».

فيقال له: إن قولك هذا تلبيس على العوام وتمويه على الجهال.

فإنه ليس لعرش الرحمن الذي استوى عليه - في هذه الآيات وفي هذا السياق وفي هذا التركيب مع كون العرش محلى بلام العهد - إلا معنى واحد: وهو عرش الرب الرحمن تبارك وتعالى الذي هو سرير ملكه الذي اتفقت عليه الرسل وأقرت به الأمم، إلا من نابذ الرسل وما أنزل عليهم من الكتب.

وكذلك ليس للاستواء في تلك الآيات البينات الواضحات وفي هذا التركيب وهذا السياق مع كون «استوى» متعدياً بأداة «على» - إلا معنى واحد: وهو العلو والارتفاع.

وإن كان للعرش والاستواء في غير هذا السياق وفي غير هذه الآيات عدة معان.

ولكن في هذه الآيات وهذا السياق وهذا التركيب، ليس للعرش

معنى آخر سوى أنه سرير لملك الرحمن وكذا ليس للاستواء في هذه الآيات معنى آخر، سوى العلو والارتفاع[1].

الباطل العاشر:

قول النسفي: وهو يتمرغ في شبهات الجهمية: «لأنه تعالى كان قبل العرش ولا مكان، وهو الآن كما كان، لأن التغيير من صفات الأكوان»[2].

أقول: لا شك أن الله تعالى كان قبل خلق العرش بلا ريب فهذه كلمة حق أريد بها الباطل، لأن الماتريدية كسلفهم الجهمية يريدون بهذه الكلمة نفي علو الله على خلقه وفوقيته واستوائه على عرشه، وهذا من أبطل الأباطيل كما سبق.

وأما قوله: «ولا مكان».

فمن أقوال أهل الكلام المذموم المجملة التي تحتمل الحق والباطل، فإن أرادوا منه أن الله تعالى ليس حالاً في مكان مخلوق ولا محدوداً فيه، فهذا النفي صحيح، لأن الله تعالى خالق للمكان وبائن عن الخلق عالٍ عليه وفوق عباده، وإن أرادوا - أنه تعالى ليس على العرش - كما هو الظاهر من كلامهم هذا - فهذا النفي باطل بالمرة، ولكن لا يقال: إن العرش مكان لله تعالى، بل العرش مخلوق أعظم خلقة، وهو سرير ملكه كما سبق. والله تعالى فوقه عال على خلقه أجمعين.

---

(١) راجع الصواعق المرسلة ١/١٨٧-٢٠١، ومختصر الصواعق ١/١١-١٥، ط الجديدة و١/١٤-٢٠ ط القديمة و١٣-١٧ ط دار الكتب العلمية.

(٢) المدارك: ٢/٥٦.

وأما قول النسفي: «وهو الآن كما كان».

فمن أبطل أباطيل الجهمية، لأنه لا شك أن الله تعالى لم يعتره خلل ولا فتور ولا عيب ولا ضعف ولا أية صفة ذميمة سبحانه وتعالى، لا قبل خلق العرش ولا بعد خلق العرش، ولكن الله تعالى لما خلق العرش استوى عليه كما يليق بشأنه بلا كيف ولا تشبيه، وقولهم هذا معناه أن الله تعالى لم يستو على العرش، لأنه الآن كما كان يظنون: أن الله تعالى لم يستو على العرش قبل خلق العرش، فكذلك لم يستو على العرش بعد خلق العرش. هذا هو مفاد كلامهم.

وقولهم: «وهو الآن كما كان» ظاهرا من قبل كلمة حق وأريد بها الباطل.

وأما قوله: «لأن التغير من صفات الأكوان».

فقول في غاية البطلان، لأن هذا من شعارات أهل الكلام المجملة أيضا، فإنه لا شك أن الله تعالى لا يعتريه ضعف ولا سنة ولا نوم ولا يوصف بصفة مذمومة ولا تعتريه عاهات وآفات وبليات سبحانه وتعالى، فالتغير بهذه المعاني منفي عن الله والله منزه ومقدس عنه ألبته.

ولكن هؤلاء الجهمية يسمون كثيراً من صفات الله تعالى - كالغضب والرضا والضحك والرحمة واستوائه على العرش - بأنها تغير، ثم يقولون: إن الله منزه عن التغيير، فإن التغيير من صفات الأكوان، فنقول في الجواب: صحيح أن التغير من صفات الأكوان.

والله تعالى لا يتغير ولا يتبدل ولا تعتريه عاهات وأمراض، ولكن تلك الصفات كالغضب والرضا والضحك والاستواء ونحوها ليس من التغيير في شيء ولا تستلزم التغيير في الله ولا التغيير لله تعالى.

الباطل الحادي عشر:

تأويله لصفة «محبة» الله تعالى عباده المؤمنين: بأن الله تعالى يرضى أعمالهم ويثني عليهم بها، ومعنى محبة العباد المؤمنين لربهم أنهم يطيعونه ويؤثرون رضاه[1].

أقول: هذا المعنى من لوازم المحبة، وليس معنى المحبة، فلا بد من إثبات المحبة وإثبات لازمها، ولا يجوز إثبات لازم المحبة ونفي المحبة نفسها، فنفي الملزوم وإثبات اللازم من أباطيل الجهمية.

فمن صفات الله تعالى: المحبة، ومن صفاته الرضا، ومن أفعاله تعالى أنه يثني على المؤمنين ويثيبهم.

فيجب إثبات جميع ما ورد في الكتاب والسنة لله عز وجل.

الباطل الثاني عشر:

قوله في تفسير قوله تعالى: ﴿**ثم استوى على العرش**﴾[2]: «أي استولى، فقد يتقدس الديان عن المكان، والمعبود عن الحدود».

أقول: أما بطلان تفسير «استوى» باستولى فقد سبق تحقيقه.

وأما التفصيل في قوله: «يتقدس الديان عن المكان» فقد سبق أيضا.

وأما قوله: «والمعبود عن الحدود». فهو أيضاً من مصطلحات أهل الكلام، فهو بظاهره كلمة حق ولكن أرادوا منها الباطل.

---

(١) المدارك: ١/٢٨٨.

(٢) المدارك: ١/٢٨٨.

لأنه إن أُريد به أن الله تعالى لا يحده حد ولا يحبسه حابس ولا يقيده قيد، فهذا حق.

وإن كان القصد به أن الله تعالى ليس في حد الفوق وجهة العلو - كما يزعمه هؤلاء الجهمية النافون لعلو الله - فهو قول من أبطل الأباطيل.

فإن الرسل جميعاً وكتب الله كلها وجميع بني آدم مسلمهم وكافرهم ذكرانهم وإناثهم - ما خلا المعطلة - على الإقرار بأن الله تعالى فوق خلقه عالٍ على العرش.

فللحد معنيان:

الأول: القيد والمنع والحبس والانتهاء، والإحاطة، فالحد بهذا المعنى منفي عن الله تعالى، فهو تعالى ليس بمحبوس ولا محاط، ولا مقيداً سبحانه وتعالى.

ولذا ورد عن بعض السلف نفي الحد عن الله تعالى. كسفيان الثوري وشعبة وحماد بن زيد وحماد بن سلمة وشريك وأبي عوانة، والطيالسي، والطحاوي وغيرهم، ورواية عن الإمام أحمد أيضا فكلهم نفوا الحد عن الله تعالى[1].

ولكن بمعنى أن الله تعالى ليس بمحبوس ولا مقيد ولا محاطاً به.

والمعنى الثاني: أن الحد: التميز والانفصال والبينونة والعلو وعدم الخلط وعدم الحلول وعدم الاتحاد.

فهذا المعنى حق لا يجوز نفيه، فمن نفى الحد بهذا المعنى فقد ارتد عن

---

(١) المدارك: ٢/ ١٣٥.

دين الإسلام، لأن الله تعالى متميز عن الخلق منفصل عنهم بائن عن العالم، عالٍ على خلقه ليس مخلوطاً بهم، ولا حالاً فيهم، ولا متحداً بهم.

وقد ورد عن كثير من السلف إثبات الحد لله تعالى، وهم يعتقدون هذا المعنى الحق، كعبدالله بن المبارك[١]، والدارمي[٢]، وهو رواية عن الإمام أحمد[٣].

فالذين نفوا الحد قصدوا المعنى الأول، وهو الباطل الذي يجب نفيه عن الله عز وجل.

والذين أثبتوا الحد لله قصدوا المعنى الثاني وهو الحق الذي يجب إثباته لله تعالى والإيمان به وهو العلو لله تعالى على خلقه[٤].

ولكن الطامة الكبرى أن طوائف المعطلة من الجهمية والمعتزلة، والماتريدية والأشعرية ينفون عن الله تعالى «الحد» مطلقا فينفون ضمن نفي الحد المعنى الحق الذي هو العلو لله تعالى على عرشه وفوقيته على عباده[٥].

الباطل الثالث عشر:

قوله: (. . . «الرحمنُ» رفع على المدح أي هو الرحمن «على العرش» خبر لمبتدأ محذوف، «استوى» استولى. . .)[٦].

---

(١) انظر شرح الطحاوية لابن أبي العز: ٢٣٨-٢٣٩.

(٢) انظر الدارمي على بشر المريسي ٢٣-٢٥.

(٣) رواه أبو داود عنه كما في التمهيد لابن عبدالبر ٧/ ١٤٢، والدارمي في الرد على بشر المريسي ٢٤، والخلاّل كما في درء التعارض ٢/ ٣٤.

(٤) انظر درء التعارض ٢/ ٣٤. وشرح الطحاوية ٢٣٩-٢٤٠.

(٥) شرح الطحاوية: ٢٣٩.

(٦) المدارك: ٣/ ٤٨ في تفسير سورة طه، الآية (٥).

أقول: تدبر في تفسير هذا المصنف كيف حرّف الآية تحريفاً معنوياً ليعطل صفة الاستواء لله تعالى على عرشه! وليقطع صلة «الرحمن» بـ «على العرش» ليجعل لفظ «الرحمنُ» خبراً لمبتدأ محذوف، وهو «هو» ويجعل: «على العرش» خبراً عن مبتدأ محذوف آخر، مع أن سياق هذه الآية الذي لا يحتمل الاختلاف عليه يقتضي أن: «الرحمن» مبتدأ و«استوى» خبر له، و«على العرش» متعلق بقوله: «استوى». فيكون تقدير العبارة هكذا: «الرحمن استوى على العرش».

وأما المصنف فذكر احتمالاً بعيداً لا يتسق مع سياق الآية، ولا مع كلام العرب الفصحاء البلغاء، فحرف منطوق الآية الذي كان في أعلى مراتب الفصاحة والبلاغة فجعله في أسفل دركات الركاكة، وهذا من سخافات علم الكلام ومن خرافات الجهمية، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، والله المستعان على ما يصفون.

الباطل الرابع عشر:

تحريفه لمعنى قوله تعالى: ﴿**ثم استوى على العرش**﴾. بقوله: «استولى بالاقتدار ونفوذ السلطان»[1].

أقول: إن الله تعالى مقتدر على كل شيء، وسلطانه نافذ في كل شيء، فلا شيء خارج عن سلطانه، وهذا من صفاته الكمالية.

ولكن هذا ليس من معنى «استوائه على عرشه» فاستواؤه على عرشه، صفة كمالية من صفاته. واقتداره ونفوذ سلطانه أيضاً من صفاته الكمالية فلا يجوز إثبات صفة وتعطيل صفة أخرى كما يفعله هؤلاء الجهمية. ولا يصح

---

(١) المدارك: ٢/ ٢٤١.

- لغة - ولا عقلا - أن يقال لمن خَلَقَ شيئاً وامتلكه دون أن يشاركه أحدٌ في الخلق ولم ينازعه أحد في الامتلاك - لا يصح أن يقال له إنه استولى بالاقتدار ونفوذ السلطان، لأن الاستيلاء - أولاً - لا يكون إلاً على ما لدى الغير، والاقتدار ونفوذ السلطان يستلزمان - ثانياً - وجود من ينازعه في الملك فيقهره بالاقتدار ونفوذ السلطان. فإذا انتفى وجود الغير المشارك في الخلق المنازع في الملك فلا معنى إذن للاستيلاء، لأن العرش مخلوق ومملوك لله من الأساس، ويكون معنى الاستيلاء باطلا ولا يجوز تفسير «استوى» به بأي حال.

الباطل الخامس عشر:

تحريفه لقوله تعالى: ﴿**ثم استوى على العرش**﴾. بقوله: «استولى عليه بإحداثه»[1].

أقول: هذا لون آخر من تحريف المصنف، لأن الله تعالى قادر على إحداث جميع خلقه، وليس معنى «استوى على العرش»: أنه قادر على خلقه أو أنه مستولٍ على إحداثه، لا لغة ولا اصطلاحاً، ولم ينقل هذا التأويل عن أحد من السلف، وإنما هو من قيء أهل الكلام المذموم.

الباطل السادس عشر:

تأويله لقوله تعالى: ﴿يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾[2]. بقوله: «إلى سمائي ومقر ملائكتي»[3].

---

(١) المدارك: ٣/ ٢٨٧.

(٢) سورة آل عمران: الآية (٥٥).

(٣) المدارك: ١/ ٢٦٢.

رفع الله عيسى إلى السماء وطهره من الذين كفروا وسينزل عيسى في آخر هذه الأمة حكما عدلاً..

قال ابن سعدي في تفسير قول الله تعالى: **﴿إني متوفيك ورافعك إليّ ومطهرك من الذين كفروا﴾**.

فرفعه الله إليه وطهره من الذين كفروا وصلبوا من قتلوه ظانين أنه عيسى وباءوا بالإثم العظيم وسينزل عيسى بن مريم في آخر هذه الأمة حكماً عدلاً يقتل الخنزير ويكسر الصليب ويتبع ما جاء به محمد ﷺ[1].

أقول: تأويل النسفي فيه نظر والدافع على تفسيره هذا إنكار صفة العلو لله تعالى؛ ولأنه لا حاجة إلى تقدير المضاف قبل ياء المتكلم؛ لأن هذه الآية قد استدل بها أهل السنة على علو الله تعالى، وهي من ضمن تلك الأنواع العشرة من النصوص الدالة على علو الله تعالى على عرشه وعلى فوقيته على خلقه، وقد سردها الإمام ابن القيم رحمه الله وغيره[2].

الباطل السابع عشر:

تأويل المصنف لقوله تعالى: **﴿بل رفعه الله إليه﴾**. بقوله: «(إليه) إلى حيث لاحكم فيه لغير الله، أو إلى السماء»[3].

أقول: هذا باطل من جنس السابق؛ لأنه بيان للازم؛ وقصدهم إبطال الملزوم، والملزوم هو فوقية الله تعالى على خلقه وعلوه على عرشه فعيسى عليه الصلاة والسلام رُفع إلى الله تعالى وهذا يستلزم علو الله تعالى على خلقه

---

(١) تفسير السعدي (١/ ٢٧٥).

(٢) راجع النونية ٥٧-٨٥.

(٣) المدارك: ٤/ ٢٩٠.

أجمعين. والجهمية يعطلون على الله تعالى بأنواع من التأويلات؛ على أن هذه الآية من ضمن تلك الأنواع التي استدل بها أئمة السنة على علو الله عز وجل على خلقه.

الباطل الثامن عشر:

تأويل المصنف قوله تعالى: ﴿**يدبر الأمر من السماء إلى الأرض ثم يعرج إليه**﴾. بقوله: (أي يصير ذلك الأمر إليه ليحكم فيه)[1].

أقول: هذا باطل؛ لأن هذه الآية في الأدلة التي استدل بها أئمة أهل السنة على علو الله على خلقه، وفوقيته على عباده[2]؛ لأن رفع الأمر إلى الله تعالى يستلزم علو الله على خلقه أجمعين، وتأويل رفع الأمر إليه تعالى بصيرورة الأمر إليه تعالى إبطال لعلو الله تعالى على خلقه.

وهذا مايريده الجهمية جميعاً قديماً وحديثاً.

الباطل التاسع عشر:

تأويل المصنف لقوله تعالى: ﴿**تعرج الملائكة والروح إليه**﴾. بقوله: «إلى عرشه ومهبط أمره»[3].

وقصده: أن الملائكة والروح لاتعرج ولاتصعد إلى الله تعالى بل تعرج وتصعد إلى السماء أو مهبط أمره تعالى. والباعث له على هذا التأويل؛ أنه لا

---

(١) المدارك: ٣/ ٣٣٥.
(٢) انظر النونية: ٥٧ - ٨٥.
(٣) المدارك: ٢/ ٦.

يؤمن بعلو الله تعالى على عرشه، وأن فوقية الله على عباده أمر مستحيل عند المصنف، فكيف يمكن عروج الملائكة إلى الله تعالى؟!

لأجل ذلك أوّل عروج الملائكة إليه تعالى بعروجها إلى السماء أو مهبط أمره تعالى، وهذا باطل؛ فإن هذه الآية من أوضح الأدلة التي استدل بها أئمة السنة على علو الله تعالى على خلقه وفوقيته على عباده؛ لأن عروج الملائكة إلى الله تعالى يقتضي أن الله سبحانه وتعالى فوق سماواته عالٍ على عرشه بائن من خلقه جل وعلا[1].

الباطل العشرون:

تأويله لقوله تعالى: ﴿**إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه**﴾[2]. بقوله: (ومعنى قوله «إليه»: إلى محل القبول والرضا، وكل ما اتصف بالقبول وصف بالرفعة والصعود، أو إلى حيث لا ينفذ فيه إلا حكمه)[3].

أقول: هذا التأويل كسابقه من تحريفات الجهمية ومن سايرهم، والمصنف قد حمل صعود الكلم الطيب على معنيين:

الأول: الصعود المعنوي، وهو القبول والرضا.

والثاني: الصعود الحقيقي، ولكن إلى حيث ينفذ فيه حكم الله تعالى؛ وليس المقصود صعود الكلم الطيب إلى الله تعالى عند هؤلاء الجهمية.

---

(١) راجع مختصر الصواعق المرسلة ٢/ ٢٠٥، ط القديمة و٢/ ٣٦٩ ط الجديدة.

(٢) المدارك: ٣/ ٢٨٨.

(٣) راجع مختصر الصواعق المرسلة ٢/ ٢٠٥ - ٢٠٧ ط القديمة، و ٢/ ٢٦٩، ٣٧١ ط الجديدة، وشرح الطحاوية ٣١٩.

وهذان المعنيان باطلان بالمرة؛ لأنهما يقتضيان نفي علو الله تعالى على خلقه وفوقيته على عباده، مع أن هذه الآية من أعظم الأدلة القوية التي استدل بها أئمة السنة سلف هذه الأمة على علو الله تعالى[1]؛ لأن صعود الكلم الطيب إلى الله تعالى يستلزم علو الله تعالى على خلقه أجمعين، وصعود الكلم الطيب إليه تعالى حق ثابت فلازمه - علو الله تعالى - أيضاً حق ثابت؛ لأن لازم الحق حق؛ ولازم الباطل باطل؛ كما أن المنبني على الحق حق ، والمنبني على الباطل باطل؛ لأن فساد الأصول يستلزم فساد الفروع، وفساد الأساس مستلزم لفساد مابني عليه.

الباطل الواحد والعشرون:

تأويل المصنف قوله تعالى: ﴿وهو القاهر فوق عباده﴾[2]. بقوله: (أي عالٍ عليهم بالقدرة والقهر...)[3].

أقول: هذا تعطيل محض وتحريف بحت؛ وذلك لوجهين:

الوجه الأول: أن المؤلف قد فسّر علو الله تعالى بالقدرة والقهر، وهذا تعطيل بحت؛ لأنه تفسير صفة بصفة أخرى، كمن فسر اليد بالقدرة.

وقد سبق نصّ الإمام أبي حنيفة رحمه الله على أن من فسر اليد بالقدرة، فقد عطل الصفة وهو مذهب أهل القدر والاعتزال.

فتبين من هذا النص: أن من فسر علو الله تعالى بالقهر والغلبة، فقد عطّل وأبطل صفة العلو؛ لأن علو الله تعالى صفة من صفاته، كما أن غلبة

(١) راجع النونية: ٥٧ - ٨٥.

(٢) المدارك: ٤/ ٢٧٦. سورة الأنعام/ الآية (١٨)، (٦١).

(٣) انظر الإبانة للأشعري ٢/ ١٠٧، والصواعق المرسلة ٤/ ١٢٤٣ - ١٢٤٥، والأسماء والصفات للبيهقي ٤١٠ - ٤١٢.

الله وقهره صفتان من صفاته، فلا يجوز إثبات صفة وتعطيل أخرى، وهذا هو التعطيل البحت.

الوجه الثاني: أن تفسير «الفوقية» في هذه الآية نفسها قبل صفة «الفوقية»؛ لأن الله تعالى قال: ﴿**وهو القاهر فوق عباده**﴾. فقد ذكر سبحانه وتعالى لنفسه صفتين:

الأولى: صفة «القهر والغلبة والقدرة» وهي في قوله: ﴿**وهو القاهر**﴾.

الثانية: صفة «الفوقية والعلو والارتفاع» وهي في قوله: ﴿**فوق عباده**﴾[١].

فلو فسّرت «الفوقية» بالقهر لبطل مضمون هذه الآية الكريمة ويكون معناها: «وهو القاهر قهر عباده» فتؤول هذه الآية الكريمة إلى صفة واحدة وهي القهر»، فأين راحت صفة «الفوقية» التي دل عليها قوله تعالى: ﴿**فوق عباده**﴾؟ إذ يكون مبنى هذه الآية على التأكيد لا على التأسيس[٢].

وهذا باطل في مثل هذا السياق.

الحاصل: أن حمل «الفوقية» في هذه الآية على القهر والغلبة والقدرة من أبطل الأباطيل.

---

(١) راجع جامع البيان لابن جرير ٧/٢٩ - ٨ ومعالم التنزيل للبغوي ٤/ ٣٧١، وتفسير ابن كثير.

(٢) التأكيد: إعادة المعنى الحاصل قبله، والتأسيس إفادة المعنى الجديد، فالتأسيس خير من التأكيد؛ لأن الحمل على الإفادة خير من الإعادة. انظر تعريفات الجرجاني ٢٧١، ونصب الراية ١/ ٣٦٠.

الباطل الثاني والعشرون:

تأويل المصنف لقوله تعالى: ﴿**يخافون ربهم من فوقهم**﴾. بقوله: («من فوقهم» - إن عَلَّقْتَه بـ «يخافون» - فمعناه: يخافونه أن يرسل عليهم عذاباً من فوقهم. وإن عَلَّقتَه بـ «ربهم» حالاً منه - فمعناه: يخافون ربهم غالباً لهم قاهراً).

يعني: إذا كان شبه الجملة من الجار والمجرور في قوله تعالى: ﴿**من فوقهم**﴾متعلقاً بقوله تعالى: ﴿**يخافون**﴾. فتكون «الفوقية» صفة للعذاب، أي العذاب الآتي من الفوق. وإذا كان «من فوقهم» متعلقا بقوله تعالى: ﴿**ربهم**﴾باعتبار كون الجار والمجرور شبه الجملة حالاً من «الرب» فتكون «الفوقية» صفة للرب تعالى، ولكن «الفوقية» ههنا بمعنى الغلبة والقهر، لابمعنى أن الله تعالى فوق عباده عالٍ على خلقه.

هذا هو مفاد كلام المصنف المحرف المعطّل؟!

أقول: هذان التأويلان كلاهما باطل، وكلاهما تحريف، وكلاهما تعطيل لصفة «علو الله تعالى على خلقه وفوقيته على عباده»:

أما بطلان التأويل الأول:

فلأن الله تعالى أثنى على عباده المؤمنين وملائكته المكرمين الطائعين له ومدحهم بأنهم يخافون ربهم من فوقهم؛ ولا شك أن المؤمن يخاف عذاب الله تعالى؛ سواء كان عذاب من الفوق أو من التحت أو من اليمين أو من الشمال، أو من الخلف أو من الأمام، فليس خوف المؤمن محصوراً في عذاب فوقاني دون غيره! ولكن مفاد كلام هذا النسفي: أن المؤمن يخاف من عذاب الفوقاني فقط، دون عذاب آخر. وهذا ظاهر البطلان!!

لأن قوله: ﴿من فوقهم﴾ على زعم المصنف يكون صفةً للعذاب أو حالاً من العذاب، وعلى أية حال يكون العذاب مقيداً بأنه من الفوق دون التحت وغيره، والمؤمن لايعتقد أن عذاب الله تعالى يكون من الفوق فقط؛ بل عذاب الله تعالى قد يكون من الفوق وقد يكون من التحت؛ كما قال سبحانه وتعالى: **﴿قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذاباً من فوقكم أو من تحت أرجلكم أو يلبسكم شيعاً ويذيق بعضكم بأس بعض انظر كيف نصرف الآيات لعلهم يفقهون﴾**.

أقول: انظر أخي المسلم وتدبر هذه الآية الكريمة وافقها فقه السلف لا تأويل الجهمية لها، وانظر كيف أن الله تعالى ذكر في هذه الآية أنواعاً عن عذابه من جميع الجهات الست: من الفوق والتحت والخلف والأمام واليمين والشمال، وهكذا صرف الله تعالى آياته لعلهم يفقهون، ولكن الجهمية وأفراخهم خاصة لايفقهون؛ حيث قيدوا العذاب بأنه يكون من الفوق فقط!!

وأما بطلان التأويل الثاني فلوجوه ثلاثة:

الوجه الأول: أن قوله تعالى: **﴿من فوقهم﴾ لو جُعل حالاً للرب في قوله تعالى: ﴿ربهم﴾**لكان معنى الآية: أن هؤلاء المؤمنين والملائكة يخافون ربهم حال كونه غالباً قاهراً، فيكون خوفهم من الله مقيداً بحالة الغلبة والقهر، كخوف الناس من ملوكهم خوفاً طبيعياً لا خوفاً دينياً.

وذلك أن القاعدة النحوية التي اتفق عليها النحاة أن الحال قيد لعامل ذي الحال، والحال هنا «من فوقهم» وذو الحال «ربهم» وعامل ذي الحال ههنا «يخافون»، فصار الحال قيداً للخوف، وذلك مثل قولك: جاءني زيدٌ راكب،

فصار مجيء زيد ههنا مقيداً بحالة الركوب، وكذلك قولك: «رأيت النسفي معطلاً فتكون رؤيتك للنسفي مقيدة بقيد التعطيل. أي رأيت النسفي في حالة كونه معطلاً أو في حالة التعطيل».

والوجه الثاني: أن كلمة «مِنْ» في وقوله تعالى: **﴿من فوقهم﴾** تعين المقصود من الفوقية، وتبين أن المراد من الفوقية الذاتية الحقيقية لله عز وجل، والعلو المطلق لله سبحانه، فمعنى الآية يخافون ربهم الذي هو عال عليهم أزلاً وأبداً، ودائماً وسرمداً، لأن «العلو» صفته الذاتية الحقيقية.

الوجه الثالث: أن هذه الآية من أعظم الحجج التي احتج بها أئمة السنة على إثبات صفة «العلو» المطلق الذاتي الحقيقي لله تعالى على خلقه وفوقيته على عباده.

لكن تأويل المؤلف ينفي علو الله تعالى على خلقه ويعطل فوقيته على عباده.

الحاصل: أن تأويلات المؤلف لهذه الآية الكريمة باطلة كلها، فهي تتضمن تعطيل صفة العلو وتحريف نصوصها.

والله الهادي إلى سواء السبيل.

الباطلان: الثالث والعشرون، والرابع والعشرون:

فالأول: تحريف جهمي كلامي.

والثاني: تحريف قرمطي باطني سفسطي:

وهما في تأويله لقوله تعالى: **﴿أأمنتم من في السماء...﴾**[1]

---

(١) المدارك: ٤/ ٢٢٢.

بقوله: («أأمنتم من في السماء» أي في ملكوته في السماء؛ لأنها مسكن ملائكته، ومنها منزل قضاياه وكتبه وأوامره ونواهيه، فكأنه قال: أأمنتم خالق السماء وملكه؛ أو لأنهم [أي المشركين] كانوا يعتقدون التشبيه، وأنه في السماء، وأن الرحمة والعذاب ينزلان منه؛ فقيل لهم على حسب اعتقادهم: أأمنتم من تزعمون أنه في السماء وهو متعالٍ عن المكان).

أقول: هذا تحريف لكتاب الله تعالى؛ فقد حرف هذه الآية بتحريفين فاضحين: أحدهما تحريف كلامي جهمي، والآخر تحريف باطني قرمطي:

أما التحريف الأول: فهو تأويل قوله تعالى: **﴿من في السماء﴾ بمن ملكوته في السماء، يعني أن الله تعالى ليس في السماء بل ملكوته في السماء، وهذا تحريف محض؛ لأنه خارج عن لغة العرب ولا يقتضيه سياق هذه الآية البتة؛ فإن كلمة «من» اسم موصول بمعنى «الذي» والمراد هو الله تعالى وكلمة «في» بمعنى «على» و«السماء» هو «العلو» فكل ما علا فهو سماء، فكلمة «في» ليست للظرفية، و«السماء» ليس المراد منها الفلك والجسم، بل المراد جهة العلو.**

فمعنى هذه الآية الكريمة عند سلف هذه الأمة وأئمة السنة: أما تخافون الله الذي هو على السماء العالي على خلقه وفوق عباده أن يرسل عليكم حاصباً، وأن يخسف بكم الأرض.

تم سياق هذه الآية وكلمة «مَنْ» الموصولة، وكلمة «يرسل» وكلمة «يخسف» مع كثرة تلك الآيات القرآنية والأحاديث النبوية وفطرة جميع بني آدم كلها تدل دلالة قاطعة على أن تأويل هذا المؤلف لهذه الآية تحريف وهمي، كما تدل على أن الصحيح الحق الصريح هو أن الله تعالى في جهة العلو فوق العالم عالٍ على خلقه أجمعين.

وأما التحريف الثاني: وهو أشنع من الأول بل هو تحريف قرمطي سفسطي: هو قول المؤلف: إن هذه الآية محمولة على زعم المشركين من المشبهة: أن الله تعالى فوق السماء، فقال الله تعالى لهم: أنتم أيها المشركون المشبهون تعتقدون أن الله تعالى في السماء، فلم لا تخافونه.

أقول: قصد المؤلف أن عقيدة كون الله تعالى في السماء، من العقائد الفاسدة للمشبهة المشركين، وليست هذه العقيدة من العقائد الصحيحة للموحدين المسلمين!!

وأقول: انظر أيها المسلم كيف حرّف المصنف هذه الآية وكيف خرق معنى هذه الآية!! حتى جعل العقيدة السلفية - أي العلو لله تعالى - عقيدة للمشبهة المشركين، فقد حكم على عقيدة جميع الأنبياء والمرسلين والصحابة والتابعين وأئمة هذا الدين - وهي عقيدة علو الله تعالى على خلقه - بأنها عقيدة المشبهة المشركين.

وقد رد عليه علامة العراق الألوسي المفسر حيث قال:

«. . . .، وقيل هو مبني على زعم العرب حيث كانوا يزعمون أنه سبحانه في السماء؛ كأنه قيل: أأمنتم من تزعمون أنه في السماء. وهو متعالٍ عن المكان!! وهذا في غاية السخافة، فكيف يناسب بناء الكلام في مثل هذا المقام على زعم بعض[1] الجهلة، كما لا يخفى على المصنف».

ثم ذكر الألوسي عدة نصوص لأئمة الإسلام على إقرار الصفات لله تعالى ولا سيما صفة العلو له تعالى، وقال: «وأئمة السلف لم يذهبوا إلى غيره تعالى».

---

(١) هكذا في روح المعاني، وهو خطأ والصواب: «على زعم بعض الجهلة».

أقول: يعني الألوسي: أن معنى الآية عند السلف أأمنتم الله الذي في السماء أي في العلو، بأن المراد من قوله «مَنْ» هو الله تعالى لا غير.

ثم قال الألوسي أيضاً.

«وحديث الجارية[١] من أقوى الأدلة لهم في هذا الباب[٢]، وتأويله[٣] بما أوّل به الخلف خروج عن دائرة الإنصاف عند أولي الألباب»[٤].

الباطل الخامس والعشرون:

تأويله لقوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ﴾[٥].

وتفسيره للظاهر بأنه ظاهر بالأدلة الدالة عليه.

---

(١) وهو قوله ﷺ للجارية: «أين الله» فقالت: في السماء، فقال ﷺ: «اعتقها إنها مؤمنة» رواه مسلم ١/ ٣٨١ - ٣٨٢، ومالك / ٧٧٦-٧٧٨، وأبو داود ١/ ٥٧٠-٥٧٢، ٣/ ٥٨٧ - ٥٨٨، والنسائي ٣/ ١٤ -١٨، والشافعي في الرسالة ٧٥-٧٦، والأم ٥/ ٢٨١، والطيالسي ١٥، وابن أبي شيبة في الإيمان ٢٧ - ٢٨، وأحمد ٥/ ٤٤٧ - ٤٤٩، والدارمي في الرد على المريسي ٩٥، وعلى الجهمية ٢١، وابن أبي عاصم في السنة ١/ ٢١٥، وعبدالله في السنة ١/ ٣٦، وابن الجارود في المنتقى ٨٢ - ٨٣، وابن خزيمة في التوحيد ١/ ٢٧٨ - ٢٨٢، وأبو عوانه ٢/ ١٤١ - ١٤٣د وابن حبان (الإحسان) ٤/ ٩ - ١٠، والطبراني في الكبير ١٩/ ٣٩٨ -٣٩٩، وابن منده في الإيمان ١/ ٢٣٠-٢٣١، وأبو حنيفة كما في مسند الحصكفي واللالكائي في شرح الاعتقاد ٣/ ٣٩١-٣٩٢، والبيهقي في الكبرى ٧/ ٣٨٧، ١٠/ ٥٧، وفي الأسماء والصفات ٤٢١-٤٢٢، وابن عبدالبر في التميد ٧/ ١٣٤، ١٣٥، والبغوي في شرح السنة ٣/ ٢٣٧، ٢٣٩، ٩/ ٢٤٦-٢٤٧، والموفق في العلو ٤٦.

(٢) أي في باب إثبات صفة العلو لله تعالى.

(٣) أي تأويل باب صفة العلو خاصة وبقية الصفات عامة.

(٤) روح المعاني ٢٩/ ١٥-١٦.

(٥) سورة الحديد: الآية (٣).

أقول: التفسير الصحيح للظاهر: أنه فوق كل شيء، كما في الحديث: «**أنت الظاهر فليس فوقك شيء**»[1].

والتفسير الذي ذكره النسفي لا يؤدي هذا المعنى، فلا بد من إثبات اللازم والملزوم جميعاً، ولكن المعطلة يعطلون الملزوم ويثبتون اللازم!!

وهذا من أباطيلهم التي هي من الإلحاد في أسماء الله وصفاته.

الباطل السادس والعشرون:

تأويله لقوله تعالى: ﴿تَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِي وَلَآ أَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِكَۚ﴾[2].

يقول: «والمعنى: تعلم معلومي ولا أعلم معلومك».

أقول: المعلوم من لوازم النفس لا عين النفس.

تنبيه علمي مهم: عد كثير من السلف «النفس» صفة من صفات الله تعالى كأبي حنيفة وابن خزيمة وغيرهما.

ويالغ الدارمي (٢٨هـ) فاستنبط «الضمير» لله تعالى من نصوص «النفس».

ولكن صنيع الدارمي هذا فيه نظر؛ لأنه لا يتمشى مع مذهب السلف، مع أن الدارمي من السلف؛ لأن «الضمير» لم يرد إثباته لله عز وجل؛ فإثباته له تعالى بدون حجة وبراهين بدعة بلا شك؛ فإن أسماء الله تعالى وصفاته توقيفية، لكن لا يجوز لنا أن نقول: «إن الدارمي متبدع بسبب هذا القول». لأنه لا يطلق «لفظ التبدع» إلا على شخص يكون على منهج أهل البدع وأما إذا

---

(١) سبق تخريجه ص٣٤.

(٢) سورة المائدة: الآية (١١٦).

وجدنا إماما من أئمة وقع في بدعة ما خطأ لا يجوز لنا أن نقول: إنه مبتدع ونقول ههنا: إن قصده الدارمي صحيح وصنيعه هذا غير صحيح.

وأما البخاري فقد ساق نصوص «النفس» ولكن لم يصرح أنها من صفات الله تعالى.

ولكن قد صرح شيخ الإسلام ابن تيمية بأن «النفس» ليست من صفات الله تعالى بل المراد من النفس ذات الله تعالى؛ لأن نفس الشيء ذاته وعينه، ونصوص «النفس» ليست من نصوص الصفات.

وبعد هذا أقول: يجب اتباع السلف ولا يجوز تأويل «النفس» بأقوال أهل الكلام.

الباطل السابع والعشرون:

تأويله لقوله تعالى: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ﴾[1]. بقوله: (يعني: أنا راعيك ومراقبك كما يراعي الرجل الشيء بعينه).

فجعل الكلام على التشبيه والمجاز؛ وهذا تعطيل لصفة «العين» والذي ذكره من المراعاة والمراقبة، فهو لازم للعين، وليس ذلك معنى للعين، فلا بد من إثبات العين وإثبات لوازمها، فإن الشيء إذا ثبت ثبت معه لوازمه، ولا يجوز إثبات اللازم بدون إثبات الملزوم.

الباطل الثامن والعشرون:

تأويله لقوله تعالى: ﴿وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِ﴾[2]. بقوله: (وجه الله أي رضا الله، ولطلب ما عنده).

---

(١) سورة طه: الآية (٣٩).

(٢) سورة البقرة: الآية (٢٧٢).

أقول) وجه الله هو وجهه الكريم.

والوجه من صفات الله تعالى، كاليد، والعين، واليمين، والقيومية، والقدم، وقد وردت النصوص على إثباتها، فلا يجوز تعطيلها وتحريف نصوصها.

فالذي ذكره المؤلف هو حق ولكن ليس هو معنى الوجه، بل هو لازم الوجه، فلا بد من إثبات الوجه وإثبات لازمه أيضاً.

الباطل التاسع والعشرون:

تأويله لقوله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾[1]. بقوله: (فالوجه يعبر به عن الذات).

أقول: لا شك أن الوجه يعبر به عن الذات؛ ولكن الذات ليست من معاني الوجه، ثم لا شك أن المراد من الآية هو الله تعالى بذاته سبحانه، ولكن هذا لا ينفي أن يكون لله تعالى وجه كريم.

فلا بد من إثبات الوجه لله تعالى، لورود النصوص الصريحة على ذلك، ولكن في سياق بعض الآيات قد يراد من الوجه الذات، بحسب القرائن وليس في ذلك نفي وجه الله الكريم.

وإذا لم يكن لله تعالى وجه كريم في زعم الماتريدية فهل يمكن لهم رؤية الله يوم القيامة.

اللهم ارزقنا النظر إلى وجهك الكريم آمين.

(١) سورة القصص: الآية: (٨٨).

الباطل الثلاثون:

تأويله لقوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ﴾[1]. بقوله: (أي بتصرفه الملك).

أقول: ترى المصنف قد فسّر «اليد» بالتصرف؛ وهذا التصرف في معاني صفات الله تعالى من تصرف الجهمية وليس ذلك من تصرف السلف عامة والإمام أبي حنيفة الذي ينتسب إليه هذا المصنف خاصة، فقد صرّح الإمام أبو حنيفة أن من فسر «اليد» بالقدرة فقد أبطل الصفة وعطّل، وهو مذهب أهل القدر والاعتزال. كما سبق.

الأباطيل من الحادي والثلاثين حتى الخامس والثلاثين:

تأويل المؤلف لصفتي «القبضة» و«اليمين» في قوله تعالى: ﴿وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَٱلسَّمَـٰوَٰتُ مَطْوِيَّـٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ﴾[2]. بقوله: (نبههم على عظمته وجلال شأنه على طريقة التخييل...، والمراد بهذا الكلام إذا أخذته كما هو بجملته ومجموعه، تصوير عظمته والتوقيف على كنه جلاله لا غير، لا عن ذهاب بالقبضة ولا باليمني إلى جهة حقيقية أو جهة مجاز...، وقيل: قبضته، ملكه بلا مدافع ولا منازع، وبيمينه بقدرته، وقيل: مطويات بيمينه مفنيات بقسمه، لأنه أقسم أن يفنيها.

أقول: هذا النسفي المعطّل الماتريدي المضلّ قد وقع في عدة تحريفات

---

(١) سورة الملك: الآية: (١).

(٢) سورة الزمر: الآية (٦٧).

لمعنى هذه الآية وارتكب عدة تعطيلات لهاتين الصفتين: «القبضة» و«اليمين»!!

التحريف والتعطيل الأولان:

أن المؤلف قد حمل هذه الآية على تخييل أهل الخيال، لا على الحقيقة فعطّل صفتي «القبضة» و«اليمين» لله تعالى، وجعلهما تخييلاً فحسب، لا حقيقة ثابتة!!

سبحان الله وتعالى عمّا يصفون.

مع أن «القبضة» و«اليمين» قد وردتا صفتين لله تعالى في عدة أحاديث صحيحة صريحة.

كحديث: **«يقبض الله الأرض ويطوي السماوات بيمينه»**[1].

وحديث: **«يمين الله ملأى»**[2].

وحديث: «... **إلا أخذها الرحمن بيمينه**»[3].

وحديث: «... **تكون الأرض... يتكفؤها الجبار بيده...**»[4].

الحاصل: أن «القبضة» و«اليمين» صفتان من صفاته تعالى وهما صفتان حقيقيتان، وليستا من خيالات أهل التخييل والتعطيل والتضليل!!

---

(١) أخرجه البخاري (٤٨١٢) التفسير/ باب (والأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه) ومسلم (٢٧٨٧).

(٢) أخرجه البخاري (٧٤١٩) التوحيد/ باب (وكان عرشه على الماء وهو رب العرش العظيم) ومسلم(٩٩٣).

(٣) أخرجه مسلم (١٠١٤) وغيره.

(٤) أخرجه البخاري (٦٥٢٠) الرفاق/ باب (يقبض الله الأرض يوم القيامة) ومسلم (٢٧٩٢).

التحريف والتعطيل الثانيان:

أن المؤلف قد حمل هذه الآية الكريمة على التصور، لا على الحقيقة، وزعم أن المراد في «القبضة» و«اليمين» مجرد تصور عظمة الله تعالى، والوقوف على كنه جلالته، لا غيره.

أي ليس لله تعالى «قبضة» ولا «يمين» بل ذكرت هاتان الصفتان لمجرد التصوير فحسب، مع أن نصوص الكتاب والسنة مستفيضة على أن الله تعالى له «قبضة» وأن له «يميناً». وهما صفتان من صفاته سبحانه وتعالى، ولا شك أن حمل هذه الآية على التصوير المجرد وحمل هاتين الصفتين على التصوير المجرد ليس إلا تعطيل لهاتين الصفتين وتحريفاً لنصوصهما.

التحريف والتعطيل الثالثان:

أن المؤلف قد جعل هذه الآية في منزل بين المنزلتين، لا حقيقة ولا مجازاً! مع أن هؤلاء الجهمية يقسمون الكلام إلى حقيقة، ومجاز، والكلام إما حقيقة عندهم، وإما مجازاً، ولا يوجد عندهم كلام لا يكون حقيقة ولا مجازاً.

فهل يعقل على طريقتهم الباطلة أن تكون هذه الآية في منزلة لا تكون حقيقة ولا مجازاً!؟

مع أن الحق الصريح أن هذه الآية مثل بقية الآيات في غاية من الحقيقة الثابتة في نفس الأمر، فجعل هاتين الصفتين لا حقيقة ولا مجازاً، ليس إلا تعطيلاهما وتحريفاً لنصوصهما.

التحريف والتعطيل الرابعان:

وهما زعم المؤلف أن المراد من «القبضة»: ملك الله تعالى، والمراد من «اليمين» قدرة الله تعالى.

فأوّل «القبضة» بالملكِ، و«اليمين» بالقدرة.

وهذان تعطيلان صريحان، ولنصوصهما تحريفان قبيحان، فقد صرح الإمام أبو حنيفة - رحمه الله - أن تأويل اليد بالقدرة تعطيل لصفة اليد، وهو مذهب أهل القدر والاعتزال، كما سبق نصه الصريح[1].

التحريف والتعطيل الخامسان:

زعم المؤلف: أن المراد من «اليمين» في قوله تعالى: ﴿**مطويات بيمينه**﴾ هو «القسم» و«الحلف» والمعنى: «أن السموات ستفنى بحلف الله تعالى وقسمه».

أقول: هذا من أعظم تحريفات الجهمية للصفات ونصوصها، وأبعد عن مراد هذه الآية وسياقها.

---

(١) ص ٩٥.

الخاتمة

الحمدلله الذي بنعمته تتم الصالحات، والذي وفّق لكشف هذه الأخطاء والتنبيه عليها حتى يحذر منها المسلمون، وما كان من صواب في كلامنا فهذا من فضل الله تعالى، وما كان من خطأ فنستغفر الله منه ونسأله العصمة من الزلل. إنه جوادٌ كريم، والحمدلله رب العالمين.

بقلم

د. محمد بن عبدالرحمن الخميس

٢٦/٧/١٤١٥هـ

الفصل الرابع

التأويلات في كتاب كلمات القرآن
تفسير وبيان لمخلوف

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لاشريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾[1].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾[2].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾[3].

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار.

أما بعد: فقد جرى الأستاذ/ حسنين محمد مخلوف في كتابه «كلمات القرآن تفسير وبيان» على طريقة أهل الكلام من تأويل بعض الآيات المتعلقة بالصفات وعدم إجرائها على ظاهرها وإمرارها كما جاءت وقد طلب مني

---

(١) سورة آل عمران آية (١٠٢).

(٢) سورة النساء آية (١).

(٣) سورة الأحزاب آية (٧٠ - ٧١).

بعض الفضلاء التعليق على ما وقع فيه المؤلف من التأويلات فأجبته إلى طلبه رغبة مني في إظهار الحق وبيانه، وكتبت ما بدا لي من ملحوظات على الكتاب، والله أسأل أن يجعلها خالصة لوجهه الكريم وأن ينفع بها المسلمين، والله من وراء القصد وهو حسبنا ونعم الوكيل.

بسم الله الرحمن الرحيم

ملحوظات على كتاب «كلمات القرآن تفسير وبيان» للشيخ حسنين محمد مخلوف:

أولا: جاء في صفحة (٨٨) الآية (٥٤) من سورة الأعراف، وكذلك صفحة (١١٢) وصفحة (١٣٤) وصفحة (١٧٧٧) وصفحة (٢١١) وصفحة (٢٣٦) وصفحة (٢٧٧) وصفحة (٣٢٣).

في قوله تعالى: ﴿**استوى على العرش**﴾. قال الشيخ «مخلوف»: (استوى بالمعنى اللائق به سبحانه).

* قلت: إن كان يريد بكلامه هذا تفويض كيفية الاستواء فهذا حق لأن الكيفية على الوجه اللائق به سبحانه ولا يعلم ذلك إلا الله كما قال الإمام مالك:

«... والكيف مجهول».

وأما إن كان يريد بذلك أن معنى الاستواء نفسه مجهول فهذا فرار من إثبات صفة العلو والاستواء على العرش لأن السلف ذكروا أن الاستواء معناه العلو والارتفاع والاستقرار[(١)].

وعبارة المؤلف مبهمة تحتمل كلا المعنيين، ولكن السلف لم يجهلوا معنى الاستواء كما قال الإمام مالك وغيره: «الاستواء معلوم»[(٢)] وورد في ألفاظ أخرى: «الاستواء غير مجهول والكيف غير معقول».

---

(١) انظر صحيح البخاري (٣٨٧/٤) ومن أراد المزيد فليراجع كتاب «اجتماع الجيوش الاسلامية» وكتاب «العلو».

(٢) الأثر: أخرجه ابن عبد البر في التمهيد (١٣٨/٧) من طريق عبدالله بن نافع عن مالك بن أنس والصابوني في عقيدة السلف أصحاب الحديث ص (١٧ - ١٨) وابو نعيم في الحلية (٣٢٥/٦ -

ثانيا: جاء في صفحة (١١٤) الآية (٢١) من سورة يونس.

في قوله تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًاۚ﴾. قال الشيخ مخلوف: (أعجل جزاء وعقوبة).

* قلت: حقيقة المكر تدبير محكم في إنزال العقوبة بالمجرم من حيث لايشعر فهو أخص من مطلق العقوبة والجزاء، لأنه عقوبة على وجه مخصوص.

* * *

ثالثا: جاء في صفحة (١٣٥) الآية (٩) من سورة الرعد.

في قوله تعالى: ﴿ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ ۝٩﴾.

قال الشيخ مخلوف (المستعلي على كل شيء بقدرته).

* قلت: هذا أحد معاني العلو الثابتة له سبحانه، فهو المتعالي على كل شيء بقهره، والمتعالي عن كل سوء ونقص بكماله، والمتعالي بذاته فوق خلقه.

* * *

رابعا: جاء في صفحة (٢٣٥) الآية (٢٧) من سورة لقمان.

في قوله تعالى: ﴿مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِۗ﴾. قال الشيخ مخلوف: (مقدوراته وعجائبه أو معلوماته).

= ٣٢٦) جمعهم من طريق جعفر بن عبدالله عن مالك (٦/ ٣٢٥ - ٣٢٦) وأخرجه الصابوني عقيدة السلف ص(١٧) من طريق جعفر بن ميمون عن مالك والبيهقي في الأسماء والصفات ص(٤٠٨) من طريق عبدالله بن وهب عن مالك قال الحافظ في الفتح (٤٠٦/١٠٣ - ٤٠٧) إسناده «جيد» وصححه الذهبي في العلو (ص١٠٣).

* قلت: تفسير كلمات الله بمقدوراته أو بمعلوماته خلاف ما فهمه السلف منها، وهو بالتالي عدول عن ظاهر اللفظ، بل كلماته سبحانه هي كلامه وقوله الذي لانفاد له، لأنه سبحانه أول بلا ابتداء، آخر بلا انتهاء، ولم يزل ولايزال يتكلم بما شاء إذا شاء فلا حد لكلامه سبحانه فيما مضى ولافيما يُستقبل، وما يقدر من الأشجار والبحور لتكتب به كلمات الله لابد أن يفنى وينتهي، وكلام الله لانفاد له، وتفسير كلمات الله بمقدوراته أو معلوماته تفسير لها بأمور وجودية وعدمية، وكلمات الله تعالى الموصوفة بأنها لاتنفد هي أمور وجودية، وكأن هذا التفسير الذي ذكره المؤلف يرجع إلى مذهب الأشاعرة في كلام الله، وهو أن كلام الله معنى واحد نفسي قديم فلا يوصف بالتعدد وهو خلاف مذهب أهل السنة والجماعة، فإنهم يقولون: (لم يزل الله ولا يزال يتكلم بما شاء إذا شاء وكيف شاء وكلماته لا نهاية لها، فيوصف تعالى بأنه قال ويقول ونادى وينادي كما أخبر بذلك تعالى عن نفسه وهو أعلم بنفسه وبغيره، وأصدق قيلا وأحسن حديثاً من خلقه)[1].

خامساً: جاء في صفحة (٢٤٨) الآية (١٠) من سورة فاطر.

في قوله تعالى: ﴿وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾.

قال الشيخ مخلوف: (يرفع الله العمل الصالح ويقبله).

* قلت: هذا أحد القولين في تفسير الآية، والقول الثاني أن العمل الصالح يرفع الكلم الطيب لأنه برهان صدق الإنسان في كلامه الطيب، فإذا صدق فعله قوله كان حقيقاً وجديراً بأن يرفعه الله تعالى ويقبله، وهذه الآية

---

(١) انظر تفسير ابن جرير (٢١/ ٨٠ - ٨٢) وتفسير البغوي (٦/ ٢٩٢) وتفسير السعدي (٦/ ١٦٦).

من أعظم حجج أهل السنة على أهل البدع في باب إثبات صفة العلو لله تعالى[١].

سادسا: جاء في صفحة (٣٢٩) الآية من سورة الحديد.

في قوله تعالى: ﴿**والظاهر والباطن**﴾.

قال الشيخ مخلوف: (الظاهر بوجوده ومصنوعاته وتدبيره) (والباطن بكنه ذاته عن العقول).

* قلت: الأولى تفسير هذين الاسمين: «الظاهر والباطن» بما فسرهما به النبي ﷺ في قوله: «وأنت الظاهر فليس فوقك شيء، وأنت الباطن فليس دونك شيء»[٢]، فيكون اسمه الظاهر دالا على علوه على خلقه واسمه الباطن دالا على إحاطة علمه وأنه لايحجبه شيء فسمعه واسع لجميع الأصوات، وبصره نافذ إلى جميع المخلوقات.

* * *

سابعا: جاء في صفحة (٣٥٠) الآية (٤٢) من سورة القلم.

في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾.

قال الشيخ «مخلوف»: (كناية عن شدة هول القيامة).

* قلت: هذا أحد القولين في تفسير الآية، والقول الثاني: أن المراد يكشف الله عن ساقه، ويدل لهذا الحديث الثابت في الصحيح[٣]، والسلف

---

(١) انظر تفسير ابن كثير (٥/ ٥٧٢ - ٥٧٣).

(٢) سبق تخريجه ص٣٤.

(٣) أخرجه البخاري كتاب التوحيد باب قول الله تعالى: ﴿**وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة**﴾ (١٣/ ٤٣١ حديث رقم ٧٤٣٩) وأخرجه أيضاً مسلم حديث ١٨٣ من طريق عطاء بن يسار عن أبي سعيد الخدري).

لم يختلفوا في إثبات صفة الساق كرجله ويده وإنما اختلفوا في تفسير هذه الآية.

فقال بعضهم: «المراد بالساق ساق الله فالله يكشف عن ساقه فيسجد له المؤمنون حينئذ كما في الصحيحين»[1].

وقال بعضهم: «إن المراد شدة الهول» فلم يجعلوها من آيات الصفات، ولكنهم لم ينفوا صفة الساق الثابتة في السنة، فلم يثبتوا صفة الساق بنص القرآن وإنما أثبتوها بالسنة ولا منافاة بين القولين، فالله يكشف عن ساقه يوم شدة الهول.

بخلاف المعطلة فإنهم لايؤمنون بصفة الساق ولايثبتونها لا بالقرآن ولا بالسنة، بل حملوا الآية والحديث على شدة العذاب، وهذا وإن كان محتملاً

---

(١) لفظه عند البخاري أن أبا سعيد الخدري قال: (قلنا يا رسول الله: هل نرى ربنا يوم القيامة؟ قال: هل تضارون في رؤية الشمس والقمر إذا كانت صحوا؟ قلنا: لا قال: فإنكم لاتضارون في رؤية ربكم يومئذ إلا كما تضارون في رؤيتهما.

ثم قال: ينادي مناد ليذهب كل قوم إلى ماكانوا يعبدون فيذهب أصحاب الصليب مع صليبهم وأصحاب الأوثان مع أوثانهم وأصحاب كل آلهة مع آلهتهم حتى يبقى من كان يعبد الله من بر أو فاجر وغيره من أهل الكتاب ثم يؤتى بجهنم تعرض كأنها سراب فيقال لليهود ما كنتم تعبدون؟ قالوا كنا نعبد عزيزا ابن الله فيقال كذبتم لم يكن لله صاحبة ولا ولد فما تريدون؟ قال نريد أن تسقينا فيقال اشربوا فيتساقطون في جهنم ثم يقال للنصارى ما كنتم تعبدون؟ فيقولون كنا نعبد المسيح ابن الله فيقال كذبتم لم يكن لله صاحبة ولا ولد فما تريدون فيقولون نريد أن تسقينا فيقال اشربوا فيتساقطون حتى يبقى من كان يعبد الله من بر أو فاجر فيقال لهم ما يحبسكم وقد ذهب الناس فيقولون فارقناهم ونحن أحوج منا إليه اليوم وإنا سمعنا مناديا ينادي ليلحق كل قوم بما كانوا يعبدون وإنما ننتظر ربنا قال فيأتيهم الجبار في صورة غير صورته التي رأوه فيها أول مرة فيقول أنا ربكم فيقولون أنت ربنا فلا يكلمه إلا الأنبياء فيقول هل بينكم وبينه آية تعرفونه؟ فيقولن الساق فيكشف عن ساقه فيسجد له كل مؤمن ويبقى من كان يسجد لله رياء وسمعة فيذهب كيما يسجد فيعود ظهره طبقا واحدا... (الحديث). كتاب التوحيد/ باب قوله تعالى (وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة) ح(٧٤٣٩). وأخرجه مسلم (١٨٣).

في الآية فإنه لايحتمل في تفسير الحديث، لورود الساق مضافة إلى الضمير العائد على الله تعالى[1].

ثامنا: جاء في صفحة (٣٨٤) الآية (١) من سورة الأعلى.

في قوله تعالى: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ﴾، ولم يذكر «الأعلى» وهي تمام الآية، ومعناه الأعلى من كل شيء، فهو أفعل تفضيل دال على علوه تعالى بكل معاني العلو فهو الأعلى قدراً ومنزلة، وهو الأعلى بالقهر والغلبة، وهو الأعلى بذاته فوق كل شيء وفي ذكر اسمه الأعلى في هذا الموضع بيان لموجب استحقاقه للتسبيح وهو التنزيه عن النقائص.

* * *

(١) انظر تفسير ابن جرير (٢٩ - ٣٨ - ٤٢) وتفسير ابن كثير (٧/ ٩٠ - ٩١).

فهرس المراجع

(١)- تفسير ابن جرير الطبري «جامع البيان» طبعة مكة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر الطبعة الثالثة (١٣٨٨هـ).

(٢)- تفسير البغوي المسمى «معالم التنزيل» للإمام أبي محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي الشافعي إعداد وتحقيق خالد عبد الرحمن ومروان سوار دار المعرفة ببيروت لبنان الطبعة الأولى (١٤٠٦هـ).

(٣)- تفسير ابن السعدي طبع المؤسسة السعدية.

(٤)- العلو للعلي الغفار للحافظ الذهبي ط السلفية المدينة.

(٥)- عقيدة السلف أصحاب الحديث لأبي اسماعيل الصابوني تحقيق وتخريج بدر البدر الدار السلفية الكويت.

(٥)- مجموع فتاوى ابن تيمية جمع وترتيب عبد الرحمن ابن محمد بن قاسم العاصمي النجدي الحنبلي الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والافتاء والدعوة والارشاد تصوير عن الطبعة الأولى (١٣٩٨هـ).

الباب الثاني:

الهفوات العقدية في بعض كتب علوم القرآن

وفيه فصلان:

الفصل الأول:

تأويلات الراغب في المفردات

الفصل الثاني:

أخطاء الزرقاني المعاصر في مناهل العرفان

الفصل الأول:

التنبيهات على تأويلات الراغب في كتاب المفردات

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ونم يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ (آل عمران: ١٠٢).

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾(النساء: ١).

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ (الأحزاب: ٧٠-٧١).

أما بعد:

فقد رغَّب لي بعض الاخوة أن أقوم ببيان التأويلات التي وقع فيها الراغب الأصفهاني في كتابه (مفردات القرآن) خصوصا وأن كتابه يعد مرجعاً لا يكاد يستغني عنه طلبة العلم فتتبعت تلك الأخطاء التي وقعت في الكتاب، وسجلتها في هذه الرسالة التي أسأل الله تعالى أن يجعلها في الميزان يوم نلقاه، وأن ينفع بها من قرأها، وهي في الواقع تنبيهات وليست ردا بالمعنى المفهوم، كما أنها لا تنقص من شأن الكتاب ولا مؤلفه.

والله أسأل القبول والسداد، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

بقلم: د. محمد بن عبدالرحمن الخميس

الخطأ الأول: صفحة (٨، ١٤٠)

أوَّل صفة المجيء: فجعلها مجيء الأمر والتدبير. وهذا معنى باطل.
والصواب أن الآيات فيها إثبات مجيء الله تعالى يوم القيامة على الوجه اللائق به عز وجل من غير تشبيه ولا تمثيل، ولا تكييف ولا تعطيل، فهي من صفاته تعالى المقدسة.

قال ابن جرير رحمه الله تعالى: «يقول تعالى ذكره، وإذا جاء ربك يا محمد وأملاكه صفوفا صفا بعد صف..»[١].

وقال السعدي في تفسيره: «ويجيء الله لفصل القضاء بين عباده في ظل من الغمام، وتجيء الملائكة الكرام أهل السموات كلهم صفاً صفاً أي صفاً بعد صفٍ، كل سماء يجيء ملائكتها صفاً يحيطون بمن دونهم من الخلق، وهذه الصفوف صفوف خضوع وذل للملك الجبار»[٢].

ومن الدليل على بطلان تفسير المجيء بمجيء الأمر أن الله صرح بمجيء الملائكة وهم من أمر الله تعالى فلا معنى لذكر الملائكة بعد ذكر مجيء الله تعالى، لو كان المجيء يقصد به مجيء أمره تعالى.

الخطأ الثاني: صفحة (٨٩)

(جدُّ ربِّنا)[٣] قال: فيض إلهي.

قلت: لا ينبغي تفسير (جدُّ ربِّنا) بالفيض لأن ذلك يشم منه رائحة التصوف، وقد يراد به معنى باطل.

---

(١) تفسير ابن جرير (١٢/ ٥٧٦).
(٢) تفسير السعدي (٧/ ٦٢٣).
(٣) سورة الجن: الآية (٣).

على أن الصحيح هو أن قوله تعالى: (وأنه تعالى جدُّ ربِّنا) أي تعالت عظمة ربنا وتقدست أسماؤه.

الخطأ الثالث: **صفحة (٩٧)**

أوَّل صفة الجمال بأن المراد: فيض الخيرات.

وهذا باطل لأنه قصر للعام على بعض أفراده، فإن الله تعالى متصف بالجمال ذاتاً وصفة وأفعالاً على ما يليق به عز وجل.

الخطأ الرابع: **صفحة (١٠٥)**

صرف صفة المحبة عن حقيقتها وأوَّلها بأنها إنعامه تعالى على العباد وهذا باطل، والصواب ما عليه سلف الأمة من إثبات صفة المحبة لله عز وجل على ما يليق بجلاله عز وجل، وإثبات لوازمها من الإنعام ونحوه، فإن الإنعام من لوازم المحبة، فلا يصح صرف محبة الله تعالى عن حقيقتها وتأويلها ببعض لوازمها.

الخطأ الخامس: **(صفحة ١٣٩)**

فسَّر صفة الحياة بصفة سلبية دون الثبوتية، فقال: «هو حي: معناه لا يصح عليه الموت» فإن الحياة صفة ذاتية ثبوتية لله تعالى، وهي من أعظم الصفات، ومن لوازمها واثبات عدم الموت لله تعالى، وذلك كصفة القدرة فإنها صفة ثبوتية ومن لوازمها عدم طروء العجز والفقر عليه سبحانه، فعدم الموت لا يفيد ثبوت الحياة، بل هو من لوازمها.

الخطأ السادس: صفحة (١٤٠)

صرف صفة الحياة والاستحياء إلى ترك تعذيب العبد.

قلت: وهذا تحريف محض لأنه ترك تعذيب العبد من لوازم صفة الاستحياء، غير أنها صفة ثابتة لله تعالى كباقي الصفات على ما يليق بجلاله عز وجل.

قال ابن جرير: إن الله جل ذكره أخبر عباده أنه ﴿لَا يَسْتَحْيِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَاۚ﴾[1] وقال البغوي: (أي لا يترك ولا يمنعه الحياء أن يضرب مثلا يذكر).

الخطأ السابع: صفحة (١٩١)

تأوّل الرحمة بالإنعام والإحسان والإفضال.

وهذا باطل، لأن فيه إبطالاً لصفة الرحمة، وتفسيراً لها بلازم معناها، ولازم صفة الرحمة الإنعام والإحسان والإفضال، والقواعد المقررة عند السلف والأئمة الإيمان بأسماء الله وصفاته وإمرار آيات الصفات على ظاهرها دون تأويلها بما يخرجها عن حقيقة معناها، فإن التأويل بما ينافي حقيقة معنى الصفة تعطيل لها، بل هو نوع من الإلحاد فيها.

الخطأ الثامن: صفحة (١٩٧)

صرف صفة الرضا إلى أن المراد برضا الله عن العبد أن يراه مؤتمرا بأوامره منتهيا عن نواهيه.

---

(١) سورة البقرة: الآية (٢٦).

قلت: هذا قول في غاية الفساد، وهو تحريف لصفة الرضا.

والحق إثبات صفة الرضا لله تعلى كبقية الصفات على ما يليق بجلاله عز وجل فإن الله تعالى يغضب على بعض العباد، ويرضى عن البعض، يغضب على من عصاه، ويرضى عمن أطاعه، فإن الغضب والرضا من صفات الله تعالى على الحقيقة، وهما كبقية الصفات، فكما لا يجوز تعطيل صفاته الأخرى، فكذلك لا يجوز تعطيل هاتين الصفتين، إذ إن القول في بعض الصفات كالقول في بعضها الآخر، كما هي القاعدة المعروفة، وكذلك فإن الكلام في الصفات كالكلام في الذات، فكما تثبت الذات من غير تمثيل ولا تعطيل، فكذلك الصفات، لأنها فرع عن الذات وأما امتثال العبد لأوامر الله تعالى، فإنه من لوازم الرضا لا عين الرضا، فلا بد من إثبات اللازم مع الملزوم.

الخطأ التاسع: **صفحة (٢٤٢)**

صرف صفة السمع إلى صفة العلم فقال: «إذا وصفت الله بالسمع فالمراد به علمه بالمسموعات)

قلت: هذا صرف للنص عن ظاهره بغير دليل ولا قرينة، وهو تعطيل صريح، فإن العلم غير السمع وغير البصر، فإن السمع يتعلق بالمسموعات من الأصوات، والبصر يتعلق بالمرئيات. والعلم أعم من ذلك كله، وإن كان العلم من لوازم السمع والبصر، ولا بد من إثبات اللازم والملزوم جميعا. والسمع والبصر صفتان لله تعالى بلا كيف فيجب إثباتهما بلا تمثيل، كما يجب تنزيههما عن المشابهة من غير تعطيل.

الخطأ العاشر: **صفحة (٢٥١)**

عطل صفة الاستواء، وصرفها عن حقيقتها بتأويلها بالاستيلاء فقال:

ومتى عُدِيَ الاستواء بعلى اقتضى معنى الاستيلاء، كقوله: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾[1] وقيل: معناه: استوى له ما في السموات والأرض. أي: استقام الكل على مراده».

قلت: هذا الكلام خطأ فاحش، فإن تفسير الاستواء المتعدى بحرف «على» إنما يكون بمعنى العلو والاستقرار والارتفاع والصعود، وعبارات النحاة تدور حول هذا، وهكذا أئمة التفسير كمجاهد وغيره كما نقلها عنهم البخاري في صحيحه.

ولم يعرف عن السلف غير ذلك، بل إن تفسير الاستواء بالاستيلاء، هو من تفسيرات الجهمية ولم يعرف ذلك قديما. ثم إن الاستيلاء يقتضي وجود المغالبة. والله تعالى لا يغالبه شيء.

الخطأ الحادي عشر: صفحة (٣٣٠)

نقل قولاً بصيغة التمريض أن العرش هو سلطان الله تعالى، وسكت عنه.

قلت: وهذا من تأويلات الجهمية المعطلة، بل العرش سريرالملك، وهو أكبر من السموات والأرض ولا نكيفه ولا نشبهه، ولا نعلم حقيقة كنهه، بل نفوض علم ذلك إلى الله تعالى.

الخطأ الثاني عشر: صفحة (٣٤٩)

أوَّل معنى (العندية) بأنها عندية الزلفى والمنزلة.

قلت: هذا التأويل بعض الحق وليس كله، فإن العندية قد تكون معنوية، وهي عندية الزلفى والمنزلة وقد تكون حسية، فالله تعالى عنده من

---

(١) سورة طه: الآية (٥).

الملائكة ما لا يعلمهم غيره، ممن هم في السموات العلى وكلا الأمرين ثابت في حق الله تعالى، فكما أن الملائكة ذوو منزلة عند الله تعالى، فإن منهم من لا يعلمه إلا الله في السموات العلى، كما قال تعالى: ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا..﴾[1].

الخطأ الثالث عشر: **صفحة (٣٥٥)**

أوَّل صفة العين لله تعالى بالحفظ والكلاءة.

قلت: هذا باطل لأن فيه إبطالاً لهذه الصفة - صفة العين - والحفظ وإنما هو من لوازمها، وليس عينها، والحق إثبات تلك الصفة على ما يليق بالله تعالى من غير تكييف ولا تشبيه، وكذلك إثبات لوازمها.

الخطأ الرابع عشر: **صفحة (٣٨٨)**

أوَّل فوقية الله تعالى على عباده بأنها فوقية القهر والغلبة.

قلت: هذا تأويل المعطلة النافين لعلو الله تعالى، وتفسير للشيء ببعض أفراده. والحق أن الفوقية ثابتة لله تعالى بكل أنواعها: فوقية الذات، وفوقية الغلبة والقهر وفوقية الشأن. وهذا هو مذهب سلف الأمة رحمهم الله تعالى.

الخطأ الخامس عشر: **صفحة (٥١٣)**

صرف معنى صفة الوجه لله تعالى إلى الذات.

قلت: إن كان يريد صرف صفة الوجه إلى الذات قاصداً لنفي صفة

---

(١) سورة النجم: الآية (٢٦).

الوجه، فهذا تجهم وتعطيل واضح، بل الحق إثبات صفة الوجه لله تعالى على ما يليق بذاته، مع التنزيه عن المشابهة والذات من لوازم الوجه، والواجب إثبات اللازم والملزوم، وطريقة السلف إثبات الذات وإثبات صفة الوجه معها.

وأما الجهمية فإنهم يؤولون الوجه بالذات وليس مقصودهم إثبات الذات، بل مقصودهم نفي صفة الوجه.

الخطأ السادس عشر: صفحة (٥١٧)

فسَّر مودة الله تعالى لعباده بأنها مراعاته لهم، وذكر أن المودة هي المحبة وقال: «تقدم معنى محبة الله لعباده».

وقال في صفحة (١٠٥) محبة الله تعالى للعبد إنعامه عليه.

قلت: هذه التأويلات هي من تأويلات المعطلة قديماً وحديثاً، فإنهم يزعمون أن مثل هذه الصفات انفعالات وتأثرات وتغيرات، والله منزه عنها، وأن المراد منها غايتها ولوازمها والجواب على هذا أن يقال:

هذا قياس لرب العباد على العباد، وللخالق على المخلوقين، فكما أن الله تعالى ليس كالمخلوقين في ذاته فكذلك صفاته لا تشبه صفات خلقه.

وكما أن لله كلاماً حقيقياً وإرادة وعلماً وقدرة حقيقية، كما أثبت أكثر ذلك هؤلاء المعطلة فليس معنى إثبات الكلام لله، إثبات الشفتين والأحبال الصوتية والمخارج والحلقوم وغيره كالمخلوقين كذلك له تعالى يدان وقدم ورضا وغضب ومودة ورحمة، كل ذلك على سبيل الحقيقة دون المجاز ولا يقتضي ذلك أن يكون لله تعالى جارحة، وانفعالات وانعطافات وميل النفس وغير ذلك، فالله تعالى له مودة لعباده، ومحبة للصالحين، ولازم ذلك الإنعام والإحسان.

الخطأ السابع عشر: **صفحة (٥٠٠ : ٥٥١)**

صرَف معنى يَدَي الله تعالى بتأويلات عديدة، كإيتاء النعم، وتوليه لخلقه، وعطاء نعمتي الدنيا والآخرة، والنصر والنعمة، وذلك في عدة آيات من آيات الذكر الحكيم، كقوله تعالى: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾[١] وقوله تعالى: ﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾[٢] وقوله تعالى: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾[٣].

قلت: لا شك أن الله بسط جوده وإحسانه على عباده، وأحسن إلى خلقه بنعمه، وتولى الصالحين من عباده، ولكن المؤلف - رحمه الله - أغفل إثبات صفة اليدين، بل وصرفها عن حقيقتها بغير دليل ولا قرينة.

وقد أجمع أهل السنة على القول بما تضافرت به نصوص الكتاب والسنة من أن لله يدين على الكيفية اللائقة بجلاله، والكيف مجهول.

والتثنية في قوله تعالى: **﴿لما خلقت بيديَّ﴾** إثبات لأنهما يدان وليست يداً واحدة، وفي حديث الشفاعة الكبرى: «...يا آدم أما ترى الناس؟ خلقك الله بيديه، وأسجد لك ملائكته..» الحديث أخرجه البخاري في التفسير باب وعلم آدم الأسماء كلها (٤/ ١٦٢٤).

وما ذكره المصنف إنما هو من تأويلات المعطلة، إذ ليس في إثبات الصفة لله تعالى على الكيفية اللائقة به أي نوع من التشبيه، فلا حاجة للفرار من التشبيه بإنكار حقيقة الصفات،.

الخطأ الثامن عشر: **صفحة (٥٥٢)**

له كلام يظهر منه تأويل صفة اليمين لله تعالى أنها بمعنى القوة.

---

(١) المائدة: الآية (٦٤).

(٢) سورة الفتح: الآية (١٠).

(٣) سورة ص: الآية (٧٥).

قلت: في هذا نظر فإن القوة صفة أخرى لله تعالى، واليمين صفة كذلك، فلا يجوز تعطيل إحداهما بتفسيرها بالأخرى، بل يجب الإيمان بهما جميعا على طريق الإثبات بلا تمثيل، والتنزيه بلا تعطيل، كما هو مذهب أهل السنة.

الخطأ التاسع عشر: صفحة (٢٦٨)

أوَّل شهادة الله تعالى لنفسه بالوحدانية إلى إيجاد الأدلة الدالة عليه. فقال في قوله تعالى: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ...﴾(١) قال: «فشهادة الله تعالى بوحدانيته هي إيجاد ما يدل على وحدانيته في العالم وفي نفوسنا، كم قال الشاعر:

* ففي كل شيء له آية * تدل على أنه واحد *

قلت: هذا تأويل باطل من تأويلات المعطلة، فإن الشهادة تكون بالقول وتكون بالفعل، ومن فسَّر الشهادة بأنها بالفعل فقط فقد أخطأ، ومرادهم بذلك أصلاً نفي صفة الكلام عن الله تعالى مع أنه عز وجل يتكلم كما يشاء ووقتما يشاء، بصوت وحرف، يسمعه عباده وهو تعالى يأمر وينهى وينادي من شاء من عباده، ويقول ويتكلم، وكل ذلك ثابت له عز وجل. ومعنى تأويل الراغب للشهادة كما سبق هو نفي أن يشهد الله تعالى لنفسه بالوحدانية بالقول وجعل شهادته هي بالفعل والأدلة فقط التي خلقت في العالم وفي الأنفس.

وأقول: إن الله تعالى يشهد كما يشهد ويتكلم كما يشاء ويأمر وينهى ويقضي، وكل ذلك ثابت له وكل ذلك بالقول، وبالكلام الذي لا يشبهه شيء من كلام خلقه، كما أنه تعالى لا تشبهه ذوات خلقه.

فالواجب التسليم لما ورد من آيات الصفات، وإثباتها كما جاءت من غير تكييف ولا تمثيل، ولا تحريف ولا تعطيل.

---

(١) سورة آل عمران: الآية (١٨).

الخاتمة

الحمد لله الذي يسَّر وسهَّل كتابة هذه التنبيهات على بعض الأخطاء والتأويلات في كتاب (مفردات القرآن) للراغب.

وليست هذه التنبيهات قدحا في شخص المؤلف يرحمه الله، وليست رداً مفصلاً على الأخطاء في الكتاب وإنما هي مجرد تنبيهات لطالب العلم، حتى لا يغتر الناشئة من غير المتخصصين، خصوصا أن الكتاب منتشر ومتداول، ويعد مرجعاً عند كثير من المشتغلين بالعلم، لذلك رأيت التحذير من هذه الأخطاء والله أسأل الإخلاص والقبول، وهو حسبي ونعم الوكيل.

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

بقلم:

د. محمد بن عبدالرحمن الخميس

الفصل الثاني

أخطاء الزرقاني في مناهل العرفان

تأليف

د. محمد بن عبدالرحمن الخميّس

المقدمة

إن الحمدلله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا. من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ (آل عمران: ١٠٢).

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ (النساء: ١).

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ (الأحزاب: ٧٠-٧١).

أما بعد:

فإن كتاب «مناهل العرفان» للزرقاني أحد المعطلين المحرفين الملبسين المعاصرين من أجمع الكتب التي ألفت في علوم القرآن، وأوسعها غير أن فيه بعض أخطاء فيما يتعلق بصفات الله تعالى، وقد طلب مني بعض تلاميذي في الجامعة، الإشارة إلى تلك الأخطاء، ولا سيما وأن الكتاب أحد المراجع الموجودة عندهم، فرأيت أن الأفضل جمع تلك الأخطاء في هذا الكتاب، لأن الحق أولى بالاتباع، وأكبر من كل أحد، وهذا البيان لأخطاء الكتاب ليس محاكمة للكتاب ولا لكاتبه، لكنه نصيحة لله تعالى، وكشف لوجه الحق

وبيان له، والقصد مجرد التنبيه على الأخطاء، لا تتبعها والرد عليها بالتفصيل، فلذلك مظانه ولا عصمة لأحد في العلم إلا النبي ﷺ، وأسأل الله أن يرحم المؤلف ويجزيه عن الإسلام والمسلمين خيراً، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وكتبه

د. محمد بن عبدالرحمن الخميس

جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

الخطأ الأول

أنه سمى آيات الصفات متشابهات. وهذا فيه نظر.

لأن آيات الصفات من أوضح المحكمات وأبين المفسرات ومعانيها من أعرف المعارف.

قال شيخ الإسلام: «والدليل على أن آيات الصفات ليست من المتشابهات التي لا يعلم معناها - أن الله تعالى قد سمى نفسه بأسماء كثيرة كالرحمن والودود والعزيز، ووصف نفسه بصفات كثيرة، كما في سورة الإخلاص وآية الكرسي وأول الحديد وآخر الحشر وغيرها فيقال لهذا المعاند:

هل هذه الأسماء والصفات دالة على الإله المعبود الموجود، أم لا؟ فإن قال: لا كان معطلاً منكر للخالق، وإن قال: نعم. قيل له: لقد فهمت منها دلالتها على نفس، فكيف لم تفهم منها دلالتها على معاني تلك الأسماء والصفات»[1].

نعم لأنها من الغيب الذي استأثر الله تعالى بعلمه كيفية تلك الصفات من المتشابه الذي لا يعلمه إلا الله تعالى.

الخطأ الثاني

أنه مثّل للآيات المتشابهات بقوله تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾[2].

---

(١) انظر مجموع الفتاوى ١٣/ ٢٩٦-٢٩٨.

(٢) سورة طه: الآية (٥).

وهذا ظاهر البطلان:

لأن قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾في غاية الإحكام والبيان، وهو أبعد ما يكون عن الاشتباه والتشابه، وقد تكرر مضمون هذه الآية في سبعة مواضع من الذكر الحكيم فكيف يصح أن يقال في مثل هذه الآية الواضحة المحكمة: إنها من الآيات المتشابهات، لأن «الرحمن» معروف، وهو اسم حسن لله عز وجل بلا خلاف وكلمة «على» للاستعلاء بإجماع النحاة أهل العربية و«العرش» هو عرش الله تعالى وهو سرير الملك لا غير بإجماع من السلف، ومن قال بغير ذلك فقد انتحل المحال.

و«استوى» كلمة واضحة من الكلمات العربية البينة، إذا عديت بكلمة «على» فلا معنى لها إلا الاستعلاء والفوقية بإجماع أهل اللغة.

فمن قال بخلاف ذلك فهو إما متجاهل مغالط مفوض * وإما جاهل غالط ممرض.

وقد فسر سلف هذه الأمة وأئمة السنة هذه الآية بالعلو والصعود والارتفاع فكيف يقال: إن هذه الآية من المتشابهات، بل صرح الإمام أحمد أن المتشابه هو مثل قوله تعالى: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞ﴾[1].

وأن جهماً قد تشبث بمثل هذا المتشابه في إبطال الصفات فأضل بكلامه بشراً كثيراً وتبعه رجال من الحنفية وأصحاب عمرو بن عبيد ووضع دين الجهمية[2].

---

(١) سورة الشورى: الآية (١١).

(٢) الرد على الجهمية والزنادقة ١٠٤-١٠٥، وانظر درء التعارض ١/١٨، ٢٢١، ٥/١٦٥، ١٦٧، ١٦٨.

الخطأ الثالث

قوله: «اتفق علماؤنا على صرف ظواهر آيات الصفات»[1].

قلت: هذا باطل من وجوه:

الأول: أن آيات الصفات محكمات ونصوص مفسرات، لا يصح أن يقال: إنها ظواهر. فتسميتها ظواهر في غير محله بل كتسمية الملك شرطياً أو كتسمية الوابل طلاً.

الثاني: أنه لم يقل أحد من السلف بأن ظاهر هذه الآيات مصروف عن معناها بل هو قول مبتدع في الإسلام، أحدثه الجهمية من المعتزلة والماتريدية والأشعرية.

الثالث: أن صرفها عن معانيها ليس إلا تحريفاً لها وتعطيلاً لما دلت عليه من صفات الله تعالى.

وهناك وجوه عشرة أخرى ذكرها شيخ الإسلام تدل على فساد صرف هذه النصوص عن ظاهرها وكلها تقضي على تخرصات هذا الزرقاني الجهمي[2].

الخطأ الرابع:

قوله: «اتفق علماؤنا على أن ظواهر هذه الآيات الصفاتية غير مرادة للشارع».

قلت: هذا في غاية من البطلان، والتقول على الله ورسوله ﷺ، فإنه - كما قال شيخ الإسلام-:

---

(١) مناهل العرفان.

(٢) الحموية ٢٠-٢٣، ومجموع الفتاوى ٥/١٥-٢٠.

(يا سبحان الله! كيف لم يقل الرسول ﷺ يوماً من الدهر ولا أحد من سلف الأمة:

هذه الآيات والأحاديث - لا تعتقدوا ما دلت عليه، ولكن اعتقدوا الذي تقتضيه مقاييسكم، واعتقدوا كذا وكذا، فإنه الحق، وما خالفه ظاهره، فلا تعتقدوا ظاهره[1]، وانظروا فيها فما وافق قياس عقولكم فاعتقدوه، وما لا يوافق فتوقفوا فيه أو انفوه)[2].

الخطأ الخامس

قوله: «هذه الظواهر باطلة بالأدلة القاطعة».

أقول: هذا باطل أيما بطلان!

لأن قصده بالأدلة القاطعة، إنما هي عقليات هؤلاء المتكلمين التي أخذوها من الجهمية، وهي ليست بأدلة فضلاً عن أن تكون قاطعة، بل هي كلها شبهات، وحماقات، بل هي سوفسطائيات وظلمات، وليست بعقليات فضلاً أن تكون عقليات قطعيات؛ فإن العقل الصريح لا يعارض النقل الصحيح. وما عارض النقل السليم فهو من العقل السقيم.

فكيف يصح أن يقول: إن ظواهر هذه الآيات باطلة بأدلة قاطعة، مع أن هذه الآيات بنفسها هي أدلة قاطعة قاضية على كل ما يسمونه عقليات وبرهانيات وحجج وغيرها مما هو في الحقيقة شبهات عقلية.

قال شيخ الإسلام:

---

(١) أي فلا تعتقدوه.

(٢) الحموية ٢٣/ ومجموع الفتاوى ١٩/٥.

(. . . وأما خبر الله ورسوله (ﷺ) فهو صدق موافق لما الأمر عليه في نفسه ولا يجوز أن يكون شيء من أخباره باطلاً ولا مخالفاً لما هو الأمر عليه في نفسه، ويُعلَم من حيث الجملة أن كل ما عارض شيئاً من أخباره وناقضه - فإنه باطل من جنس حجج السوفسطائية، وإن كان العالم بذلك قد لا يعلم وجه بطلان تلك الحجج المعارضة لأخباره وهذه حال المؤمنين للرسول ﷺ.

الذين علموا أن رسول الله الصادق فيما يخبر به، يعلمون من حيث الجملة أن ما ناقض خبره - فهو باطل، وأنه لا يجوز أن يُعارضَ خبرهُ دليل صحيح لا عقلي ولا سمعي، وأن ما عارض أخباره من الأمور التي يحتج بها المعارضون ويسمونها:

عقليات، أو برهانيات أو وجديات، أو ذوقيات أو مخاطبات، أو مكاشفات، أو مشاهدات، أو نحو ذلك.

أو يسمون ذلك:

تحقيقاً، أو توحيداً، أو عرفاناً، أو حكمة حقيقية، أو فلسفة، أو معارف يقينية، ونحو ذلك.

فنحن نعلم علماً يقينياً لا يحتمل النقيض: أن تلك: جهليات وسوفسطائيات وأوهام فاسدة، وأن تلك الأسماء ليست مطابقة لمسماها.

بل هي في جنس تسمية الأوثان آلهة وأربابا، وتسمية مسيلمة الكذاب وأمثاله أنبياء..)[1].

ولذلك يقول شيخ الإسلام في هؤلاء المتكلمين من الأشعرية والماتريدية الذين يزعمون أن ظواهر نصوص الصفات ظنية، وأن العقليات القطعيات تخالفها:

---

(١) درء التعارض ٥/٢٥٥-٢٥٦.

«ولكنهم من أهل المجهولات المشبهة بالمعقولات يسفسطون في المعقولات ويقرمطون في السمعيات»(١).

الحاصل: أن هذه الظواهر هي الحق، وأن ما يسميه هؤلاء المتكلمون الأدلة العقلية القطعية، هو الباطل المحض.

الخطأ السادس

قوله: «إن هذه الظواهر باطلة بما هو معروف عن الشارع نفسه في محكماته».

قلت: هذا من أبطل الباطل، لأنه قد سبق بيان أن هذه الظواهر هي بنفسها محكمات، ولأنه لا يوجد شيء من محكمات الشارع يبطل هذه الظواهر، فمحكمات الشارع كلها تؤيد هذه الظواهر ولا تبطلها، فأين في محكمات الشرع ما يبطل استواء الله تعالى على عرشه، وفوقيته على خلقه؟ وأين في محكمات الشرع ما يبطل كلامه وتكليمه لأنبيائه وملائكته؟ وأين في محكمات الشرع ما يبطل أن له وجهاً ويدين وعيناً وقدماً وساقاً؟

الخطأ السابع

قوله: «إن ظواهر هذه الآيات مستحيلة».(٢)

قلت: هذا باطل ولا شك، فإن الكتاب والسنة الصحيحة لا يشتملان إطلاقاً على مستحيل، فالرسل لم يأتوا بمحالات العقول، وإنما أتوا

---

(١) التدمرية ١٩، ودرء التعارض ١/٢١٨، ٢٧٦، ٢٨٦، ٢/١٥، ٣/٣٤، ٥/٢٥٦، ٨/٢٩، والفتاوى ٣/٩.

(٢) مناهل العرفان.

بمحارات العقول، ومن زعم أن ظواهر نصوص الكتاب والسنة مستحيلة، فقد لزمه عشر طوام: وكلها كفر محض.

الأولى: أن ظواهر النصوص كفر.

الثانية: أن الكتاب والسنة مشتملان على الكفر.

الثالثة: أن الكتاب والسنة لا يصلحان لأن يكونا مصدرين لتلقي العقيدة.

الرابعة: أن ظواهر الكتاب والسنة تفسد وتضل ولا تصلح.

الخامسة: أن القلوب تتخلى عن الجزم بما في الكتاب والسنة.

السادسة: عزل الكتاب والسنة بالكلية.

السابعة: أن ترك الناس بلا كتاب وسنة كان خيراً لهم من الكتاب والسنة اللذين ظواهر نصوصهما مستحيلة.

الثامنة: أن رسول الله ﷺ وأصحابه كانوا يتكلمون بما ظاهره كفره، ولم يقولوا يوما من الدهر إن هذا الظاهر غير مراد معاذ الله!!!

التاسعة: أن هذا يستلزم إقرار الصدر الأول لهذا الظاهر الذي هو متضمن للكفر.

العاشرة: أن هذا فتح أبواب لأنواع من المشركين والمبتدعين، لا يمكن سدها[١].

---

(١) انظر الحموية ٢٠-٢٣.

الخطأ الثامن

قوله: «إن الدفاع عن الإسلام متوقف على التأويل لهذه المتشابهات»[١].

قلت: هذا قلبٌ للحقائق.

فإن التاريخ شاهد عدل على أن التأويل هو أم المفاسد والبلايا التي أصيب بها الإسلام من نهاية عهد الصحابة إلى يومنا هذا، وقد صرح الإمام ابن القيم رحمه الله أن فتن التحريف وفتن الخوارج والروافض وفتن الجهمية والمعتزلة وفتن الباطنية وغيرها - من فتن الحروب - كلها من شؤم التأويل. وقال:

* هـذا وأصـل بـلية الإسـلام مـن *

* تأويل ذي التحريف والبطلان *

ثم فصل هذه الفتن في كلام يبكي القلوب على الإسلام وأهله[٢].

فإذا ثبت أن التأويل حرب على الإسلام، فكيف يصح أن يقال: إن الدفاع عن الإسلام متوقف على التأويل!!

الخطأ التاسع

قوله: «إنه وجب تأويل ظواهر تلك الآيات الصفاتية المتشابهات»[٣].

---

(١) مناهل العرفان.

(٢) انظر النونية ٨٥-٨٧، وتوضيح المقاصد ٢/١٣-١٥، وشرح هراس ١/٢٦-٢٨٣، وتوضيح السعدي ٧٣-٧٥، وانظر الصواعق المرسلة ١/٣٤٨-٣٨١، وشرح الطحاوية ٢٠٤/ المكتب الإسلامي و١٦٤ ط بشير.

(٣) مناهل العرفان.

قلت: الحق: أن الأمر على العكس من ذلك، وهو أنه وجب عدم تأويل تلك الآيات، لأن تأويل هذه الآيات باطل محرم غير جائز فضلاً عن أن يكون واجباً.

وذلك لوجوه:

الأول: أن التأويل هو من التحريف بل هو التحريف بعينه.

والثاني: أن مقالة التأويل بدعة في الإسلام.

الثالث: أنها ليست بدعة فقط بل هي مأخوذة من اليهود.

الرابع: أن التأويل مخالف لمنهج السلف، فالسلف أثبتوا ولم يؤولوا.

الخامس: أن التأويل فتح للأبواب، لأمثال الباطنية وغيرهم ممن أولوا الأحكام العملية الفقهية بحجة أن المتكلمين أولوا الأحكام العلمية العقدية.

الخطأ العاشر

قوله: «إن المتشابه إن كان له تأويل واحد وجب القول به، كقوله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾[1]. فإن الكينونة بالذات مع الخلق مستحيلة، وليس بعدها إلا تأويل واحد، وهو الكينونة معهم بالإحاطة علماً وسمعاً وبصراً، وقدرة وإرادة»[2].

أقول: على هذا القول ملاحظتان:

الأولى: عدّ هذه الآية من المتشابهات.

---

(١) سورة الحديد الآية (٤).

(٢) مناهل العرفان.

وهو باطل، فإن معاني هذه الآية من أوضح المحكمات.

الثانية: أن تفسير قوله تعالى: «معكم» بالعلم والإحاطة والقدرة ليس من التأويل في شيء، بل هذا معنى هذه الآية، تدل هذه الآية على هذا المعنى من الناحية اللغوية والنحوية والعرفية، فالكينونة الذاتية ليست مما تدل عليه كلمته: «مع». بل الذي تدل عليه كلمة «مع» لغة ونحواً وعرفاً هو المعيَّة العلمية والإحاطة. وهذا المعنى هو المنقول عن سلف هذه الأمة، فلا يصح أن يقال: إن السلف قد أوّلوا آية المعية، فليس فيه أدنى مطمع ومستدل لأهل الكلام.

الخطأ الحادي عشر

أنه سمى السلف: مفوضة وسمى مذهبهم من الصفات: مذهب المفوضة. وعرف التفويض بأنه تفويض معاني الصفات إلى الله تعالى بعد تنزيهه سبحانه وتعالى عن ظواهرها المستحيلة[1].

قلت: هذا باطل، وذلك لوجوه:

الأول: أن السلف ليسوا بمفوضة في معاني الصفات وإنما كانوا مفوضة في كيفية الصفات، لأن السلف كانوا يعلمون معاني هذه الآيات المتضمنة لتلك الصفات، لأن الله تعالى خاطبهم بلسان عربي مبين فصيح بليغ، وآيات الصفات أكثر وأوفر من آيات الأحكام، وكان السلف من الصحابة والتابعين أعرف الناس بلغة العرب وأفصح الناس وأبلغهم.

فهل من المعقول أن الله تعالى خاطبهم بكلام لا يفهمون معناه؟

---

(١) مناهل العرفان ٢/: ص ٢٨٧.

ولو كان السلف لا يفهمون معاني تلك الآيات الصفاتية فما فائدة إرسال الرسول وإنزال الكتاب إليهم!!

الثاني: أن من ظن أن السلف لم يكونوا يعرفون معاني آيات الصفات، فقد افترى عليهم، وسفّه أحلامهم، وحكم عليهم بالجهل بأعلى معارف هذا الدين، وهو العلم بالله وصفاته وأسمائه.

ولذلك يسمي شيخ الإسلام هؤلاء المغيرين الذين ينسبون التفويض إلى السلف أهل الجهل والتجهيل.

الثالث: أنه إذا تبين فساد نسبة التفويض إلى السلف تبين أن التفويض الذي كان عليه السلف ليس الجهل بمعاني الصفات وبمعاني آياتها. وإنما التفويض الحق هو تفويض كيفية الصفات إلى الله تعالى كما قال الإمام مالك: «الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه (أي عن الكيف) بدعة». وقول إمام دار الهجرة هذا حجة دامغة على المتكلمين.

الخطأ الثاني عشر

قوله: إن تعين المراد من هذه المتشابهات إنما يكون باللغة، واللغة لا تفيد إلا الظن، ولا يكتفى بالظن في باب العقائد[١].

أقول: هذا من أعظم الافتراء، وأول من عُرف بهذه الحماقات الكلامية هو الرازي، وتبعه كثير من الماتريدية والأشعرية، وهو زعم في

(١) مناهل العرفان ٢/ : ص ٢٨٧.

غاية الفساد، لأن مفردات كل لغة تدل على معانيها بغاية من اليقين يعرف ذلك أهل ذلك اللسان.

فدلالة السماء والأرض والشمس والقمر، والنجوم والليل والنهار والعظام واللحوم.. ونحوها على معانيها أوضح من الشمس في رابعة النهار.

وأهل اللسان يعرفون ذلك بعلم يقيني جازم لا شبهة فيه، وهكذا الجمل المركبة من هذه المفردات.

فقولنا: «لا إله إلا الله» وقولنا: «محمد رسول الله» وقولنا: «الجنة حق والنار حق»، وقولنا: «الرحمن على العرش استوى»، وقولنا: «يد الله فوق أيديهم» وغير ذلك من الجمل القصيرة والطويلة، تدل دلالة قاطعة على معانيها.

يعرف ذلك أهل اللسان، وقد جرى نظام العالم كله مما يتعلق بالدين كالرسالة وإنزال الكتب، وأحكام الدين أو يتعلق بأمر الدين كالشراء والبيع والنكاح والفسخ والطلاق، والأكل والشرب، واللباس، والإتيان والذهاب والخروج والدخول، وغيرها من العقود والحركات والسكنات والفهم والتفاهم، ومعرفة الدلالة من كلمات اللغة، وكلامها على معانيها. فلو كانت دلالة اللغة على معناها ظنية لانعدمت الثقة بمدلولات أي كلام في العالم، مما يتعلق بالدين أو بالدنيا، ولم تبق أي ثقة بأي كلام في أي لغة.

فالذين يجعلون اللغة ظنية - قد أتوا بما لا يمكن أن يسلم لهم به عاقل، وتجتمع كلمة العقلاء على بطلانه، وإذا بطل هذا بطل التفويض، وثبت أن معاني آيات الصفات واضحة.

الخطأ الثالث عشر

استدلاله ببعض الأحاديث والآثار على أن المراد في آيات الصفات لا يعلم، ولا يعرف معناها[1].

أقول: هذا الاستدلال في غاية الفساد، فمثلاً حديث عائشة[2] في ذم اتباع المتشابهات لا يدل على أن المتشابهات لا يعلم المراد منها، بل يدل على ذم من أراد الإفساد بتتبع المتشابهات، وآيات الصفات ليست من المتشابهات، فمعانيها واضحة كالشمس.

نعم. كيفيتها من المتشابهات التي لا يعلمها إلا الله، وهكذا بقية الروايات.

الخطأ الرابع عشر

استدلاله بقصة عمر مع صبيغ[3] في تتبعه للمتشابهات، على أن الصفات وآياتها من المتشابه الذي لا يعلم معناه[4].

أقول: هذا في غاية الفساد.

---

(١) مناهل العرفان ٢/ ٢٨٦-٢٨٧.

(٢) قالت عائشة: «تلا رسول الله ﷺ هذه الآية: : «هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات، فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله - إلى قوله - أولو الألباب» قالت قال رسول الله ﷺ: فإذا رأيت الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمى الله فاحذورهم» رواه البخاري ٨/ ٢٦٥ ح ٤٥٤٧.

(٣) هو صبيغ بن شريك التميمي انظر قصته مع عمر بن الخطاب في كتاب عقيدة السلف أصحاب الحديث ص٢٤١.

(٤) مناهل العرفان ٢/ ٢٨٨.

لأن هذه القصة لو ثبتت لا تدل على أن آيات الصفات لا يعلم المراد منها، كما لا تدل على أن معاني الصفات من المتشابهات، وغاية ما فيها هو الذم لمن يتبع المتشابهات ويغيرها بعد تفسيرها من عند نفسه، كمن يدخل في كيفية الصفات، لأنها من المتشابهات أو يبين كيفية الميزان والصراط، والروح وغيرها من المتشابهات التي لم يرد بيان كيفيتها في الكتاب والسنة.

الخطأ الخامس عشر

استدلاله بقول إمام دار الهجرة: «الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والسؤال عنه بدعة»[1] على أن الصفات وآياتها من المتشابه الذي لا يعلم المراد منه، ولا يعرف معناه[2].

قلت: هذه مغالطة مكشوفة، فإن نص الإمام مالك من أعظم الرد على المفوضة المجهلة للسلف.

فكلام مالك هذا يدل على ضد مطلوبهم، لأن قوله: «الاستواء معلوم» معناه أنه معلوم في اللغة والعرف وهو الارتفاع والصعود. وأما كيفية الاستواء فمجهولة، دل عليه صريح قوله: «والكيف مجهول».

فهذا من أعظم الحجج على هؤلاء المفوضة - ومن أوضح البراهين على أن معاني الصفات معلومة، ولكن كيفها مجهول.

---

(١) مناهل العرفان ٢/: ص ٣٠٨.

(٢) الأثر أخرجه ابن عبدالبر في التمهيد (٧/ ١٢٨) من طريق عبدالله بن نافع عن مالك والصابوني في عقيدة السلف ص (١٧-١٨) وأبو نعيم في الحلية (٦/ ٣٢٥-٣٢٦) جمعه من طريق جعفر بن عبدالله عن مالك.

الخطأ السادس عشر

خطؤه في تفسيره لمقالة الإمام مالك السابقة في قوله: «الاستواء معلوم والكيف مجهول والسؤال عنه بدعة»: قال: «يريد - رحمة الله عليه - أن الاستواء معلوم الظاهر بحسب ما تدل عليه اللغة من وضعها، ولكن هذا الظاهر غير مراد قطعا، لأنه يستلزم التشبيه المحال على الله بالدليل القاطع، والكيف مجهول: أي تعيين مراد الشارع مجهول لنا.. والسؤال عنه بدعة: أي الاستفسار عن يقين هذا المرد على اعتقاد أنه مما شرعه الله - بدعة».

إلى آخر تلك الأخطاء التي ارتكبها في تأويله لكلام مالك[1].

والجواب: أن هذا الكلام كله باطل، وهو تحريف لكلام مالك وتقوّل عليه وذلك لوجوه:

الأول: أن قوله: «الاستواء معلوم».

معناه: أنه معلوم في اللغة والعرف، أنه بمعنى العلو والارتفاع والصعود، فنعتقد أن الله تعالى فوق عرشه عال عليه مرتفع على خلقه، وهذا نص كلامه، وليس بظاهره فقط، وليس مراده: أن هذا الظاهر غير مراد. فإن هذا كذبٌ صريح على مالك وتقوّل عليه.

الثاني: أن قول المؤلف: «فإن هذا الظاهر غير مراد لأنه يستلزم التشبيه المحال على الله» كذب على مالك وتقوّل عليه.

لأن هذا الذي يسميه هؤلاء «ظاهراً» هو بعينه المراد لمالك وغيره من

---

(١) مناهل العرفان ٢/: ص٢٨٨-٢٨٩.

السلف، ولم يقل مالك ولا غيره من السلف يوماً من الدهر: إن ظاهر الصفات غير مراد.

فكلام هذا الرجل في الحقيقة تحريف لكلام مالك وتقول عليه وحمل له على نقيض مراده وقصده وهو من قبيل توجيه قول القائل بما لا يرضى به قائله وهذا تحريف واضح.

الثالث: أن قول المؤلف: «والكيف مجهول أي يعني مرادالشارع مجهول لنا».

لونٌ آخر من التحريف في كلام مالك رحمه الله، لأن الإمام مالك لم يقل إن معنى هذا الكلام مجهول أو مراد الشارع من هذا الكلام مجهول.

بل قال: إن الاستواء معلوم معناه لغة وعرفاً، ولكن كيفيته غير معلوم لنا، والله المستعان على المحرفين المتقوّلين.

الرابع: أن قول هذا المحرف: «والسؤال عنه بدعة، أي الاستفسار عن يقين هذا على اعتقاد أنه مما شرعه الله – بدعة».

تحريف محض لكلام مالك وتقوّل عليه بما لم يقل، لأن الضمير في قوله: «عنه» عائد إلى الكيف لا إلى المعنى فمعناه: أن السؤال والتفتيش عن كيفية المعنى بدعة، وليس معناه: أن السؤال عن معناه بدعة، لأن كل مسلم مأمور بمعرفة صفات الله تعالى وأسمائه، ولا يتم ذلك إلا بمعرفة معانيها، لأن صفات الله تعالى وأسماءه ليست مجردة عن المعاني ولا مجهولة المراد.

ولا توصف «أسماء الله» بالحسنى، ولا «صفاته» بالعلي إلا لدلالتها على المعاني الحسنة والمعارف العالية.

فالله المستعان.

الخطأ السابع عشر

أنه ذكر أن مذهب الخلف التأويل، وذكر أن هذا مذهب الأشعري[1]:

قلت: هذا باطل، لأن الإمام الأشعري كان له أطوار ثلاثة[2]:

أ- طور اعتزالي.

ب- طور كلامي.

جـ- طور سلفي:

فهذا الذي ذكره المؤلف هو طوره الكلامي.

وأما طوره السلفي فهو الأخير، ويظهر من كتاب الإبانة ومقالات الإسلاميين ورسالة الثغر والإبانة آخر مؤلفاته فعليها التعويل فلا تكن من أهل الضلال والتضليل.

الخطأ الثامن عشر

عدّ قوله تعالى: ﴿فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ﴾[3]. من آيات الصفات، ثم تأويله بالحق والواجب[4].

وهذا خطأ، لأن هذه الآية ليست من آيات الصفات، فلا يحتاج الأمر

---

(١) مناهل العرفان ٢/ ص٢٨٩.

(٢) انظر طبقات الشافعية لابن كثير ١/ ٢٠٨-٢٠٩.

(٣) سورة الزمر الآية (٥٦).

(٤) مناهل العرفان ٢/ ٢٩٠.

فيها إلى التأويل - على فرض صحة الأخذ بالتأويل - وهذا كعدّ بعضهم قوله تعالى: ﴿فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾.[1]

وقوله تعالى: ﴿فَأَتَى ٱللَّهُ بُنْيَـٰنَهُم﴾.[2]

فيظنون أن هذه من آيات الصفات، ثم يؤولونها، تمهيداً لتأويل بقية الآيات الصفاتية مع أن هذه الآيات ليست من آيات الصفات، وإن كان الوجه، والإتيان والساق من صفات الله تعالى الثابتة بآيات أخرى وأحاديث أخرى.

الخطأ التاسع عشر

قوله: «يتفق الجميع من سلف وخلف على أن ظاهر الاستواء على العرش - وهو الجلوس عليه مع التمكن والتحيز - مستحيل...»[3].

قلت: هذا باطل وتقول على سلف هذه الأمة وأئمة السنة، فإن أحداً من السلف لم يقل قط إن ظاهر الاستواء في قوله تعالى: ﴿ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾[4] هو جلوس الله على العرش مع التمكن والتحيز، لأن الجلوس مع التمكن والتحيز ليس معنى الاستواء بل هذا دخول في كيفية الاستواء، وقد صرح السلف أن الاستواء معلوم، وهو العلو والارتفاع، والكيف مجهول.

فكيف يدعي المؤلف أن السلف اتفقوا على أن ظاهر الاستواء هو الجلوس على العرش مع التمكن والتحيز... الخ؟!!

---

(١) سورة البقرة الآية (١١٥).

(٢) سورة النحل الآية (٢٦).

(٣) مناهل العرفان ٢/ ٢٩٠.

(٤) سورة الأعراف: الآية (٥٤) ويونس (٣) والرعد (٢) والفرقان (٥٩) والسجدة (٤) والحديد (٤).

الخطأ العشرون

قوله: «ثم اختلف السلف والخلف بعدما تقدم، فرأى السلفيون أن يفوضوا تعيين معنى الاستواء إلى الله..، ولا دليل عندهم على هذا التعيين»[1].

قلت: هذا خطأ على السلف فإن السلف لم يفوضوا في المعنى، بل فوضوا في كيفية المعنى، وسبق مقالة إمام دارة الهجرة في ذلك، فلا حاجة إلى إعادتها.

فمعنى الاستواء عند السلف هو العلو والارتفاع ولكن الكيف مجهول.

الخطأ الحادي والعشرون

أنه ساق نصوصاً كثير من الصفات، كالوجه، والعين، واليد، واليمين، والفوقية. ثم قال: «فالسلف يفوضون معانيها تفويضاً مطلقاً...»[2].

أقول: هذا من أوضح التقوّل على السلف، فإن السلف لم يقل أحد منهم بالتفويض المطلق الكلامي، الذي يشمل تفويض المعنى والكيف، بل السلف كانوا يقولون بالتفويض المقيد، وهو تفويض الكيف.

كما صرح بذلك إمام دار الهجرة: «الاستواء معلوم والكيف مجهول» فتبين أن السلف كانوا يعلمون معاني الصفات ولا يفوضون إلا في الكيف.

---

(١) مناهل العرفان ٢/ : ص٢٩٠.

(٢) مناهل العرفان ٢/ : ٢/ ٢٩١.

الخطأ الثاني والعشرون

أنه قد أوَّل عدة صفات بتأويلات هي في الحقيقة تحريفات:

أ - فأول صفة «الوجه» بالذات.

ب - وصفة «العين» بالعناية والرعاية.

جـ - وصفة «اليد» بالقدرة.

د - وصفة «اليمين» بالقوة.

هـ - وصفة «الفوقية» بالعلو المعنوي دون الحسي.

و - وصفة «المجيء» بمجيء أمره.

ز - وصفة «العندية» بالإحاطة والتمكن.

ثم قام: «أو بمثل ذلك في الجميع»[١].

قلت: هذه كلها تحريفات موروثة عن الجهمية الأولى أمثال بشر المريسي، وابن شجاع الثلجي البلخي، بل مأخوذة من اليهود، كما صرح بذلك شيخ الإسلام[٢].

والصواب: إمرار هذه الآيات وهذه الصفات على معانيها وعدم تأويلها وتحريفها، وتعطيلها ويجب إثباتها لله بلا تعطيل ولا تمثيل، كما هو مذهب سلف هذه الأمة، وأئمة السنة.

---

(١) انظر مناهل العرفان ٢/ ٢٩١.

(٢) انظر الحموية: ٢٤-٢٧، ومجموع الفتاوى: ٥/ ٢٠-٢٤.

الخطأ الثالث والعشرون

قال المؤلف: «لقد أسرف بعض الناس في هذا العصر فخاضوا في متشابه الصفات بغير حق. . بما لم يأذن به الله. . ، ومن المحزن أنهم ينسبون ما يقولون إلى سلفنا الصالح، ويخيلون للناس أنهم سلفيون، من ذلك قولهم:

إن الله تعالى يشار إليه بالإشارة الحسية، وله من الجهات الست: جهة الفوق.

ويقولون: إنه استوى على عرشه بذاته استواء حقيقياً، أنه استقر فوقه استقراراً حقيقياً. .»[1].

قلت: هذا الكلام باطل.

بسبب تسميته لمذهب السلفيين في الصفات «إسرافاً»، و«خوضا بغير حق» و«بما لم يأذن به الله» مع أن السلفيين في باب الصفات على مذهب السلف الصالح، فهم لم يسرفوا، ولا خاضوا بغير حق ولا «بما لم يأذن به الله» وإنما أهل الكلام من الجهمية والمعتزلة والماتريدية والأشعرية هم الذين أسرفوا في باب الصفات وخاضوا فيها بغير حق، وعطلوها وحرفوا نصوصها بما لم يأذن بها الله.

فهذه القبائح التي وجهها إلى السلفيين هي من أوصاف هؤلاء المتكلمين، فهم أحق بها وأهلها، ورمى به المؤلف سلف هذه الأمة بهذه التهم هو من باب «رمتني بدائها وانسلت».

---

(١) مناهل العرفان ٢/ : ٢/ ٣١٢.

وأما مسألة الإشارة الحسية إليه تعالى، ومسألة كونه سبحانه في جهة الفوق، ومسألة استوائه سبحانه على عرشه، فبيانها يأتي في الرد على الأخطاء الآتية.

الخطأ الرابع والعشرون

قال المؤلف: «من ذلك قولهم: إن الله تعالى يشار إليه بالإشارة الحسية»[1].

أقول: هذا عين كلام الجهمية الأولى، فهم لما أنكروا علو الله على خلقه وفوقيته على عرشه أنكروا الإشارة إليه سبحانه وتعالى، مع أن النبي ﷺ قال للجارية: «أين الله»؟ فقالت: «في السماء». فقال النبي ﷺ: «أعتقها فإنها مؤمنة»[2]. وكذا حديث جابر بن عبدالله في صفة حجة النبي صلى الله عليه وآله وسلم - «وفيه كان يشير بأصبعه السبابة إلى السماء ويقول: اللهم بلغت - اللهم فاشهد» الحديث رواه مسلم.

فهذا الحديث الصحيح دالٌ على جواز الإشارة الحسية إليه تعالى، فإن النبي ﷺ قد شهد لهذه الجارية بالإيمان كما أن هذا الحديث دليل على علوه سبحانه وتعالى، وهذا الحديث جذعة في أعين المعطلة وحجة واضحة عليهم.

الخطأ الخامس والعشرون

قال المؤلف: «من ذلك قولهم. . : وله من الجهات الست جهة الفوق»[3].

---

(١) مناهل العرفان ٢/ : ٢/ ٣١٢.

(٢) رواه مسلم. وقد تقدم تخريجه مفصلا.

(٣) مناهل العرفان ٢/ : ٢/ ٣١٢.

أقول: لقد شنّع الزرقاني على السلفيين: بأنهم قالوا: «إن الله في جهة الفوق» وفي الحقيقة إن الاعتقاد بأن الله في جهة الفوق - هو اعتقاد جميع الأنبياء والمرسلين والصحابة والتابعين وأئمة هذا الدين، بل هو اعتقاد جميع بني آدم خلافاً للجهمية المعطلة[١].

ولمزيد من التحقيق أذكر كلام بعض العلماء في الجهة:

١- قال الإمام الشيخ عبدالقادر الجيلاني (٥٦١هـ): «وهو لجهة العلو مستوٍ على العرش. . ، وكونه على العرش مذكوراً في كل كتاب أنزله على كل نبي أرسله»[٢].

٢-٤- وقد صرح القاضي عياض (٥٤٤هـ) والإمام النووي (٦٧٦هـ) والزبيدي (١٢٠٥هـ): بأن المحدثين والفقهاء والمتكلمين على إثبات جهة الفوق، ومعنى (في السماء) عندهم «على السماء»، وأما المتكلمين فيتبعون الجهمية[٣].

٥- وقال ابن رشد (٥٩٥هـ): «القول بالجهة: وأما هذه الصفة فلم يزل أهل الشريعة من أول الأمر يثبتونها لله سبحانه وتعالى حتى نفتها المعتزلة، ثم تبعهم متأخرو الأشعرية، وظواهر الشرع كلها تقتضي إثبات الجهة»[٤].

---

(١) راجع غنية الطالبين ١/٦٣، والصواعق المرسلة ٤/١٢٧٩، واجتماع الجيوش ٣٢٣. تأويل مختلف الحديث ١٧٢، والتمهيد لابن عبدالبر ٧/١٤٣، ومجموع الفتاوى ٥/٣٢٠، ورد الدارمي على المريسي ٢٥، ودرء التعارض ٦/٢٠٨.

(٢) الغنية: ١/٦٣.

(٣) راجع شرح صحيح مسلم ٥/٢٤-٢٥، وشرح الإحياء للزبيدي ٢/١٠٥.

(٤) مناهج الأدلة ١٧٦-١٨٢، وانظر درء التعارض ٦/٢١٢-٢٣٧، والصواعق ٤/١٣٠٥، واجتماع الجيوش ٣٢٣-٣٢٤.

٦- وقال القرطبي (٦٧١هـ): «وقد كان السلف الأول لا يقولون بنفي الجهة و«ينطقون» بذلك بل نطقوا هم والكافة بإثباتها، كما نطق كتابه وأخبرت رسله...»[(١)].

الخطأ السادس والعشرون

قوله في الرد على السلفيين:

ويقولون: إنه استوى على عرشه بذاته استواء حقيقياً بمعنى: أنه استقر فوقه استقراراً حقيقياً...»[(٢)].

قلت: هذا بعينه مذهب السلف، فليس هذا سبباً للتشنيع على السلفيين، لأن هذا هو الاعتقاد الصحيح الذي دل عليه الكتاب والسنة، وقد أجمع على هذا الاعتقاد سلف هذه الأمة وأئمة السنة، وكلهم قد صرحوا بأن الله تعالى فوق عبادة عالٍ على السموات مستوٍ على عرشه بنفسه، وبذاته، وعلى الحقيقة لا على المجاز، وبدون تأويل، وليس هو في الأرض، ولكن علمه في كل مكان، وخلاف هذا كفر بواح، وتعطيل صراح.

ثم السلف قد فسروا استواء الله تعالى على عرشه بأربعة معان: العلو، الاستقرار، الارتفاع، الصعود. والمعاني الثلاثة الأخير ترجع إلى الأول، وهو «العلو».

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ٧/٢١٩-٢٢٠، وانظر درء التعارض ٦/٢٥٩-٢٦٠، وبيان تلبيس الجهمية ٢/٣٧، والعلو للذهبي ١٩٤-١٩٥.

(٢) مناهل العرفان ٢/٣١٢، انظر اجتماع الجيوش الاسلامية على غزو المعطلة والجهمية، وكتاب العلو.

قال الإمام ابن القيم في كلامه القيم من كتابه «النونية»:

فلهم عبارات عليها أربع قد حصلت للفارس الطعان
وهي استقر، وقد علا وكذلك ارتفع الذي ما فيه من نكران
وكذاك قد صعد الذي هو رابع وأبو عبيدة صاحب الشيبان
يختار هذا القول في تفسيره أدرى من الجهمي بالقرآن»[1]

قلت: تبين من هذا أن السلفيين الذين يفسرون الاستواء بالاستقرار هم على مذهب السلف.

الخطأ السابع والعشرون

قوله: «ولقد تجلى لك مذهب السلف والخلف فلا نطيل بإعادته»[2].

قلت: هذا باطل.

فإن هذا الرجل حرف مذهب السلف، فقد أخطأ على السلف حيث نسب إليهم القول بالتفويض في المعاني والكيف جميعا.

وأما ما سماه بمذهب الخلف فهو مذهب الجهمية بلا ريب، وأما المذهب السلفي حقاً، فقد سماه تشبيهاً وهذا من خلطه وقلبه للحقائق، فقد سبق إيراد أن مذهب السلف الإثبات بلا تعطيل ولا تمثيل، وهو إثبات هذه الصفات بمعرفة معانيها وتفويض كيفتها، وتنزيه بلا تعطيل.

---

(١) النونية ٦٧-٦٨، وشرح ابن عيسى ١/ ٤٤٠، وشرح الهراس ١/ ٢١٥.

(٢) مناهل العرفان ٢/ ٢٩١.

الخطأ الثامن والعشرون

قول المصنف: «ليس لهم مستند فيما نعلم إلا التشبث بالظواهر»[1].

قلت: هذا باطل.

فالسلفيون لهم حجج قاطعة وبراهين ساطعة من نصوص الكتاب والسنة، وأقوال سلف هذه الأمة التي هي صوارم قاطعة لحجج المعطلة، والتشبث بظواهر الكتاب والسنة سلاح كل مسلم، أما الباطنية وإخوانهم المؤولة والمعطلة، فهم لا يأخذون بظاهر الكتاب والسنة بل يحرفونها إلى معانٍ باطنية قرمطية سوفسطائية.

الخطأ التاسع والعشرون

قوله: «ولقد علمت أن حمل المتشابهات في الصفات على ظواهرها مع القول بأنها باقية على حقيقتها ليس رأياً لأحد من المسلمين، وإنما هو رأي لبعض أصحاب الأديان الأخرى: كاليهود والنصارى، وأهل النحل الضالة، كالمشبهة والمجسمة»[2].

قلت: هذا خطأ كبير من المؤلف، فإنه جعل ما هو عين الإيمان - عين الكفر! فإن هذا الذي ذكره هو دين جميع الأنبياء والمرسلين، وجميع الصحابة والتابعين وأجمع عليه أئمة هذا الدين، وهو إثبات صفات الله تعالى، وإمرارها على ظاهرها وحقيقتها بدون مجاز ولا تأويل، ولا تحريف ولا تمثيل ولا تشبيه.

---

(١) مناهل العرفان ٢/ ٢٩١.

(٢) مناهل العرفان ٢/ ٢٩٢.

وإنما التأويل مذهب أهل التحريف والتعطيل، وأما التشبيه فهو مذهب المشبهة وغيرهم، يشبهون الله بخلقه.

وأما اليهود فهم أيضا كانوا مشبهة يشبهون الله بخلقه من صفات النقص، وأما المؤولة فهم المعطلة، لأنهم ينفون الصفات ويحرفون نصوصها، ولكنهم في الوقت نفسه مشبهة يشبهون الله تعالى بالمعدومات بل الممتنعات، وكما أنهم يشبهون الله بالجمادات والعجماوات التي لا تتكلم.

كما أن النصارى مشبهة يشبهون الخلق بالخالق في صفات الكمال، وتبعهم في ذلك القبورية فهم يشبهون الصالحين بالله تعالى في علم الغيب والتصرف الكوني وغيرها من صفات الكمال.

الخطأ الثلاثون

قول المؤلف: أما نحن - معاشر المسلمين - فالعبرة عندنا في أمور العقائد هي الأدلة القطعية...»[1].

أقول: انظروا أيها المسلمون إلى المؤلف كيف سمى جماعته المعطلة - معاشر المسلمين -؟. وهذا يدل على أن - السلفيين - عنده ليسوا من المسلمين.

وأقول: إن قوله «فالعبرة عندنا... هي الأدلة القطعية..» يقصد بها الأدلة العقلية. أما أدلة الكتاب والسنة ليست عنده أدلة قطعية، وإنما هي أدلة لفظية ظنية.

---

(١) مناهل العرفان ٢/٢٩٢.

الخطأ الحادي والثلاثون

قوله: «إنه تعالى ليس جسماً ولا متحيزاً ولا مركباً ولا محتاجاً لأحد، ولا إلى مكان ولا إلى زمان ولا نحو ذلك»[1].

أقول: هذا الكلام في غاية الفساد:

أولاً: أنه مخالف لمنهج السلف في الإجمال في النفي والتفصيل في الإثبات، فهؤلاء المتكلمة على عكس منهج السلف.

وثانياً: أن الكلام في الكلمات التي ابتدعها أهل الكلام ونفوها عن الله أو أثبتوها له بدعة في الدين، وقاعدة السلف في مثل هذه الكلمات السكوت عنها، وعدم الكلام فيها نفياً أو إثباتاً إلاَّ بعد تبين قصد القائل، فإن قصد معنى حقاً يوافق عليه، وإلا رد قوله.

وهذه القاعدة منطبقة على «الجسم والمتحيز والمركب، والمكان، والزمان» فالسلف لم يتكلموا فيها لا نفياً عن الله، ولا إثباتاً له سبحانه وتعالى.

ثم هؤلاء المتكلمون يعتقدون بهذه الألفاظ نفي كثير من صفات الله تعالى كالعلو والكلام والوجه واليدين وغيرها[3].

الخطأ الثاني والثلاثون

أن المؤلف قد ساق عدة آيات في نفي التمثيل عن الله تعالى، ثم قال:

---

(١) مناهل العرفان ٢/٣١٣.

(٢) راجع كلام شيخ الإسلام وابن القيم، مجموع الفتاوى ١٦/٤٢٣، ٤٢٤، والنونية ١٦٦.

(٣) ولهذا قال ابن القيم في الرد عليهم:

يا قوم أصل بلائكم ألفاظ لم … ينزل بها الرحمن من سلطان.

انظر النونية.

«فكل ما جاء مخالفاً بظاهره لتلك القطعيات والمحكمات، فهو من المتشابهات التي لا يجوز اتباعها كما تبين لك فيما سلف»[1].

قلت: هذا الكلام غاية في الخطأ، إن هذه الآيات التي ساقها وزعم أنها محكمات هي في الحقيقة متشابهات عند السلف، لأنها مجملة وفيها نفي مجمل[2].

وأما النصوص المفصلة المحكمة الواضحة الواردة في علو الله تعالى واستوائه على عرشه، وفوقيته على عباده وكلامه وتكليمه ونزوله ووجهه ويديه، وغيرها من صفاته سبحانه وتعالى، فهي كلها متشابهات عند الزرقاني، وضرب لا يجوز اتباعها، بل يجب أن يرجع إلى المحكمات عنده.

بمعنى أن تؤول أو تفوض، وهذه بعينها طريقة الجهم بنص إمام أهل السنة، فقد صرح الإمام أحمد أن جهماً جعل آيات متشابهات كقوله تعالى: «ليس كمثله شيء»، ونحوه محكمات، وجعل آيات الصفات المحكمات متشابهات[3].

الخطأ الثالث والثلاثون

قال المؤلف: «ثم إن هؤلاء المتمسحين[4] في السلف متناقضون، لأنهم يثبتون تلك المتشابهات على حقائقها، ولا ريب أن حقائقها تستلزم الحدوث، وأعراض الحدوث، كالجسمية والتجزؤ والحركة، والانتقال،

---

(١) مناهل العرفان ٢/٣١٣.

(٢) راجع كلام الإمام أحمد في الرد على الجهمية والزنادقة ١٠٤-١٠٥.

(٣) انظر الرد على الجهمية والزنادقة ١٠٤-١٠٥.

(٤) هكذا في الأصل؟

لكنهم بعد أن يثبتوا تلك المتشابهات على حقائقها، ينفون هذه اللوازم، على أن القول بثبوت الملزومات ونفي لوازمها تناقض. . ، فقولهم في الاستواء الآنفة[1]: إن الاستواء باقٍ على حقيقته يفيد أنه الجلوس المعروف المستلزم للجسمية والتحيز.

وقولهم بعد ذلك: ليس هذا الاستواء على ما نعرف يفيد أنه ليس الجلوس المعروف المستلزم للجسمية والتحيز فكأنهم يقولون: إنه مستوٍ غير مستوٍ، ومستقر فوق العرش غير مستقر، أو متحيز غير متحيز، وجسم غير جسم، وإن الاستواء على العرش ليس هو الاستواء على العرش، والاستقرار فوقه ليس هو الاستقرار فوقه، إلى غير ذلك من الإسفاف والتهافت»[2].

أقول: كلام المؤلف في غاية من الكذب على السلف، وهو في غاية من التقول والادعاء، وبعيد عن الإنصاف، وهو يزعم أنه أثبت تناقض أهل الحديث والآثار في ستة وجوه في باب الاستواء، مع أن كلامه هذا غاية في الخطأ، وبعيد عن الحق بمراحل، وأن أهل الحديث في غاية الاستقامة والسلامة من كل. نقص أو تناقض. وأن هؤلاء المعطلة هم الضحايا للتناقض مع التعطيل والتشبيه والتحريف والجهل والتجهيل، وبيان ذلك من وجوه:

الوجه الأول: أن قوله: «إن هؤلاء المتمسحين في السلف» قول ركيك يريد به التشنيع على أهل السنة ولا شك أن القدح في أهل السنة وجعلهم مشبهة، من علامات أهل البدع، في القديم والحديث، كما صرح بذلك جمع من سلف هذه الأمة وأئمة السنة.

---

(١) هكذا في الأصل.

(٢) مناهل العرفان ٢/ ٢٩٢.

وقوله: «المتمسحين في السلف» لا معنى له من حيث اللغة، ولعله يقصد أنهم متمسحون بالانتساب إلى السلف، أي مدهنون بدهن الانتساب إلى السلف وليسوا منهم، ولكن كلامه هذا باطل، لأن عقيدتهم هي عقيدة السلف بخلاف هؤلاء المتكلمين وأفراخهم، فإن سلفهم الفلاسفة والجهمية الأولين.

الوجه الثاني: أن السلف - لا شك - يثبتون لله الصفات بحقائقها، ولكن حقائقها لا تستلزم أي شيء باطل، فقول المؤلف: «إن حقائقها تستلزم الحدوث وأعراض الحدوث كالجهة والتحيز والحركة و«الانتقال» في غاية الفساد، لأن كل صفة تتناسب مع موصوفها، وحقيقة كل صفة هي ما تليق بذلك الموصوف، ولازم الحق حق، ولازم الباطل باطل، لأن الله تعالى ليس كمثله شيء، فصفاته ليست كصفات أي شيء، فلا يلزم من إثبات الصفات على حقائقها لله تعالى أي محذور ولا أي باطل، ولا أي لازم فاسد.

الوجه الثالث: إن سلف هذه الأمة وأئمة السنة، قد صرحوا بأن هؤلاء المعطلة لم يعرفوا حقيقة التشبيه الذي يجب نفيه عن الله، فهم قد نفوا التشبيه عن الله، ولكن نفوا بذلك كثيراً من الصفات، كما أنهم لم يعرفوا حقيقة التنزيه الواجب إثباته لله تعالى، فنفوا بذلك كثيراً من الصفات أيضا، فهؤلاء المعطلة لم يعرفوا التنزيه ولا التشبيه الوارد في الكتاب والسنة، فعطلوا كثيراً من صفات الله تعالى بحجة إثبات التنزيه وبحجة نفي التشبيه، لزعمهم أن تلك الصفات مما يخالف التنزيه، ويستلزم التشبيه، مع أن إثبات الصفات بلا تعطيل ولا تمثيل، ليس من التشبيه في شيء، وإنما هو عين التنزيه.

أما التشبيه المنفي عن الله هو أن يقال: استواؤه كاستواء الخلق، وعلوه كعلو فلان، وكلامه ككلام الناس، ويده كيد الخلق، ونحو ذلك.

صرح بذلك إمام أهل السنة أحمد بن حنبل، وإسحق بن رهويه والترمذي وشيخ الإسلام ابن تيمية والحافظ والشاه ولي الله[1].

وإذا ثبت هذا: فنقول إن إثبات الصفات بحقائقها اللائقة بالله تعالى لا يستلزم أي تشبيه ولا أي لزوم باطل، فبطل قول المؤلف، فأين التناقض في كلام سلف الأمة وأئمة السنة؟؟!

الوجه الرابع: أن زعمه أن إثبات الصفات على حقائقها - ولا سيما الاستواء على حقيقته - تفيد - وتستلزم - الحدوث وأعراض الحدوث كالجهة والتجزؤ، والحركة، والانتقال، والجلوس المعروف المستلزم للجهة والتحيز، إلى آخر كلامه، كل هذا بعينه زعمه إخوانه وسلفه ممن سلك هذا الطريق، فإنهم زعموا أن إثبات هذه الصفات يستلزم تلك اللوازم الباطلة، فعطلوا تلك الصفات فراراً من التشبيه، ولكنهم وقعوا في أقبح التشبيه، لأنهم لما نفوا علو الله تعالى وكلامه، وقالوا: إنه لا داخل العالم ولا خارجه ولا متصل به ولا منفصل عنه، ولا فوق العالم، ولا تحته، ولا عن يمينه ولا عن شماله، ولا خلفه، ولا أمامه، ولا في الجهات الست، فقد وصفوا الله تعالى بصفات العجماوات الصامتات، بل الجمادات بل المعدومات، بل الممتنعات وشبهوه بها.

وكفى بهذا التشبيه قبحا، ونعوذ بالله من هذا التنزيه الذي يوجب التعطيل، كما صرح بذلك كثير من السلف، ومنهم الأشعري[2].

---

(١) انظر سنن الترمذي ٣/ ٤٢، والفتح ١٣/ ٤٠٧، وحجة الله البالغة ١/ ٦٣، ودرء التعارض ٢/ ٣٢.

(٢) راجع الإبانة ٢/ ١١٧.

وإذا ثبت هذا تبين لك أيها القارىء أن الزرقاني وأمثاله هم الواقعون في التناقض، دون السلف ومن تبعهم في إثبات الصفات لله سبحانه وتعالى.

وأود أن أسوق لتحقيق أن هؤلاء المتكلمة هم المشبهة وهم المعطلة وهم المتناقضون في آن واحد نصاً مهماً للإمام الذهبي، لما أرى فيه من عبرة ونكال. قال رحمه الله:

إن من تأوّل سائر الصفات، وحمل ما ورد منها على مجاز الكلام، أدّاه ذلك السلب إلى تعطيل الرب، وأن يشابه المعدوم كما نقل عن حماد بن زيد أنه قال: مثل الجهمية كقوم قالوا:

«في دارنا نخلة».

قيل: لها سعف؟

قالوا: لا.

قيل: فلها كرب؟

قالوا: لا.

قيل: لها رطب وقنو؟

قالوا: لا.

قيل: فلها ساق؟

قالوا: لا.

قيل: فما في داركم نخلة.

[قال الذهبي]. قيل: كذلك هؤلاء النفاة، قالوا: إلهنا الله تعالى، هو لا في زمان ولا في مكان، ولا يرى، ولا يسمع، ولا يبصر، ولا يتكلم، ولا يرضى، ولا يغضب، ولا يريد، ولا...، ولا..»[1].

قلت: لقد تبين أن الزرقاني وأمثاله هم الواقعون في التناقض دون السلف وأتباعهم.

الوجه الخامس: أن تشبث المؤلف وأمثاله بألفاظ فلسفية كلامية، كالجسمية، والتجزؤ والحركة والانتقال، والحدوث، والأعراض، ونحوها، لتعطيل صفات الله تعالى، هو أصل بلائهم.

فهم يزعمون أن إثبات الصفات يستلزم هذه الأمور، لذلك تراهم يعطلون الصفات، ويحرفون نصوصها، ولذلك قال الإمام ابن القيم:

«فصل في بيان أن المصيبة التي حلت بأهل التعطيل والكفران، من جهة الأسماء التي ما أنزل الله بها من سلطان:

يا قوم أصل بلائكم أسماء لم ... ينزل بها الرحمن من سلطانِ

هي عكستكم غاية التعكيس واقـ ... تَلَعَت دياركم من الأركانِ

فتدهمت تلك القصور وأوحشت ... منكم ربوع العلم والإيمانِ

والذنب ذنبكم قبلتم لفظها ... من غير تفصيل ولا فرقانِ

وهي التي اشتملت على أمرين من ... حق وأمر واضح البطلانِ

سميتم عرش المهيمن حيزاً ... والاستواء تحيزاً بمكانِ

وجعلتم فوق السماوات العلى ... جهة وسقتم نفي ذا بوزانِ

(١) مختصر العلو للذهبي، اختصار الألباني ٢٦٩.

وجعلتم الإثبات تشبيعهاً وتجـ ... سيماً وهذا غاية البهتانِ
وجعلتم الموصوف جسماً قابل الا ... أعراض والأكوان والألوانِ
وجعلتم أوصافه عرضاً ... وهذا كله جسر إلى النكرانِ
وكذاك سميتم حلول حوادث ... أفعاله تلقيب ذي عدوانِ

ثم قال:

وكذا استواء الرب فوق العرش قل ... تم إنه التركيب ذو بطلانِ
وكذاك وجه الرب جلا جلاله ... وكذاك لفظ يد ولفظ يدانِ
سميتم ذا كله الأعضاء بل ... سميتموه جوارح الإنسانِ
وسطوتم بالنفي حينئذ عليه ... كنفينا للعيب مع نقصانِ
فلم ننزهه عن الأعراض والأ ... غراض والأبعاض والجثمانِ
وعن الحوادث أن تحل بذاته ... سبحانه من طارق الحدثانِ
والقصد نفي صفاته وفعاله ... والاستواء وحكمة الرحمنِ

ثم قال:

سموه ما شئتم فليس الشأن في الا ... أسماء بل في مقصد ومعانِ
كم ذا توسلتم بلفظ الجسم ... والتجسيم للتعطيل والكفرانِ»[(١)]

الحاصل: أن هؤلاء المتكلمة بسبب هذه الأسماء قد وقعوا في التعطيل والتحريف، وأما السلف وأتباعهم فطريقهم مستقيم لا تناقض فيه، ولا تعطيل، ولا تحريف، بل إثبات بلا تمثيل ونفي التشبيه عنه بلا تعطيل.

---

(١) النونية: ١٦٦-١٦٧.

الوجه السادس: أن الاستواء الحقيقي لا يستلزم الجلوس المعروف ولا يفيده، فليس في لغة العرب ولا اصطلاحاتهم أن الاستواء بمعنى الجلوس، أو يفيد الجلوس، وإنما الاستواء معناه العلو والارتفاع، فبطل قول المؤلف: «أن الاستواء على حقيقته يفيد أنه الجلوس المعروف المستلزم للجسم».

وإذا بطل هذا بطلت دعواه التناقض على السلفيين: أنهم قالوا: «إنه مستوٍ غير مستو. . .».

الوجه السابع: أن المؤلف وأمثاله وقعوا في التناقض والاضطراب، لأنهم يثبتون بعض الصفات، وينفون بعضها، ويفوضون في بعضها ولا يفوضون في بعضها مع أن القول في بعضها كالقول في بعضها الآخر، فهم من أشد الناس تناقضاً واضطراباً، فإن كان الاستواء والعلو والارتفاع يستلزم الجسمية، والتحيز، والتشبيه، والحدوث، فالعلم والإرادة والكلام والرؤية ونحوها من الصفات أيضاً يستلزم حدوث الحوادث والتشبيه وغير ذلك من اللوازم.

فلم قالوا بإثبات العلم والإرادة؟!!

ولم يقولوا بالاستواء والعلو؟!!

وإذا كان العلم والإرادة والرؤية ونحوها من الصفات لا تستلزم أي محذور أو لازم فاسد من التشبيه والتحيز، فإثبات العلو والاستواء والوجه واليدين ونحوها من الصفات أيضاً لا يستلزم أي محذور ولا أي لازم فاسد: من التشبيه والتحيز، ونحو ذلك.

والحاصل: أن السلف وأتباعهم مبرؤون من التناقض وإنما التناقض في قول المؤلف وأمثاله، على حد قول القائل: «رمتني بدائها وانسلت».

الخطأ الرابع والثلاثون

قوله: «فإن أرادوا بقولهم: الاستواء حقيقة: أنه على حقيقته التي يعلمها الله ولا نعلمها نحن، فقد اتفقنا، لكن بقي أن تعبيرهم هذا موهم، لا يجوز أن يصدر من مؤمن..»[1].

قلت: هذا كله باطل، فنحن نعتقد: أن استواء الله على عرشه، وعلوه على خلقه، أمر حقيقي لا مجاز فيه، ونعتقد أن معنى الاستواء والعلو معلوم في اللغة والعرف، كما أننا نعتقد أن كيفية الاستواء، أمر لا يعلمه إلا الله عز وجل، وإذا ثبت هذا ثبت أننا لم نتفق مع المؤلف، وأنه لم يتفق معنا، فإنَّ مذهبنا إثبات بلا تمثيل، ومذهبهم ما يسمى بالتأويل، أو تعطيل على جهل وتجهيل، وهو ما يسمى بالتفويض، كما ثبت أن مذهبنا ليس بموهم لأي باطل، بل مذهبنا حق ولوازمه كلها حق، فإن لازم الحق حق، وأما مذهب المؤلف فكله باطل، ومستلزم لعدة من الأباطيل واللوازم الفاسدة: من التعطيل والتحريف، والتشبيه، والتفويض، والتجهيل.

الخطأ الخامس والثلاثون

قول المؤلف: «الاستواء في اللغة العربية يدل على ما هو مستحيل على الله في ظاهره، فلا بد من صرفه عن هذا الظاهر، واللفظ إذا حرف عما وضع له واستعمل في غير ما وضع له، خرج عن الحقيقة إلى المجاز لا محالة، ما دامت هناك قرينة مانعة من إرادة المعنى الأصلي»[2].

---

(١) المناهل: ٢/ ٢٩٢-٢٩٣.

(٢) مناهل العرفان ٢/ ٢٩٣.

أقول: هذا الكلام في طيه تلبيس لوجوه:

الأول: أن الاستواء في اللغة هو العلو والارتفاع والعلو والارتفاع غير مستحيل على الله تعالى، لا ظاهراً ولا باطناً.

فأي محال في علو الله تعالى على خلقه، واستوائه على عرشه؟!!

الثاني: أن المجاز باطل من أصله، فإن كنت في ريب من هذا، فارجع إلى دقائق تحقيقات شيخ الإسلام، وابن القيم[1].

الثالث: أن التعريف الذي ذكرت للمجاز هو عين التحريف. ولا سيما تأويل «الاستواء»، لأنه لم يأت في اللغة العربية الاستواء بمعنى الاستيلاء[2].

وقد صرح كثير من أئمة الإسلام أن تأويلات المتكلمين بعينها تحريفات. ولنعم ما قال الإمام ابن القيم في تحقيق أنهم سموا التحريف تأويلاً والتعطيل تنزيهاً:

سميتم التحريف تأويلاً كذا ... التعطيل تنزيهاً هما لقبان

وسطوا على الوحيين بالتحريف إذ ... سموه تأويلاً بوضع ثانِ

ورث المحرف من يهود وهم أولو الـ ... تحريف والتبديل والكتمانِ[3]

الرابع: أن تشبث المصنف بالقرينة لصرف معنى الاستواء والعلو إلى معنى آخر، مغالطة في غاية الشناعة وقلب للحقائق، إذ القرينة بل القرائن

---

(١) الرسالة المدنية، وكتاب الإيمان، ومختصر الصواعق المرسلة.

(٢) انظر اجتماع الجيوش ٢٦٥-٢٦٦، وفتح الباري ١٣/٣٠٦، وشرح اعتقاد أهل السنة للالكائي ٣/٢٩٩، والأسماء والصفات ٤١٥.

(٣) انظر النونية ٢٩٠، ٢٩١، ٢٩٧، وتوضيح المقاصد ٢/٢٣، ٢٥، ٢٧، وشرحها لهراس ١/ ٢٨١، ١٨٣، ٣٠٢.

بل الآلاف من القرائن، بل النصوص الصريحات، والعقليات والفطريات، وإجماع بني آدم على أن الاستواء هو العلو والارتفاع، وأن الله (تعالى) عالٍ على خلقه مستوٍ على عرشه، ولم يخالف في ذلك إلا المعطلة وأذيالهم من الماتريدية والأشعرية.

أليست هذه النصوص المحكمات بآلافها، وسياقها وتأكيداتها وأطرادها قرائن على علو الله تعالى على خلقه، واستوائه على عرشه؟!

فإذا لم تكن هذه قرائن فما هي القرينة؟

وإذا لم تكن هذه قرائن فما في الدنيا قرينة!

وأي قرينة لتحريف هذه النصوص الآلاف المؤلفة؟

ولذلك ترى الإمام ابن القيم يقول:

«هب أن ذلك [المجاز والتأويل] يمكن في موضع، أو اثنين، أو ثلاثة وعشرة! أفيسوغ حمل أكثر من ثلاثة آلاف وأربعة آلاف موضع كلها على المجاز وتأويل الجميع بما يخالف الظاهر؟»[1].

الخطأ السادس والثلاثون

قوله: «ثم إن كلامهم بهذه الصورة فيه تلبيس على العامة، فكيف يواجهونهم به ويحملونهم عليه، وفي ذلك ما فيه من الإضلال وتمزيق وحدة الأمة...»[2].

قلت: هذا الكلام باطل من وجهين:

---

(١) مختصر الصواعق ٤١٥ ط دار الكتب العلمية.

(٢) مناهل العرفان ٢/٢٩٣.

الأول: أن النبي ﷺ كان يتلو آيات الصفات ويتكلم بكلامه الذي فيه خبر عن الله تعالى وصفاته، وكان يغشاه عليه الحضري والبدوي، فلو كان بيان توحيد الأسماء والصفات تلبيساً على العامة لم يتفوه النبي ﷺ بشيء من ذلك.

ونقول: لما كان رسول الله ﷺ مواجهاً بنصوص الصفات جميع أصناف الناس، لزم بطلان جميع مزاعم الزرقاني.

الثاني: أن زعم المؤلف أن بيان صفات الله تعالى بدون تعطيلها وبدون تحريف نصوصها فيه إضلال وتمزيق لوحدة الأمة، فقول في غاية السفاهة والفساد، فإن المتكلمين من الجهمية المعطلة هم الذين مزقوا وحدة هذه الأمة، وأتوا بضلال التعطيل وإضلال التحريف.

وأما السلفيون فهم بحمد الله يدعون الناس إلى ما كان عليه سلف هذه الأمة ولا يجمع شمل هذه الأمة إلا بتوحيد العقيدة وتوحيد الصفوف. وهذا لا يمكن إلا بالتمسك بالكتاب والسنة وما عليه أئمة هذه الأمة في العقائد والأعمال.

الخطأ السابع والثلاثون

زعمه: أن قول المتكلمين الماتريدية والأشعرية: إن الله لا داخل العالم ولا خارجه ولا متصل بالعالم ولا منفصل عنه، ولا جهة له، ولا فوق ولا تحت، ولا يمين، ولا شمال، قول صحيح، فلا يلزم منه كون الله معدوماً[1].

أقول: هذا كلام باطل، وزعم فاسد، لوجوه:

---

(١) مناهل العرفان ٢٩٣-٢٩٤.

الأول: أن قول المتكلمين هذا يلزم منه كون الله معدوماً، بل يلزم منه كون الله ممتنعاً، لأن هذه أوصاف المعدوم، بل هي أوصاف الممتنع، فإنه لا شك في: أن الشيء إذا كان لا فوق العالم، ولا تحته، ولا يمينه، ولا شماله، ولا خلفه، ولا أمامه، ولا متصلاً بالعالم، ولا منفصلاً عنه، ولا داخلاً في العالم، ولا خارجاً عنه، لا بد أن يكون معدوماً محضاً، بل لا بد أن يكون ممتنعاً بحتاً.

وقد صرح بذلك جمع من أئمة هذه الأمة: أمثال محمد بن الحسن الشيباني (١٨٩هـ) وإمام أهل السنة أحمد بن حنبل (٢٤١هـ)، وعبدالعزيز الكناني (٢٤٠هـ)، وابن كلاب (٢٤٠هـ)، والأشعري (٣٢٤هـ)، والسلطان محمود بن سبكتكين (٤٢١هـ)، وابن عبدالبر (٤٦٣هـ)، وشيخ الإسلام (٧٢٨هـ)، والذهبي (٧٤٨هـ)، وابن القيم (٧٥١هـ)، وابن أبي العز الحنفي (٧٩٢هـ)، والشوكاني (١٢٥٠هـ)، والألوسي الجد (١٢٧٠هـ)، وابنه نعمان (١٣١٧هـ) وحفيده شكري (١٣٤٢هـ).

وقد ذكرت نصوصهم في كتاب نقض قول من تبع الفلاسفة في دعواهم أن الله لا داخل العالم ولا خارجه فارجع إليه.

وقد سبق نص كلام الإمام حماد بن زيد فراجعه أيضاً[1].

الثاني: أن قول المتكلمين هذا: «إن الله لا داخل ولا العالم ولا خارجه، ولا متصل بالعالم ولا منفصل عنه، ولا فوق ولا تحت...» إلى آخر هذيانهم، يلزم منه رفع النقيضين.

ورفع النقيضين باطل عند جميع العقلاء، كما أن اجتماع النقيضين باطل عندهم جميعاً.

---

(١) انظر ما سبق.

الوجه الثالث: أن هذا القول فتح الباب بمصراعيه للاتحاد، فإن هؤلاء الصوفية الاتحادية، لما سمعوا المتكلمين يقولون بهذا الهذيان، قالوا: إذا كان الله تعالى لا داخل العالم ولا خارجه، ولا منفصل عنه، ولا متصل به، ولا فوق ولا تحت، فهو عين هذا العالم فما ثم إلا هو فكل شيء هو الله بعينه.

ولأجل ذلك شنّع الإمام ابن القيم على هؤلاء المتكلمين الذين يؤدي كلامهم إلى امتناع الرب تعالى وكونه معدوماً ممتنعاً، كما يؤدي كلامهم إلى فتح باب الزندقة، والاتحاد مبيناً لهم أنكم خططتم لهم ومهدتم لهم كتخطيط المدرس للطالب:

فلذاك قلنا: إنكم باب من بالاتحاد يقول بل بابان

نقّطتم، لهم، وهو خطّوا على نُقَطِ لكم كمعلّم الصبيان[1]

يعني: أنكم أيها الماتريدية والأشعرية بإنكاركم علو الله فتحتم البابين على مصارعهما للملاحدة الاتحادية، وأنتم مهدتم لهم وخططتم هذا التخطيط كالمدرس للطلاب، فأنتم صرتم مدرسين لهؤلاء الملاحدة، وهؤلاء الملاحدة صاروا تلاميذ لكم، حيث إنهم ساروا على تخطيطكم وبنوا على مخططاتكم.

الخطأ الثامن والثلاثون

زعم المؤلف بعد ذكر هذه الشبهة: أن قول المتكلمين: إن الله لا داخل العالم ولا خارجه ولا متصل به، ولا منفصل عنه، ولا فوق ولا تحت.. قول صحيح، إذ يجوز رفع هذه الأمور عن الله وعدم اتصافه بها، فإن الله تعالى لا يوصف بكونه متصلاً أو منفصلاً أو داخلاً أو خارجاً، كما أن

(١) النونية: ٥٧.

الحجر لا يوصف بكونه عالماً، ولا يكون جاهلاً، لا يلزم منه وصف الله بالمعدوم، لأن هذا قياس للغائب على الشاهد، وقياس الغائب على الشاهد باطل، لأن الله تعالى ليس كخلقه، فلا يكون حكمه كحكمهم، فالله لا يجب له جهة من الجهات، فإذا قلنا: إن الله لا جهة له لا يلزم منه وصف الله بالعدم[1].

قلت: هذا الزعم فاسد بل هذه مغالطة، فإن المسألة ليست مسألة قياس الغائب على الشاهد، بل المسألة مسألة الموجود بالوجود الخارجي وليست هذه المسألة من قبيل عدم وصف الحجر بالعلم، ولا بالجهل، بل كلامنا في الوجود الخارجي الحقيقي.

وتحقيق هذا: أننا نسأل المصنف وأمثاله: هل الله تعالى موجود أم معدوم؟

فلا بد لهم من أن يقولوا: إن الله موجود.

ثم نسألهم مرة ثانية: هل وجود الله وجود ذهني أم وجود خارجي؟

فلا بد لهم من أن يقولوا: إن الله تعالى موجود بوجود خارجي واقعي.

ثم نسألهم مرة ثالثة: إنكم إذا اعترفتم ولا بد أن الله تعالى موجود بوجود خارجي، لا ذهني، واقعي، لا فرضي، حقيقي، لا مجازي، متميز، لا مختلط، فكيف تقولون بعد هذا: إن الله لا داخل العالم ولا خارجه، ولا متصل به، ولا منفصل عنه، ولا فوق ولا تحت.. إلى آخر هذيانكم؟

---

(١) مناهل العرفان ٢/ ٣١٤-٣١٥.

فإن قولكم هذا بعد اعترافكم بتلك المقدمات السالفة، قول صريح في كون الله تعالى معدوماً، محضاً بل ممتنعاً بحتاً، كما أن قولكم هذا متناقض تناقضاً واضحاً، وكفى بذلك خزياً مبيناً.

لأن النقل الصحيح والعقل الصريح، بل بداهة العقول، بل إجماع العقلاء حول الشيئين على أن يكون أحدهما حالاً في الآخر، أو أن يكون أحدهما منفصلاً عنه، وأما إذا قلتم: إن الله موجود بوجود خارجي حقيقي واقعي متميز، ثم تقولون: إنه لا داخل العالم ولا خارجه، ولا متصل به، ولا منفصل عنه، ولا فوقه ولا تحته، فأنتم إما مجانين سفهاء، وتهذون هذيان المحمومين والمرضى، وإما معطلون لذات الرب سبحانه، وواصفون له بالعدم، وصفات الممتنع؟!!

لأنه لا يعقل شيء في بداهة العقول أن يكون موجوداً بوجود خارجي حقيقي، ثم يكون لا داخل العالم ولا خارجه ولا متصلاً به ولا منفصلاً عنه، ولا فوقه ولا تحته[1].

الحاصل: أنه لا شك أنه لا يقاس الغائب على الشاهد بقياس التمثيل، ولكن الله تعالى أولى بالكمال المطلق، ولا شك أن الله تعالى موجود بوجود خارجي، ومن شأن الموجود بالوجود الخارجي أن يكون إما جزءاً من العالم داخلاً فيه، أو يكون عين العالم، أو يكون خارجاً عن العالم، والصورتان الأوليان باطلتان، فتعين أن الله تعالى خارج عن هذا العالم منفصل عنه بائن عال عليه.

---

(١) انظر النونية ٥٦-٥٧، وشرحها توضيح المقاصد ١/٣٩٣-٣٩٦، وشرح الهراس ١/١٨١-١٨٤، وتوضيح السعدي ٥٩-٦١، وانظر أيضاً الصواعق المرسلة ٤/١٣١١-١٣١٢.

الخطأ التاسع والثلاثون

زعمه: أنه يجوز أن يقال: إن الله لا داخل العالم ولا خارجه، ولا متصل به، ولا منفصل عنه، ولا في جهة ولا فوق ولا تحت...، لأن الداخل والخارج متضادان، وكذا المتصل والمنفصل متضادان، والفوق والتحت متضادان، فيجوز نفي المتضادين، ورفعهما، وليست هذه الأمور من النقيضين حتى يقال: إنه لا يجوز نفي النقيضين ورفعهما.

كالخير والشر، والحركة والسكون والحار والبارد، والأبيض والأسود، والجهل والعلم.

والقاعدة في المتضادين: أنهما لا يجتمعان، ولكنهما يرتفعان معاً، لوجود الواسطة بينهما، فيجوز أن الشيء لا أبيض ولا أسود، بل يكون البني والأحمر، ويجوز أن يكون الشيء لا حاراً ولا بارداً، بل يكون فاتراً، ويوجد بين الجهل والعلم الواسطة»[1].

قلت: هذا الكلام لا يصح على هذا الإطلاق، بل قد لا يجوز نفي المتضادين أيضاً، إذا لم يكن بينهما واسطة، كقولهم: العدد إما زوج أو فرد، فلا يجوز رفعهما لعدم الواسطة، لذلك تمثيله بالخير والشر، والحركة والسكون، والحار والبارد، والعلم والجهل، باطل، لأنه لا واسطة بين الخير وبين الشر، فالشيء إما يكون خيراً وإما يكون شراً، فلا يوجد شيء لا يكون خيراً ولا يكون شراً، فأين الواسطة؟

وكذلك لا توجد الواسطة بين الحركة والسكون، فالشيء الموجود إما أن يكون ساكنا وإما أن يكون متحركا، فلا يقال: هذا لشيء لا ساكن ولا متحرك، إذاً لا واسطة بينهما.

---

(١) هامش مناهل العرفان ٢/ ٣١٥.

وهكذا الحار والبارد لا واسطة بينهما، أما الفاتر فليس وسط بين الحار والبارد، لأن الحار والبارد من الأمور النسبية وهما من المتناقضين، ولكن بينهما معنى التضاد، فهذا الفاتر بالنسبة إلى فاتر آخر بارد، ولكن بالنسبة إلى فاتر آخر حار.

وأما الأبيض والأسود، فالواسطة بينهما بني وأحمر، ولا شك، ولكن إذا قلت: هذا الشيء لا بني ولا أحمر ولا أسود ولا أبيض ولا أخضر ولا أزرق، ولا كذا ولا كذا، فتنفي جميع الألوان، كان هذا مستحيلاً، فهكذا قولكم: إن الله لا داخل العالم ولا خارجه، ولا متصل به، ولا منفصل عنه، ولا فوق ولا تحت ولا يمين ولا شمال، ولا أمام ولا خلف، ولا في جهة باطل ظاهر البطلان، والله الموفق وهو المعين.

وههنا نكتة منطقية وهي أن الداخل والخارج والمتصل والمنفصل بينهما انفصال حقيقي لا واسطة بينهما كزوجية العدد وفرديته وما كان بهذه المثابة لا يجوز رفعهما ولا جمعهما لأن هذا من قبيل رفع النقيضين أو جمعهما وهو لا يجوز باتفاق العقلاء. والله المستعان.

الخطأ الأربعون

قوله: «نقول لهؤلاء: أين كان الله قبل أن يخلق العرش والكرسي؟..»[1].

أقول: هذا السؤال سؤال متعنت، لأنه لم يكلفنا الله تعالى أن نقول: أين كان الله قبل خلق السماوات، ولا أن نقول: إن الله تعالى كان في كذا وكذا، قبل خلق السماوات والأرض. وإنما كلفنا أن نعتقد أن الله تعالى له

---

(١) مناهل العرفان ٢/٣١٦.

صفة العلو الذاتي، فالله تعالى لم يزل ولا يزال عالياً، له العلو المطلق، وقد ورد في ذلك حديث «رزين»، ولفظه: أين كان ربنا قبل أن يخلق خلقه؟ قال: **«كان في عماء»** الحديث، رواه الترمذي ٥/ ٢٨٨، وابن ماجة ١/ ٦٤-٦٥، وفي إسناده مقال؟!

فالحديث لا يمشي في باب العقيدة، والسكوت عن هذا التفصيل واجب، لعدم ورود الحديث الصحيح في ذلك.

الخطأ الحادي والأربعون

قوله: «وهو الآن على ما عليه كان، لا جهة ولا مكان»[(١)].

قلت: هذا من خرافات المتكلمين وأباطيلهم وقد تشبثت به الماتريدية والأشعرية لنفي علو الله تعالى، فقصدهم: أن الله ليس على العرش وليس فوق العالم، وليس عالياً على خلقه، كما كان قبل خلق الخلق، وبعض الكذابين جعلوا هذا من الحديث المرفوع، ولكنه كذب على رسول الله ﷺ.

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله رحمة واسعة:

«تنبيه: وقع في بعض الكتب في هذا الحديث»[(٢)].

«كان الله ولا شيء معه، وهو الآن على ما عليه كان» وهي زيادة ليست في شيء من كتب الحديث، نبه على ذلك العلامة تقي الدين ابن تيمية، وهو مسلّم في قوله: «وهو الآن» إلى آخره...»[(٣)].

---

(١) مناهل العرفان ٣١٦.

(٢) أي في حديث عمران بن حصين: «كان الله ولم يكن شيء غيره» الحديث رواه البخاري برقم ٣١٩١، انظر الفتح ٦-٢٨٦.

(٣) الفتح ٦/ ٢٨٩.

الخطأ الثاني والأربعون

قول المؤلف: «ثالثا: نقول لهم: إذا كنتم تأخذون بظواهر النصوص على حقيقتها، فماذا تفعلون بمثل قوله تعالى: **﴿أأمنتم من في السماء﴾**[1]، مع قوله تعالى: **﴿وهو الله في السماوات وفي الأرض﴾**[2]؟

أتقولون: إنه في السماء حقيقة؟

أم في الأرض حقيقة؟

أم فيهما معا حقيقة؟

وإذا كان في الأرض وحدها حقيقة فكيف تكون له جهة فوق؟

وإذا كان فيهما معا حقيقة، فلماذا يقال: له جهة فوق ولا يقال له جهة تحت؟

ولماذا يشار إليه فوق ولا يشار إليه تحت؟...»[3].

قلت: كلام المؤلف ظلمات بعضها فوق بعض، وكله شبهات فهو يحاول إثبات التناقض في آيات القرآن ليدعم تعطيله وإنكاره لصفة علو الله تعالى، وإلاَّ فالجواب واضح، ولا تناقض ولا اضطراب في كلام الله تعالى، لأننا نقول: إنه لا شك: أن الله تعالى في السماء، أي على السماء، على أن المراد من كلمة «في» «على». أو «في جهة العلو» على أن المراد من كلمة «السماء»: جهة العلو، فإن نصوص الكتاب والسنة والكتب السماوية

---

(١) مناهل العرفان ٢/٣١٦.

(٢) انظر معالم التنزيل ٣/١٢٧.

(٣) مناهل العرفان ٢/٣١٦.

والرسل جميعاً، وجميع بني آدم غير الجهمية على أن الله تعالى فوق العالم عالٍ على عرشه، ويشار إليه أنه في جهة الفوق في السماء، كما هو صريح حديث الجارية الذي هو جذعة في أعين المعطلة الجهمية، ولا نقول: إنه في الأرض.

كما لا نقول: إنه فيهما.

ولا نقول أيضاً: إنه يشار إليه إلى التحت.

كما لا نقول: إنه يشار إليه إلى التحت والفوق جميعاً.

بل نقول: إنه فوق العالم عالٍ على خلقه، ويشار إليه إلى جهة الفوق، سبحانه وتعالى.

ولا يناقض ذلك قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِى ٱلْأَرْضِ﴾(١).

فإن هذه الآيات قد فسّرت بتفسيرات ثلاثة:

الأول: أن الله إله السماوات والأرض، كقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ﴾(٢).

والثاني: أن المراد بكلمة «الله» هو «المعبود». فالمعنى، وهو المعبود في السماوات وفي الأرض، وهذا التفسير يرجع إلى الأول.

الثالث: وهو يعلم سركم وجهركم في السماوات والأرض، فالآية فيها قلب، وتقديم وتأخير، وليس هذا بتأويل بل هو من المعاني الصحيحة، والمعنى على هذا، أن الله تعالى في السماء والأرض بالعلم، لا أنه تعالى في

---

(١) سورة الانعام (٣).

(٢) سورة الزخرف: الآية (٨٤).

السماء والأرض بالذات، لقوله تعالى: ﴿يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ﴾[1] وقوله: ﴿يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ﴾ قرينة دالة على أن المراد من قوله: ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِي ٱلْأَرْضِ﴾[2] أنه تعالى عالم بما في السماوات والأرض لا تخفى عليه خافية.

الحاصل: أن هذه الآية لا تدل على أن السماوات والأرض ظرف لله تعالى، فلا تتعارض هذه الآية مع تلك النصوص التي هي تتجاوز الآلاف والتي تدل على علو الله تعالى على خلقه وفوقيته على عباده، وإذا تبين أنه لا تعارض بين هذه الآية، وبين نصوص علو الله تعالى على خلقه بطلت جميع شبهات المؤلف والحمد لله.

الخطأ الثالث والأربعون

قول المؤلف: «ثم ألا يعلمون: أن الجهات أمور نسبية، فما هو فوق بالنسبة إلينا يكون تحتاً بالنسبة إلى غيرنا، فأين يذهبون»[3].

قلت: هذه مغالطة مكشوفة، فنحن لا نذهب إلا إلى ما دل عليه المعقول الصريح والمنقول الصحيح من أن الله تعالى فوق العالم عالٍ على عرشه ولا حقيقة لمغالطته هذه، لأن الفوق الذي نعتقد أن الله تعالى فيه هو فوق العالم وفوق العرش، وهذا الفوق ليس من الأمور النسبية بل هذا الفوق هو الفوق بالنسبة إلى جميع المخلوقات، وكشف هذه المغالطة المكشوفة أن

---

(١) سورة الأنعام (٣).

(٢) سورة الأنعام (٣).

(٣) مناهل العرفان ٢/ ٣١٦.

السماء في جهة الفوق بالنسبة إلى جزيرة العرب (السعودية) فهل يصح أن يقال إن السماء في جهة التحت بالنسبة إلى أمريكا؟؟!

وهل يصح أن يدعي أهل السعودية، أن أهل امريكا تحتهم، أو العكس؟؟!

ولشيخ الإسلام مباحث قيمة لقلع هذه الشبهة في الرسالة العرشية، وهي في مجموع الفتاوى ٦/ ٥٤٥-٥٨٤.

ومما قال رحمه الله: «لكن جهة العلو والسفل للأفلاك لا تتغير، فالمحيط هو العلو المركز هو السفل، مع أن وجه الأرض التي صنعها الله للأنام، وأرساها بالجبال، هو الذي عليه الناس والبهائم والشجر والنبات والجبال والأنهار الجارية، فأما الناحية الأخرى من الأرض، فالبحر محيط بها، وليس هناك شيء من الآدميين وما يتبعهم، ولو قدر أن هناك أحداً لكان على ظهر الأرض، ولم يكن من في هذه الجهة تحت من في هذه الجهة، ولا من في هذه الجهة تحت من في هذه الجهة، كما أن الأفلاك محيطة بالمركز، وليس أحد جانبي الفلك تحت الآخر، ولا القطب الشمالي تحت الجنوبي، ولا بالعكس...»[1].

الحاصل: أن شبهة المؤلف داحضة، فهو قد ظن أن السماء الفوقانية التي يراها أهل مصر هي السماء التحتانية التي يراها أهل أمريكا، وأن سماء أمريكا تحت سماء مصر، وهذا ظن باطل كما ترى.

الخطأ الرابع والأربعون

شبهته وقوله: رابعاً نقول لهؤلاء [الوهابية]: ماذا تقولون في قوله

---

(١) الرسالة العرشية.

تعالى: ﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوۡقَ أَيۡدِيهِمۡۚ﴾[1] بإفراد اليد، مع قوله: ﴿لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ﴾[2]، بتثنيتها، ومع قوله: ﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيۡنَٰهَا بِأَيۡيْدٖ﴾[3] بجمعها.

فإذا كنتم تعلمون النصوص على ظاهرها حقيقة فأخبرونا: أله يدٌ واحدة، بناء على الآية الأولى، أم له يدان بناء على الآية الثانية، أم له أيدٍ أكثر من اثنتين بناء على الآية الثالثة؟!»[*].

أقول: انظروا إلى مغالطة المؤلف كيف يحاول إظهار التناقض بين آيات كلام الله المحكم الذي من إعجازه، عدم التناقض فيه لقوله تعالى: ﴿وَلَوۡ كَانَ مِنۡ عِندِ غَيۡرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخۡتِلَٰفٗا كَثِيرٗا ﴿٨٢﴾﴾[4].

فإنه لا شك أن الله تعالى له يدان، يمين وشمال، ولكن شماله أيضا يمين، فكلتا يديه يمين، وقد استفاضت نصوص الكتاب والسنة على إثبات اليدين له سبحانه وتعالى، ولا يعارضها قوله تعالى: ﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوۡقَ أَيۡدِيهِمۡۚ﴾[5].
أو قوله تعالى: ﴿بِيَدِهِ ٱلۡمُلۡكُ﴾[6]، ونحو ذلك من النصوص التي فيها ذكر اليد بإفراد، لأن إفراد اليد لا يعارض اليدين بوجه من الوجوه ولا ينفيهما، فجميع اللغات ولا سيما لغة العرب تجوز ذلك.

وأما قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيۡنَٰهَا بِأَيۡيْدٖ﴾[7] فليس من آيات الصفات، و«الأيد» في هذه الآية ليس جمعاً للأيدي، كما زعمه المؤلف.

---

(١) سورة الفتح: الآية (١٠).
(٢) سورة ص الآية (٧٥).
(٣) سورة الذاريات (٤٧).
(*) مناهل العرفان ٢/ ٣١٧.
(٤) سورة النساء الآية (٨٢).
(٥) سورة الفتح الآية (١٠).
(٦) سورة الملك الآية (١).
(٧) سورة الذاريات الآية (٤٧)

بل «الأيد» في هذه الآية بمعنى «القوة»، كما قال تعالى: ﴿وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلْأَيْدِ﴾[1]. فهل كان لنبي الله داود أيدٍ كثيرة؟؟!

الخطأ الخامس والأربعون

أنه ساق حديث النزول، ثم قال: «فكيف تأخذون بظاهر هذا الخبر؟ مع أن الليل مختلف في البلاد باختلاف المشارق والمغارب، وإذا كان ينزل فمتى يستوي على عرشه؟، ومتى يكون في السماء؟، مع أن الأرض لاتخلو من الليل؛ لايماري فيه إلا جهول مأفون»[2].

فالجواب: أن هذه شبهة قديمة للمعطلة الذين هم المشبهة حقاً، حيث ظنون أن نزول الله تعالى من جنس نزول الأجسام.

وأما إذا قيل: إن الله تعالى ينزل نزولاً حقيقياً كما هو لائق بشأنه تعالى، لايلزم منه أي محذور.

ولذا قال شيخ الإسلام في الرد على هذه الشبهة: «وهذا الذي ذكروه: إنما يصح إذا جعل نزوله من جنس نزول أجسام الناس من السطح إلى الأرض، وهو يشبه قول من قال: يخلو العرش منه، بحيث يصير بعض المخلوقات فوقه وبعضها تحته؟؟!»[3].

أقول: من تصور عظمة الرب سبحانه وتعالى وعظمة قدرته وقوته ومحكم أفعاله وصفاته العليا، وأيضاً تصور صغر مخلوقاته في مقابل قدرته

---

(١) سورة ص الآية (١٧)

(٢) مناهل العرفان (٢/ ٢٩٥).

(٣) شرح حديث النزول: ٣٢٦.

سبحانه وتعالى، لم يشكل عليه أية صفة من صفاته تعالى، لانزوله إلى السماء الدنيا، ولا علوه على خلقه ولا استواؤه على عرشه، ولا معيته لعباده، فإن الذي تصور عظمة الله تعالى وكمال قدرته لم يصعب عنده نزول الله تعالى إلى السماء الدنيا مع اختلاف الليل في كل قطر من أقطار الدنيا، فإن هذه الصعوبة هي بالنسبة لنزول الإنسان، وأما نزوله سبحانه وتعالى، فلا إشكال فيه وإن اختلف الليل في كل الأقطار.

ولذا قال شيخ الإسلام: «وأما قول المعترض: إن الليل يختلف باختلاف البلدان والفصول في التقدم والتأخر، والطول والقصر، فيقال له: الجواب عن هذا كالجواب عن قولك: هل يخلو منه العرش أو لايخلو منه؟

وذلك: أنه إذا جاز أن ينزل ولايخلو منه العرش، فتقدم النزول وتأخره، وطول وقصره كذلك؛ بناءً على أن هذا [النزول] لايقاس بنزول الخلق»[1].

الحاصل: أن من آمن بالله وأسمائه وصفاته وتصور عظمة ربه وقدرته واتساع سلطانه وأنه يفعل ما يشاء لاراد لقضائه ولا دافع لأمره، وأنه لايقاس على خلقه، فلا يرد عليه أي إشكال ولا أية شبهة؟!

الخطأ السادس والأربعون

قول المؤلف: نقلاً عن الغزالي (٥٠٥هـ): «نقول للمتشبث بظواهر الألفاظ: إن كان نزوله من السماء الدنيا ليسمعنا نداءه فما أسمعنا نداءه، فأي فائدة في نزوله؟ ولقد كان يمكنه أن ينادينا كذلك وهو على العرش، أو

(١) مناهج الأدلة ١٧٦، درء التعارض ٦/ ٢١٠، والصواعق ٤/١٣١٦، والحموية ٥٦، ومجموع الفتاوى ٥/ ٢، وتأويل مختلف الحديث ١٧٢.

على السماء العليا. . . ، وهل هذا إلا مثل من يريد - وهو بالمشرق - إسماع شخص في المغرب، فتقدم إلى المغرب بخطوات معدودة، وأخذ يناديه وهو يعلم أنه لا يسمع نداءه، فيكون نقله الأقدام عملاً باطلاً، وسعيه نحو المغرب عبثاً صرفاً، لا فائدة فيه، وكيف يستقر مثل هذا في قلب عاقل»[1].

أقول: انظر - أخي المسلم - إلى هذه المغالطة، وتدبر في هذه الحيلة، تعلم أن المعطلة كيف يسخرون من صفات الله تعالى ونصوصها.

فهؤلاء عطلوا صفة النزول، بحجة أنهم لم يسمعوا نداء الله تعالى، وأنه لافائدة في نزوله سبحانه وتعالى، وندائه، بدون أن يسمعوا صوته سبحانه!

والجواب عن هذيانهم هذا من وجهين:

الوجه الأول: أن هؤلاء المعطلة كلهم أنكروا أن يكون لله تعالى كلام بحرف وصوت! فكيف يمكن لهم أن يسمعوا نداء الله تعالى؟!! وكيف يقرع صوت الله تعالى أسماعهم؟!! لأنهم قائلون ببدعة الكلام النفسي الذي ليس بحرف ولابصوت ولايتجزأ ولا فيه إخبار ولا استخبار إلى آخر هذيانهم الذي لم يصدر عن الأولين ولا عن الآخرين من بني آدم غير هؤلاء الذين هم أبشع حالاً وأشنع بدعة في باب تعطيل صفة الكلام من الجهمية الأولى؛ لأن الجهمية الأولى كانوا يقولون ببدعة خلق القرآن فقط، وأما هؤلاء المعطلة فهم يقولون مع القول ببدعة بخلق القرآن، ببدعة القول بالكلام النفسي.

فخرقوا بذلك إجماع أهل السنة وأهل البدعة جميعاً، وأتوا بما لا يقره عقل صريح ولانقل صحيح ولا لغة ولا عرف ولا إجماع بني آدم.

---

(١) مناهل العرفان (٢/ ٢٩٥) ولم أقف على هذا النص في كتب الغزالي التي بيدي.

الوجه الثاني: أن هؤلاء المعطلة لكثير من الصفات ولاسيما صفة النزول، قد أوّلو حديث النزول وحرّفوه إلى: نزول الملك، فيقولون: إن الله لاينزل بنفسه، بل ينزل ملك من الملائكة بأمره، فينادي هذا الملك ويقول: «من يدعوني..، من يسألني...، من يستغفرني...».

أقول: إذا كان الأمر كذلك، وأن الملك ينزل وينادي فهل المؤلف وسلفه الغزالي وغيرهما من أهل التأويل سمعوا نداء هذا الملك؟؟!

وهل طرق صوت هذا الملك الذي ينزل وينادي أسماعهم؟؟؟!

وإذا لم يسمعوا نداء هذا الملك، فأي فائدة من نزول هذا الملك ونداثه؟؟!

ونحن نقلب كلامهم عليهم ونقول لهم:

«وإذا كان نزول هذا الملك من السماء الدنيا ليسمعنا نداءه، فهذا الملك لم يسمعنا نداءه وصوته، فأي فائدة من نزوله.

ولقد كان يمكن هذا الملك أن ينادينا وهو في السماء..، وهل هذا إلا مثل من يريد - وهو بالمشرق - إسماع شخص في المغرب، فتقدم إلى المغرب بخطوات معدودة، وأخذ يناديه، وهو يعلم أنه لا يسمع نداءه، فيكون نقله الأقدام عملاً باطلاً، وسعيه نحو المغرب عبثاً صرفاً، لا فائدة فيه، وكيف يستقر مثل هذا في قلب عاقل؟».

الخاتمة

نسأل الله تعالى العصمة من الخطأ، ونحمده على أن وفقنا بمنه وكرمه إلى إتمام هذا الكتاب، الذي نسأل الله ألاً نكون قد تنكبنا فيه الصواب، وإنما كان القصد تنبيه المسلمين وتحذيرهم لئلا يغتروا بهذه الأخطاء، فالحق أعظم وأجلّ من كل أحد.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الباب الثالث:

الهفوات العقدية في بعض كتب السنة النبوية والسيرة

وفيه فصلان:

الفصل الأول:

الهفوات في كتاب بذل المجهود

الفصل الثاني:

الهفوات في كتاب المواهب اللدنية

الفصل الأول:

الهفوات في كتاب بذل المجهود

للشيخ خليل أحمد السهارنفوري الحنفي
مؤلف كتاب «المهند على المفند»

تأليف

د. محمد عبدالرحمن الخميس

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾[1].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾[2].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾[3].

وبعد:

فإن مصنف كتاب بذل المجهود للشيخ خليل أحمد السهارنفوري الحنفي الماتريدي كبار الحنفية في الفروع، في العصور المتأخرة ومن المعتنقين لمذهب الإرجاء في مسمى الإيمان وحقيقته، ومن المعطلة لصفات رب العالمين فقد شرح سنن أبي داود، ومن جملة هذه السنن، كتاب السنة الذي رد فيه الإمام الحافظ أبو داود رحمه الله على الجهمية، والمعطلة والمرجئة

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٠٢.

(٢) سورة النساء، الآية: ١.

(٣) سورة الأحزاب، الآيتان: ٧٠، ٧١.

وكشف عوارهم بالآثار النبوية فأتى المصنف شارح السنن - غفر الله له - ليصرف كلام أبي داود رحمه الله عما أراده به، ويدافع عن أهل الإرجاء من المتكلمين، ومعطلة صفات رب العالمين فخرج بشرحه عما أراده أبو داود - رحمه الله - من عقده لهذا الكتاب في سننه العظيمة ولذا فقد شرح الله صدري لتعقب هفواته التي وقعت في هذا الشرح، مقتصراً على تلك التي وقعت أثناء شرحه لكتاب السنة، أما أخطاؤه في أبواب الفروع فإن كتاب عون المعبود شرح سنن أبي داوود وغيره من كتب أهل الحديث كافية في الرد عليه. والحمد لله.

وها إنني لن أطيل أو أستطرد في الرد عليه، فليس هذا هو غرضي من تأليف الكتاب، وما أكثر الكتب التي كتبها أهل العلم في الرد على المعطلة النفاة، والقبورية والغلاة، وغيرهم وإنما قصدي مجرد التنبيه على تلك الأخطاء، وكشف عوارها على وجه الإجمال.

وأسأل الله القبول والسداد، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وكتبه

د. محمد بن عبدالرحمن الخميس

الخطأ الأول

قوله: «الإرجاء اعتقاد أنه لا يضر مع الإيمان معصية»[1].

قلت: هذا التفسير باطل لأنه حصر للعام في بعض أفراده وتغيير للمطلق بالمقيد.

والباعث عليه هو الدفاع عن الماتريدية، فإنهم قائلون بنوع من الإرجاء.

فجاء المصنف ففسر الإرجاء بحيث لا يتناول إرجاء الماتريدية.

مع أن الصواب: أن إرجاء الماتريدية من أوضح أنواع الإرجاء وتفصيله أن يقال:

إن الإرجاء أربعة أقسام:

الأول: إرجاء غلاة الغلاة من المرجئة الجهمية الأولى: فالإيمان عندهم مجرد المعرفة بالقلب، وإن أظهر الكفر بلسانه، وإن الاعتقاد والإقرار والأعمال خارجة عن حقيقة الإيمان، وأنه لا يضر مع الإيمان معصية كما لا تنفع مع الكفر طاعة، فالشيطان وفرعون وقارون وهامان وأمثالهم - مؤمنون عندهم كاملون في الإيمان كلهم.

الثاني: إرجاء الغلاة وهم المرجئة الكراميّة فالإيمان عندهم هو الإقرار باللسان فقط، وأن الاعتقاد والأعمال خارجة عن حقيقة الإيمان، فالمنافق مؤمن عندهم في الدنيا باعتبار إجراء الأحكام الدنيوية عليهم من المناكحة والتوارث والدفن في مقابر المسلمين ونحو ذلك.

ولكنه مخلد في النار عندهم في الآخرة.

الثالث: إرجاء الغلاة في جهة دون جهة: وهم جمهور الحنفية

---

(١) بذل المجهود ١٨/١٩٩.

الماتريدية، والأشعرية الكلابية فالإيمان عندهم هو التصديق بالقلب» فقط، والإقرار ليس بشرط للإيمان ولا يشترط له.

غير أنهم جعلوا الإقرار شرطاً لإجراء الأحكام الدنيوية فقط.

فمن صدق بقلبه ولم يقر بلسانه - فهو مؤمن ناج عند الله[1].

ولما كان هذا المؤلف على اعتقاد هؤلاء الماتريدية، وتظاهر بالسنة، فسر المؤلف الإرجاء على ما هو عليه غلاة الغلاة من المرجئة، دفاعا عن الماتريدية لئلا يدخلوا في المرجئة، فلأجل ذلك فسر الإرجاء على التفسير الأول.

الرابع: إرجاء المرجئة من الفقهاء كحماد وتلميذه أبي حنيفة وغيرهم من أهل الرأي.

فالإيمان عندهم هو التصديق بالجنان والإقرار باللسان، ولكن العمل خارج عن حقيقة الإيمان[2].

وإرجاؤهم خفيف جداً لا يترتب عليه فساد كما ترتب على أقوال المرجئة الغلاة.

والخلاف بينهم وبين جماهير أهل السنة أقرب إلى الخلاف اللفظي كما ذكره جماعة من أهل[3] العلم، والمعصية عندهم تضر المؤمن بلا ريب.

---

(١) شرح ضوء المعالي ص١٩-٢٠ والتمهيد لأبي المعين النسفي ص٢٦/ أو العمدة للنسفي ص١٧ أو شرح العقائد النسفية ص١٢١ وشرح المقاصد (٥/ ١٧٨-١٧٨) والمسايرة مع المسامرة ص٣٣٤ ونشر الطوالع ص٣٧٤-٣٧٥ والجوهرة المنفية ص٣. وإنما قلت جمهور الماتريدية لأن بعض الماتريدية ذهبوا إلى أن الإيمان هو التصديق والإقرار صرح بذلك التفتازاني في شرح المقاصد (٥/ ١٧٦) وشرح العقائد النسفية ص١٢٠.

(٢) راجع مقالات الأشعري ١٣٢، ٢٧٩، وشرح الطحاوية ٢٧٣، وكتاب الإيمان لابن منده ٣٣١-٣٣٨.

(٣) كالغزالي كما في روح المعاني (٩/ ١٦٧) والذهبي في سير أعلام النبلاء (٥/ ٣٣) وابن أبي العز في شرح الطحاوية ص٣٦٢ وفي ذلك يقول ابن أبي العز: «الاختلاف الذي بين أبي حنيفة وأئمة الباقين من أهل السنة صوري فإن كون أعمال الجوارح لازمة لإيمان القلب أو جزء من الإيمان مع الاتفاق على أن مرتكب الكبيرة لا يخرج من الإيمان بل هو في مشيئة الله إن شاء عذبه وإن شاء عفا عنه نزاع لفظي لا يترتب عليه فساد اعتقاد».

الحاصل: أنه لما ثبت أن الإرجاء والمرجئة على أربعة أصناف لم يصح تعريف المؤلف للإرجاء، وأنه تعريف مزيف، لأن هذا تعريف لإرجاء غلاة الغلاة من الجهمية الأولى وليس بتعريف للإرجاء مطلقاً.

فإن الماتريدية داخلون في المرجئة الغلاة كما سبق بيانه.

الخطأ الثاني

قول المؤلف: «ولكن اتفق جميع أهل السنة من المحدثين والفقهاء والمتكلمين: أن الأعمال غير داخلة في الإيمان..»[1] إلى آخر ما قال:

أقول: هذا الكلام باطل، وفيه تدليس، والصواب أن يقال:

إن جمهور أئمة السنة وسلف هذه الأئمة - من الفقهاء - اتفقوا على أن الأعمال جزء من الإيمان وحكى اتفاق السلف على أن الإيمان اعتقاد وقول وعمل غير واحد من أهل العلم كالشافعي كما في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٣/ ٨٨٦) والبخاري كما في فتح الباري (١/ ٤٧)، وأحمد كما في مناقبه لابن الجوزي ص٢٢٨ وابن عبدالبر في التمهيد (٩/ ٢٣٨) والبغوي في شرح السنة (١/ ٣٨، ٣٩). قال عبدالرزاق الصنعاني: «سمعت من أدركت من شيوخنا وأصحابنا - ثم سرد أسماءهم - يقولون: الإيمان قول وعمل يزيد وينقص»[2]. وقال الوليد بن مسلم: «سمعت الأوزاعي ومالك بن أنس وسعيد بن عبدالعزيز ينكرون قول من يقول: إن الإيمان إقرار بلا عمل ويقولون: لا إيمان إلا بعمل ولا عمل إلا بإيمان»[3] وقال

---

(١) بذل المجهود ١٨/ ٢٠١.

(٢) شرح صحيح مسلم (١/ ١٤٦).

(٣) عقيدة ابن جرير ص١٠.

الإمام أحمد: «أجمع سبعون رجلاً من التابعين وأئمة المسلمين وفقهاء الأمصار على أن السنة التي توفي عليها رسول الله ﷺ فذكر منها: والإيمان قول وعمل يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية»[1]. وقال البخاري «لقيت أكثر من ألف رجل من العلماء بالأمصار فما رأيت أحداً منهم يختلف في أن الإيمان قول وعمل ويزيد وينقص»[2].

وقال البغوي «اتفقت الصحابة والتابعون ومن بعدهم من علماء السنة على أن الأعمال من الإيمان»[3].

وكذا الإيمان عندهم يزيد بالطاعات، وينقص بالمعاصي، قال ابن عبدالبر «أجمع أهل الفقه والحديث على أن الإيمان قول وعمل ولا عمل إلا بنية والإيمان عندهم يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية والطاعات كلها عندهم إيمان»[4] غير أنه لا يكفر بترك العمل، إلا إذا ترك العمل بالكلية فإنه حينئذ يرتفع عنه مطلق الإيمان، وأما ترك بعض العمل فلا يزول به مسمى الإيمان، وهو مطلق الإيمان.

لكن يزول الإيمان المطلق، أي الإيمان الكامل. فينقص إيمان المرء بحسب ما تركه من العمل.

الخطأ الثالث

قوله عن الحافظ بن حجر في بيانه لانحرافات الجهمية: «وإنما الذي أطبق السلف على ذمهم بسبب إنكار الصفات، حتى قالوا:

(١) مناقب الإمام أحمد ص٢٢٨.
(٢) شرح أصول الاعتقاد للالكائي (١/١٧٣، ١٧٤).
(٣) شرح السنة (١/٣٨، ٣٩).
(٤) روح المعاني (٩/١٦٧).

إن القرآن ليس كلام الله، وإنه مخلوق...»[1].

أقول: ههنا تنبيهان:

الأول: أن سبب ذم السلف للجهمية، هو إنكار الصفات وتعطيلها وتأويل نصوصها وتحريفها، وهذه الطامة موجودة عند الماتريدية عامة[2]، وعند المؤلف خاصة فإنه من الماتريدية فقد صرح بأنه ماتريدي في الاعتقاد في كتابه المهند على المفند[3].

فالجهمية الأولى ليسوا بمنفردين في هذه الطامة، لأن الماتريدية شركاء لهم في هذه البدعة، لأن القرآن - عند الماتريدية - ليس من كلام الله على الحقيقة، بل إنه مخلوق عندهم.

كما هو مخلوق عند الجهمية الأولى، فلا خلاف بين الماتريدية وبين الجهمية الأولى في كون القرآن الكريم مخلوقا - كما زعموا -.

حتى باعتراف الماتريدية، فإن الماتريدية صرحوا بذلك، وصرحوا أيضا أن القرآن بلفظه ومعناه مخلوق، وأنه ليس بكلام الله على الحقيقة.

لكنه كلام الله مجازا، لأنه دال على كلام الله الحقيقي الذي هو الكلام النفسي[4].

وأقول: إن بدعة الماتريدية أشنع من بدعة الجهمية الأولى والمعتزلة.

فإن الجهمية الأولى يقولون ببدعة خلق القرآن فقط، ولكن الماتريدية

---

(١) بذل المجهود ١٨/٢٥٣.

(٢) انظر كتاب منهج الماتريدية في العقيدة ص٤٥-٥٠.

(٣) انظر المهند على المفند ٣٠ وغرض تأليفه الرد على من اتهم علماء ديوبند أنهم وهابيون.

(٤) راجع كتاب التوحيد لأبي منصور الماتريدي ٥٨ وشرح العقائد النسفية ٥٣-٥٥ والبداية للصابوني ٦٠-٦١ الدرة الفاخرة للجامعي ٢٢٣، المسامرة ٨٢-٨٣ نشر الطوالع وتبصرة الأدلة ١١٨.

زادوا مع هذه البدعة بدعتين أخريين:

الأولى: أن هذا القرآن العربي ليس من كلام الله تعالى على الحقيقة، بل إنه كلام الله مجازا لا حقيقة.

الثانية: أن كلام الله تعالى على الحقيقة هو الكلام النفسي الذي ليس بحرف ولا صوت وليس فيه إخبار ولا استخبار ولا أمر ولا نهي وهو لا يتجزأ بخلاف الجهمية الأولى والمعتزلة.

فإنهم لم يقولوا ببدعة القول بالكلام النفسي كل ذلك على اعتراف الماتريدية أيضاً[1].

الخطأ الرابع

قوله - في شرح حديث الأوعال: «ثم الله تعالى فوق ذلك»:

(وليس المراد بالفوقية الجهة والكيفية، بل هو منزه عن التشبيه والتكييف كما قاله السلف رحمهم الله)[2].

قلت: لنا في الرد عليه عدة وقفات:

الأولى: أن المؤلف بعيد عن علوم السنة. فإنه لا يتكلم عن الأسانيد في كتابه هذا.

مع أن حديث الأوعال معروف وكلام أهل الحديث فيه واضح[3].

---

(١) انظر تبصرة الأدلة ١١٨، وأصول الدين لأبي اليسر ٦١، والعقائد النسفية مع شرحها ٥٣-٥٨.

(٢) بذل المجهود ١٨/٢٥٨.

(٣) أخرجه أبو داود كتاب السنة باب في الجهمية (٥/٩٣) ح (٤٧٢٣) من طريق الأحنف بن قيس عن العباس بن عبدالمطلب قال المنذري، في مختصر سنن أبي داود (٧/ ٩٣) في إسناده الوليد بن أبي ثور لا يحتج بحديثه.

غير أن هذا الحديث مشتمل على «فوقية الله تعالى» والأدلة على علو الله على خلقه وفوقيته كثيرة جداً وقد تتبعها بعض أئمة السنة فوجدوها أكثر من ألف دليل[1].

وفوقية الله تعالى من أعظم صفاته سبحانه.

وهي ثابتة له سبحانه على الحقيقة على الوجه اللائق به سبحانه من دون مجاز ولا تكييف ولا تمثيل.

وقد أجمع السلف على إثبات العلو والفوقية لله تعالى ولم يخالف في ذلك إلا المعطلة قال الأوزاعي: «كنا والتابعون متوافرين نقول: إن الله تعالى فوق عرشه ونؤمن بما وردت به السنة الصحيحة من صفاته»[2].

قال ابن تيمية «وإنما قال الأوزاعي هذا بعد ظهور مذهب جهم المنكر لكون الله عز وجل فوق عرشه والنافي لصفاته ليعرف الناس أن مذهب السلف كان خلاف ذلك»[3].

وقال عبدالله بن المبارك: «نعرف ربنا بأنه فوق سبع سماواته على العرش استوى بائن من خلقه ولا نقول كما قالت الجهمية»[4].

الوقفة الثانية: أن المؤلف قد عطل صفة الفوقية لله تعالى بقوله: «وليس المراد بالفوقية الجهة...».

وكلامه هذا فيه تلبيس للحق بالباطل.

فإن جميع بني آدم على أن الله تعالى في جهة فوقانية على الحقيقة دون المجاز.

---

(١) الجواب الصحيح (٣/ ٨٤) والصواعق المرسلة ٤/ ١٢٧٩.

(٢) الأسماء والصفات ص٤٠٨، فتح الباري (١٣/ ٤٠٦).

(٣) مجموع الفتاوى (٥/ ٣٩).

(٤) السنة لعبدالله بن أحمد ص١٣ والرد على الجهمية للدارمي ص٦٧ والأسماء والصفات ص٤٢٧.

وعلى ذلك سلف هذه الأمة وأئمة السنة قاطبة بلا خلاف بينهم لم يختلف فيه اثنان.

ولهم على ذلك حجج عقلية ونقلية حتى جاء دور الجهمية فأنكروا علو الله تعالى وتبعهم الماتريدية والأشعرية الكلابية فعطلوها وحرفوا نصوصها[1].

نعم السلف مع إثباتهم لعلو الله تعالى صرحوا بنفي التشبيه والتكييف، وإثبات العلو لله تعالى لا يستلزم التشبيه.

وإثبات الصفات مع نفي التشبيه ليس من التشبيه في شيء عندهم قال نعيم بن حماد «من شبه الله بشيء من خلقه فقد كفر، ومن أنكر ما وصف الله به نفسه فقد كفر فليس ما وصف الله به نفسه ورسوله تشبيهاً»[2].

وقال الترمذي: «قال أهل العلم في هذا الحديث وما يشبه هذا من الروايات من الصفات ونزول الرب تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا قالوا: قد ثبت الروايات في هذا ويؤمن بها ولا يقال كيف؟ هكذا قول أهل العلم من أهل السنة والجماعة وأما الجهمية فأنكرت هذه الروايات وقالوا: هذا تشبيه»[3].

الخطأ الخامس

وهو من طامات المؤلف متمثل في الدعوة إلى القبورية تحت ستار التوسل.

---

(١) الصواعق المرسلة ٤/١٢٧٩.

(٢) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٢/ ٥٣٢).

(٣) سنن الترمذي (٣/ ٤١-٤٢).

وقد نقل المصنف خرافاته من سلفه ولا سيما الكوثري، ونوه بذكره، كما نقل عن دعاة القبورية أمثال ابن حجر الهيثمي وغيره من دعاة القبورية[1].

قلت: لقد حقق كثير من علماء الحنفية وأئمتهم أن التوسل الحق - هو التوسل بأسماء الله تعالى وصفاته، والأعمال الصالحة، من ذلك قول الإمام أبي حنيفة «ولا ينبغي لأحد أن يدعو الله إلا به والدعاء المأذون فيه المأمور به ما استفيد من قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾[2][3].

وقوله «يكره أن يقول الداعي أسألك بحق فلان أو بحق أنبيائك ورسلك وبحق البيت الحرام والمشعر الحرام»[4].

وقوله: ﴿وأكره أن يقول بمعاقد العز من عرشك أو بحق خلقك﴾[5].

وقول أبو يوسف «وأكره أن يقول بحق فلان أو بحق أنبيائك ورسلك وبحق البيت الحرام والمشعر الحرام»[6].

وأما توسل دعاة القبورية فهو في الحقيقة توسل مبتدع غير مشروع.

---

(١) انظر تعليق الشيخ زكريا على بذل المجهود ١٨/ ٢٦٠.
(٢) الدر المختار مع حاشية رد المحتار ٦/٣٩٦- ٣٩٧.
(٣) سورة الأعراف، الآية: ١٨٠.
(٤) شرح الفقه الأكبر ص ١٩٨.
(٥) اتحاف السادة المتقين (٢/ ٢٨٥).
(٦) التوسل والوسيلة ص ٨٢، ٩٩.

الخطأ السادس

قوله - في تفسير حديث الأطيط - نقلا عن الخطابي: إن هذا وارد مورد التمثيل وليس على الحقيقة[1].

قلت: هذا باطل.

والصواب أن يقال: إن صح حديث الأطيط[2].

فهو على الحقيقة لا على المجاز ولا على التمثيل؛ فيمر كإمرار بقية نصوص الصفات؛ من دون تأويل وتحريف وتعطيل. كما هو طريق السلف.

الخطأ السابع

قوله - في تفسير حديث الأطيط ومن ألفاظه: لفظة:

«إن الله فوق عرشه وعرشه فوق سماواته»:

(وهذا الحديث يثبت كونه سبحانه وتعالى فوق عرشه والجهمية ينكرونه)[3].

---

(١) بذل المجهود ١٨/ ٢٦١-٢٦٢.

(٢) الحديث أخرجه أبو داود كتاب السنة باب في الجهمية (٥/ ٩٤) ح (٤٧٢٦) وابن أبي عاصم في السنة (١/ ٢٥٢) والدارمي في الرد على المريسي ص ٨٩ وابن خزيمة في التوحيد ص (١٠٣) والآجري في الشريعة ص (٢٩٣) والبيهقي في الأسماء والصفات ص (٤١٧) وابن عبدالبر في التمهيد (٧/ ١٤١) واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٣/ ٣٩٤) جميعهم من طريق جبير بن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه عن جده. وقال الألباني (إسناده ضعيف) راجع ظلال الجنة في تخريج السنة (٥٧٥).

(٣) بذل المجهود ١٨/ ٢٦٣.

قلت: نعم إن الجهمية قديما وحديثا أنكروا هذه الصفة ومن هؤلاء الجهمية لمعطلين لعلو الله تعالى والمحرفين لنصوصه - الماتريدية أيضاً[١].
فهذا رد على الجهمية والماتريدية أيضاً.

الخطأ الثامن

أنه قال في شرح حديث أبي هريرة: «رأيت رسول الله ﷺ وسلم يضع إبهامه على أذنه والتي تليها على عينه»[٢].

وفي آخر الحديث: «قال المقرىء: وهذا رد على الجهمية».

فقال الساهنفوري: (لأنهم ينكرون هذه الصفات). يعني السمع والبصر[٣].

قلت: جمهور الماتريدية يثبتون السمع والبصر لله تعالى على تفلسف فيها، ولكن ارجع ابن الهمام منهم هاتين الصفتين إلى صفة العلم وهذا تعطيل محض[٤].

لكن الماتريدية لا يثبتون صفة العين لله تعالى فهم معطلة لها ومحرفة لنصوصها[٥].

---

(١) انظر كتاب التوحيد للماتريدي ٧٠٠، ١٠٧ تبصرة الأدلة ٧٣، البداية للصابوني ٤٥، ٤٧، وشرح العقائد ٤٠٠ وشرح المواقف للجرجاني ٨/٢ - ٢٢ والنبراس ١٧٨ - ١٧٩، وإرشادات المرام ١٩٧ وتبديد الظلام للكوثري ٣٥، ٧٨.

(٢) أخرجه أبو داود في كتاب السنة من سننه، وابن حبان وابن أبي حاتم وابن مردويه وغيرهم وصححه الألباني في صحيح أبي داود (٣٩٥٤)٨

(٣) بذل المجهود ١٨/ ٢٦٤-٢٦٥.

(٤) انظر المسايرة ٦٩.

(٥) انظر تأويلات الماتري في تفسير سورة هود وفي قوله تعالى: ﴿واصنع الفلك﴾ (هود: ٣٧) مخطوط الأزهرية المدارك للنسفي ٢/ ٣٥٧، وارشاد العقل السليم ٤/ ٢٠٥ وإشارات المرام ١٨٩، ونشر الطوالع ٢٦٢ تبصرة الأدلة ٢٤٠/ب.

الخطأ التاسع

قول الشيخ زكريا الكاندهلوي في الهامش: إن بناء إنكار المعتزلة للرؤية هو إنكارهم الجهة لله تعالى وأن الرؤية يلزم عنها الجهة، فلما نفوا الجهة نفوا الرؤية.

وعندنا لا يحتاج إلى المقابل (الجهة) فلا إحالة[1].

أقول: الذين يقولون إن المؤمنين يرون ربهم بدون جهة. فهم في الحقيقة لا يؤمنون برؤية الله تعالى. لأن قولهم هذا متضمن للطامتين:

الأولى: إنكار علو الله تعالى.

والثانية: استحالة الرؤية فإن الرؤية بدون جهة مستحيلة.

ولذا صرح عقلاء الماتريدية والأشعرية بأن الخلاف بينهم وبين المعتزلة لفظي، وأنهم جميعا منكرون للرؤية البصرية، وأن الرؤية عندهم رؤية علمية.

ومثلوا لذلك برؤية أعمى في الصين بقة في الأندلس[2].

ولذلك صرح شيخ الإسلام أنهم جعلوا الرؤية مستحيلة وأن المعتزلة سيسخرون من هؤلاء[3].

على أن الأحاديث الواردة في الرؤية مصرحة بأن الله يكون من فوق وأن المؤمنين يرون ربهم بأبصارهم.

---

(١)(٢) انظر كتاب التوحيد للماتريدي ص ٥٨ والبداية للصابوني ص ٦٠، ٦١ وإشارات المرام ص ١٣٨ - ١٣٩ المسايرة مع المسامرة ص ٨٢ - ٨٣، نشر الطوالع ص ٢٥٥ ضوء المعالي ص ٢٩ أصول الدين لأبي اليسر البزدوي ص ٦١ والعقائد النسفية مع شرحها للتفتازاني ٥٣ - ٥٨ وبحر الكلام ص ٢٩.

(٣) انظر منهاج السنة والقصيدة النونية.

الخطأ العاشر

إن المؤلف - نقل قول الخطابي في شرح حديث النزول: (مذهب علماء السلف وأئمة الفقهاء: أن يمرروا مثل هذه الأحاديث على ظاهرها، وأن لا يذكروا لها المعاني، ولا يتأولوها بعلمهم لقصور علمهم عن إدراكها)[١].

قلت: مقصود الخطابي: الرد على تأويلات الجهمية لحديث النزول والرد على تفسيراتهم لصفة النزول، وليس قصده التفويض في المعنى، وإنما قصده التفويض في الكيف.

ولكن المصنف إنما ذكر قوله (.... وأن لا يذكروا لها المعاني...) ليستدل بكلامه على التفويض المبتدع الذي هو التفويض في المعنى.

على أن هذه الدعوى باطلة والسلف لم يكونوا مفوضين للمعاني، فإنهم كانوا يعرفون نصوص الصفات ومعانيها أحسن المعرفة.

وإنما كان تفويضهم في الكيف فقط.

كما قال مالك رحمة الله: (الاستواء معلوم والكيف مجهول)[٢] فقول الخطابي: «... وأن لا يذكروا لها المعاني....».

أي يفسرونها بتفاسير الجهمية وتأويلاتهم من عند أنفسهم دل عليه قوله في آخره: «لا يتأولوها بعلمهم لقصور علمهم عن دركها».

---

(١) بذل المجهود ١٨/ ٢٧١.

(٢) الحلية ٦/ ٣٢٥ - ٣٢٦ وأخرجه أيضاً الصابوني في عقيدة السلف أصحاب الحديث (١٧ - ١٨) وبن عبدالبر في التمهيد (٧/ ١٥١) والبيهقي الأسماء والصفات ص ٤٠٨ قال الحافظ في الفتح (١٣/ ٤٠٦) (إسناده جيد).

الخطأ الحادي عشر

قول الشيخ زكريا الكاندهولي مؤلف «أوجز المسالك في شرح موطأ الإمام مالك»- في التعليق على هذا المقام في بذل المجهود:

إنه لا ينبغي رواية حديث اهتزاز العرش ولا حديث الصورة ولا حديث الساق.

لأن أسانيدها لا تبلغ في الصحة حديث النزول، أو لأن التأويل في حديث النزول أقرب، كذا في الأوجز[(١)][(٢)].

قلت: قول الشيخ زكريا هذا باطل لأن أحاديث اهتزاز العرش والصورة والساق من الأحاديث الصحيحة المتلقاة بالقبول عند الأئمة.

وأما قوله: إن تأويل حديث النزول أقرب، فهو قول أبعد عن الحق.

والحق أن التأويل في جميع هذه الأحاديث بعيد عن الحق سواء تأويل حديث النزول أو غيره.

الخطأ الثاني عشر

قول المصنف في شرح حديث:

«فإن قريشاً قد منعوني أن أبلغ كلام ربي»-: (فقد جعل رسول الله ﷺ القرآن كلام الرب سبحانه وتعالى)[(٣)].

---

(١) يعني أوجز المسالك.

(٢) انظر تعليقه هذا على حديث النزول في سنن أبي داود شرحه بذل المجهود ١٨/ ٢٧١. بتصرف.

(٣) بذل المجهود ١٨/ ٢٧٢.

قلت: لقد أجاد المصنف في شرح هذا الحديث، ولكن قصر وأخطأ حيث لم يبين أن هذا رد على الجهمية والماتريدية والأشعرية أيضاً، وكان الأولى أن يقول:

هذا رد صريح على الماتريدية والأشعرية وغيرهم من المعطلة الذين يزعمون أن هذا القرآن ليس بكلام الله على الحقيقة وإنما هو حكاية أو عبارة عن كلام الله تعالى.

ومما يؤكد ما قلناه: قول المصنف في شرح حديث الإفك في تفسير قول عائشة رضي الله عنها:

«ولشأني في نفسي كان أحقر من أن يتكلم الله فيّ بأمر يتلى». فقال المؤلف في شرح:

(فأثبت في هذا الحديث تكلم الله سبحانه وتعالى بكلامه وهو في القرآن)[1].

قلت: فهذا اعتراف مهم من المصنف؛

ومن ناحية أخرى تناقض وهو دليل على بطلان الكلام النفسي.

لأنه صريح في أن الله تعالى قد تكلم بهذا القرآن العربي.

والماتريدية يقولون: إنه ليس بكلام الله على الحقيقة وإنما هو كلام الله مجازاً لأنه دال على كلام الله الحقيقي وهو الكلام النفسي[2].

(١) بذل المجهود ١٨/ ٢٧٤.

(٢) انظر كتاب التوحيد للماتريدي ص ٥٨ والبداية للصابوني ص ٦٠ - ٦١ وإشارات المرام ص ١٣٨ - ١٣٩.

الخطأ الثالث عشر

تعليق الشيخ زكريا على حديث: «تكلم الله بالوحي.. كجر السلسلة...».

فذكر عدة احتمالات في تفسيره منها ما قال:

(والثالث تخليق الكلام من عند الله عز اسمه...)[1].

قلت: هذا باطل.

لأنه صريح في بدعة القول بخلق القرآن، والحقيقة أن الماتريدية وأشقاءهم الأشعرية - يقولون ببدعة القول بخلق القرآن، لأن هذا القرآن العربي - عندهم - مخلوق.

وهو ليس هو كلام الله على الحقيقة عندهم بل هو كلام الله مجازا لأنه دال على كلام الله الحقيقي، وهو الكلام النفسي.

(١) بذل المجهود (التعليق) ١٨/ ٢٧٥.

الخاتمة

الحمدلله الذي بحمده تتم الصالحات ونحمد الله تعالى أن وفق لبيان هذه الأخطاء، ونسأله أن يستفيد منها المسلمون وأن يعصمنا من الجور والزلل والخطأ، وأن يتقبل منا هذا الجهد المتواضع ويثقل لنا به الموازين إنه جواد كريم، والحمدلله رب العالمين.

بقلم

د. محمد بن عبدالرحمن الخميس

الفصل الثاني:

الهفوات في كتاب المواهب اللدنية للقسطلاني

قال العلامة محمود شكري الألوسي
(١٣٤٢هـ) ما حاصله:
كان القسطلاني من غلاة القبورية؛ يثبت
الواسطة الشركية، قياساً لله عز وجل على ملوك الدنيا.
انظر غاية الأماني (٢/ ١٤)

المقدمة

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾[1].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾[2].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾[3].

أما بعد:

فإن كتاب «**المواهب اللدنية**» من الكتب التي عنيت بسرد سيرة رسول الله ﷺ، وشمائله عليه الصلاة والسلام وهو كتاب شائع، وفيه نفع كبير في هذا الباب، وقد انتشر بين كثير من عامة المسلمين، غير أنه قد اشتمل على بعض الهفوات المتعلقة بتوحيد العبادة، وفيه أشياء باطلة مثل الغلو في

---

(١) سورة آل عمران، الآية: (١٠٢).

(٢) سورة النساء، الآية: (١).

(٣) سورة الأحزاب، الآيتان: (٧٠، ٧١).

شخص النبي[1] ﷺ، وإيجاب زيارة قبره، وغير ذلك من الأمور التي وقع فيها كثير من المنتسبين إلى الإسلام، وذلك بزعم شدة حبهم للنبي، ﷺ، وكذبوا فإن حبه يقتضي اتباعه فيما بلغ عن ربه عز وجل، كما قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾[2] وعامة من يغلو في شأنه، ﷺ، إذا اعترض عليه أحد اتهمه بأنه لا يحب الرسول، ﷺ، وهو زعم باطل، فالمحبة تقتضي الاتباع كما سبق، وقد نهى، ﷺ، عن الغلو في شأنه فقال: **«لاتطروني كما أطرت النصارى ابن مريم فإنما أنا عبد فقولوا عبد الله رسوله»**[3] أخرجه البخاري من حديث عمر.

وغالب من غلا في شأنه، ﷺ، يحاول أن يحتج بالآثار الضعيفة والموضوعة لتأييده فيما ذهب إليه، كما فعل المصنف وغيره غفر الله له، ونحن لانحاكم شخصه فإنه قد أفضى إلى الله تعالى، وإنما القصد تصحيح عقائد المسلمين، التي داخلها ذلك الدغل في كثير من البلدان، وردهم إلى عقيدة السلف الصحيحة، وعلى الرغم من ذلك فلا أدعي أني أوفيت الموضوع حقه، وهذا جهد المقل الذي يسَّره الله تعالى لي، وحسبي أنني

---

(١) مثل ماجاء في المجلد الأول ص ٦٦ «إن الله تعالى خلق نور نبينا محمد ﷺ أمره أن ينظر إلى أنوار الأنبياء فغشيهم من نوره ما أنطقهم الله به».
وكذا في ٧١ «إن الله تعالى قد خلق قبل الأنبياء نور نبيك من نوره» وكذا في ٧٥ «لما خلق الله آدم جعل ذلك النور في ظهره يلمع في جبينه فيغلب على سائره نوره»، وكذا في ص ٧٠ «هذا نور نبي من ذريتك اسمه في السماء أحد وفي الأرض محمد لولاه ما خلقتك ولاخلقت سماء ولا أرضا» وكذا في ص ١٤٥ ففيها أن مولد النبي ﷺ أفضل من ليلة القدر وهذا مصادم للأدلة الشرعية وغلو وإفراط وبعد عن الصراط.

(٢) سورة آل عمران، آية (٣١).

(٣) البخاري (٣٤٤٥).

بذلت جهدي قاصداً النصح للأمة وإبراز عقيدة أهل السنة، والنصح لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم، وليس قصدي من ذلك الكتاب الرد بالتفصيل، وإنما التنبيه على مواضع الخطأ، حتى يحذرها المسلم، والرد المجمل عليها لا المفصل.

والله من وراء القصد، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الخطأ الأول

أنه ذكر عدة أحاديث في الترغيب في السفر وشد الرحال لزيارة قبر النبي، ﷺ[1].

والجواب: أن هذه الأحاديث مفتعلة موضوعة، ذكرها الإمام ابن عبد الهادي وناقشها مناقشة علمية، ومن جملة تلك الأحاديث التي استدلوا بها.

ما أخرجه الدراقطني[2] بسنده قال: حدثنا عبدالله بن محمد بن عبد العزيز أنبأنا أبو الربيع بن أبي داود عن ليث لن أبي سليم عن مجاهد عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ، **«من حج فزار قبري بعد وفاتي فكأنما زارني في حياتي»**.

ثانيا: ما أخرجه ابن عدي في الكامل قال: حدثنا علي بن إسحاق حدثنا محمد بن النعمان بن شبل حدثني مالك عن نافع عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: **«من حج البيت ولم يزرني فقد جفاني»**[3].

هذان الحديثان اللذان أوردناهما في هذا المقام هما نصان في هذا الموضوع ولم أقف على غيرهما من الأحاديث مايكون نصاً في الموضوع وإنما هنالك أحاديث أخرى تدل على مطلق[4] زيارة قبر النبي، ﷺ.

---

(١) انظر المواهب اللدنية ٤/ ٥٧١ - ٥٧٢.

(٢) سنن الدراقطني ٢/٢٧٨ حديث رقم ١٩٢.

(٣) الكامل ٧/ ٢٤٨٠.

(٤) من ذلك ما أخرجه الدارقطني في سننه ٢/ ٢٧٨ «من زار قبري وجبت له شفاعتي» قال عنه ابن عبد الهادي «حديث غير صحيح ولا ثابت بل هو حديث منكر» الصارم ٢١. وكذا ما أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (١٢/ ٢٩١) رقم (١٣١٤٩) «من جاءني زائر لاتعمله حاجة إلا زيارتي كان حقا علي أن أكون له شفيعاً يوم القيامة» قال ابن عبد الهادي في الصارم ص ٤٩ «حديث ضعيف الإسناد منكر المتن». وكذا ما أخرجه الطيالسي في مسنده حديث رقم (٦٥) «من زار قبري أو من زارني كنت له شفيعاً أو شهيداً» قال عنه ابن عبد الهادي في الصارم ٩٦ «هذا حديث ليس بصحيح لانقطاعه وجهالة إسناده واضطرابه».
راجع الصارم المنكى وهو مطبوع عدة طبعات.

ولا نتكلم في هذا الموضوع إلا مايكون نصاً في الموضوع. وهذان الحديثان يحتاجان إلى النظر فيهما من ناحية السند.

ففي إسناد الحديث الأول راوٍ ضعيف هو حفص بن أبي داود قال عنه البخاري تركوه[(١)] وقال عنه أبو حاتم لايكتب حديثه وهو ضعيف الحديث[(٢)].

وأما الحديث الثاني ففي إسناده راويان ضعيفان وهما النعمان ابن شبل وحفيده محمد بن محمد بن النعمان بن شبل أما الأول فقد قال عنه ابن حبان يأتي عن الثقات بالطامات وعن الأثبات بالمقلوب وأما الشخص الثاني فقد قال عنه ابن حجر متروك[(٣)].

لذا نجد أن ابن الجوزي رحمه الله تعالى قد أورد هذا الحديث في الموضوعات[(٤)].

لذا يقول شيخ الإسلام: (لم يثبت عن النبي، ﷺ، حديث واحد في زيارة قبر مخصوص ولا روى أحد في ذلك شيئاً لا أهل الصحيح ولا السنن ولا الأئمة المصنفون في المسند كالإمام أحمد وغيره وإنما روى ذلك من جمع الموضوع وغيره وأجلّ حديث روى في ذلك مارواه الدارقطني وهو ضعيف باتفاق أهل العلم بل الأحاديث المروية في زيارة قبره ﷺ مكذوبة وموضوعة»[(٥)].

وقال كذلك «وأما قوله من زار قبري وجبت له شفاعتي» وأمثال هذا الحديث مما رُوي في زيارة قبره ﷺ فليس منها شيء صحيح ولم يرو أحد من أهل الكتب المعتمدة منها شيئاً لا أصحاب الصحيح كالبخاري ومسلم ولا

---

(١) التاريخ الكبير ٢/٣٦٣.

(٢) الجرح والتعديل ٣/١٧٤.

(٣) تقريب التهذيب ٢/٢٠٥.

(٤) (٢/٢١٧).

(٥) اقتضاء الصراط المستقيم ٤٠١.

أصحاب السنن كأبي داود والنسائي ولا الأئمة من أهل المسانيد كالإمام أحمد وأمثاله ولا اعتمد على ذلك أحد من أئمة الفقه كمالك والشافعي وأحمد وإسحاق بن راهوية وأبي حنيفة والثوري والأوزاعي والليث بن سعد وأمثالهم بل عامة هذه الأحاديث مما يعلم أنها كذب موضوعة كقوله: «**من زارني وزار أبي في عام واحد ضمنت له على الله الجنة**» وقوله: «**من حج ولم يزرني فقد جفاني**»، فإن هذه الأحاديث ونحوها كذب...»[1].

الخطأ الثاني

قال المصنف:

«اعلم أن زيارة قبره الشريف من أعظم القربات، وأرجى الطاعات، والسبيل إلى أعلى الدرجات، ومن اعتقد غير هذا فقد انخلع من ربقة الإسلام، وخالف الله ورسوله وجماعة العلماء الأعلام...»[2].

أقول: هذا الكلام فيه حق وباطل، بل فيه غلو عجيب، وتكفير سافر غريب. وفيه تطرف وإفراط، وانحراف عن سواء الصراط.

فأما الحق:

فهو أن زيارة قبر النبي ﷺ، بدون السفر وبدون شد الرحال إليه سنة؛ لأن النبي، ﷺ، رغب في زيارة القبور بصيغة عامة فيدخل فيها قبر النبي، ﷺ، بالطريق الأحرى أي بطريقة السنة.

وهي أن لا تكون الزيارة متضمنة لأي نوع من أنواع الشرك أو البدع وأن لاتكون بالسفر وشد الرحال.

---

(١) الفتاوى (٢٧/ ٢٩).

(٢) المواهب اللدنية (٤/ ٥٧٠).

بل تكون الزيارة للمسجد النبوي هي المقصودة بالسفر وشد الرحال، وإذا جاء المسلم إلى المسجد من بعيد أو قريب فإنه يجوز له زيارة قبر النبي، ﷺ، بعدما يصلي ركعتين تحية المسجد.

ويشترط ألا يكون المقصود من زيارة قبره، ﷺ، إلا التزهيد في الدنيا والتذكير بالآخرة والاعتبار والندم على الذنوب واستحضار الموت والبلى. وذكر هادم اللذات، والاهتمام بمتابعة سنته، ﷺ، والاعتصام بطريقته والصلاة عليه، ﷺ، مع أن الصلاة عليه من بعيد كالصلاة عليه من قريب وعلى العكس.

هذه هي الزيارة السنّية التي عليها أصحاب النبي، ﷺ، والذين اتبعوهم بإحسان ومن بعدهم من أئمة السنة والقرآن.

أما الباطل فأنواع:

الباطل الأول: قوله: «اعلم أن زيارة قبره الشريف من أعظم القربات..» إلى آخر.

لأن ما كان من أعظم القربات فهو من الفرائض والواجبات التي ثبتت من الدين بالضرورة، وأما زيارة قبره، ﷺ، فهي سنة، ولكن على وجه السنية، فلا يجوز الغلو والإسراف.

الباطل الثاني: أن قصد المصنف أن السفر إلى قبر النبي، ﷺ، من أعظم القربات.

وهذا قلب للحقائق وتحريف للدين، لأن السفر إلى القبور وشد الرحال والحج إليها بدعة دخيلة على الإسلام.

قال البركوي «السفر إلى زيارة قبور الأنبياء بدعة لم يفعلها أحد من الصحابة والتابعين ولا أمر بها رسول رب العالمين ولا استحبها أحد من أئمة المسلمين فمن اعتقد ذلك قرب وطاعة فقد خالف السنة والإجماع ولو سافر

إليها بذلك الاعتقاد يحرم بإجماع المسلمين فصار التحريم من جهة اتخاذه قربة. ومعلوم أن أحداً لا يسافر إليها إلا لذلك»[1].

وهو أمر لايجوز في الإسلام فضلاً عن أن يكون قربة إلى الله عز وجل فما بالك بأن يكون من أعظم القربات.

بل إن السفر والحج وشد الرحال إلى القبور من أعظم ذرائع الشرك والوثنية وعبادة غير الله تعالى كما هو محسوس ملموس مشاهد في الأقطار والقرى والأمصار في شرق الأرض وغربها في كل بلاد العالم الإسلامي من الشام إلى مصر وتركيا والهند وأفغانستان والمغرب العربي إلى اليمن وأفريقيا وكل مكان.

ولاسيما إذا خالط ذلك أمور شركية وأفعال وثنية، كالنذر لأصحاب القبور «والاستغاثة بهم» والاعتقاد فيهم أنهم يعلمون الغيب، ويقدرون على جلب النفع ودفع الضر، كما ترى ذلك بالعيان على رؤوس الأشهاد، حيث عم البلاء العباد والبلاد.

الباطل الثالث: قوله: «ومن اعتقد غير هذا فقد انخلع عن ربقة الإسلام...».

أقول: هذا تهور ماكر وتكفير سافر، صادر عن مبتدع؛ لأن المسلم لايكفر بمثل هذه المسائل ولاينخلع عن ربقة الإسلام، فالمصنف هو الذي خالف الله ورسوله وجماعة العلماء الأعلام؛ لأن تكفير المسلم ليس بالأمر الهين، فالمسلم لايكفر ولايرتد عن دين الإسلام ولاينخلع عن ربقة الإسلام ولايحكم عليه بالكفر والردة إلا بارتكاب كفر بواح أو شرك صراح، وبعد إقامة الحجة عليه، وإزالة الشبهة التي لديه.

قال فضيلة الشيخ العلاّمة محمد بن صالح العثيمين «فإن قال قائل هل

---

(١) زيارة القبور الشركية والشرعية ص ٢٢.

تكفرون أهل التأويل أو تفسقونهم؟ قلنا: الحكم بالتكفير والتفسيق ليس إلينا بل هو إلى الله - تعالى - ورسوله، ﷺ، فهو من الأحكام الشرعية التي مردها إلى الكتاب والسنَّة، فيجب التثبت فيه غاية التثبت فلا يكفّر ولايفسّق إلا من دل الكتاب والسنة على كفره أو فسقه والأصل في المسلم الظاهر العدالة بقاء إسلامه وبقاء عدالته حتى يتحقق زوال ذلك عنه بمقتضى الدليل الشرعي.
ولايجوز التساهل في تفكيره أو تفسيقه لأن في ذلك محذورين عظيمين:

أحدهما: افتراء الكذب على الله - تعالى - في الحكم وعلى المحكوم عليه في الوصف الذي نبذه به.

الثاني: الوقوع فيما نبذ به أخاه إن كان سالماً منه. ففي صحيح مسلم[1] عن عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - أن النبي ﷺ. قال: **«إذا كفّر الرجل أخاه فقد باء بها أحدهما»**[2].

وفي رواية: «إن كان كما قال وإلا رجعت عليه» [3] وفيه عن أبي ذر - رضي الله عنه - عن النبي، ﷺ: **«ومن دعا رجلاً بالكفر أو قال عدو الله وليس كذلك إلا حار عليه»**[4].

وعلى هذا فيجب قبل الحكم على المسلم بكفر أو فسق أن ينظر في أمرين:

أحدهما: دلالة الكتاب أو السنة على أن هذا القول أو الفعل موجب للكفر أو الفسق.

الثاني: انطباق هذا الحكم على القائل المعين أو الفاعل بالمعين بحيث تتم شروط التكفير أو التفسيق في حقه وتنتفي الموانع. **ومن أهم الشروط** أن

---

(١) كتاب الإيمان باب بيان حال من قال لأخيه المسلم: ياكافر (١/ ٧٩) (١١١).

(٢) أخرجه مسلم (١/ ٧٩) رقم (٦٠).

(٣) كتاب الإيمان باب بيان حال من قال لأخيه المسلم: ياكافر (١/ ٧٩).

(٤) أخرجه مسلم كتاب الإيمان باب بيان حال من قال لأخيه المسلم: ياكافر (١/ ٧٩) ح (١١٢).

يكون عالماً بمخالفته التي أوجبت أن يكون كافراً أو فاسقاً لقوله تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ۝١١٥﴾[1].

وقوله: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوۡمَۢا بَعۡدَ إِذۡ هَدَىٰهُمۡ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ ۝١١٥ إِنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۚ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٖ ۝١١٦﴾[2].

ومنها يغلق عليه فكره فلا يدري مايقول لشدة فرح أو حزن أو خوف أو نحو ذلك. ودليله ماثبت في صحيح مسلم[3] عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال، قال رسوله الله، ﷺ: «**لله أشد فرحاً بتوبة عبده حين يتوب إليه من أحدكم كان على راحلته بأرض فلاة فانفلتت منه وعليها طعامه وشرابه فأيس منها فأتى شجرة فاضطجع في ظلها قد أيس من راحلته فبينما هو كذلك إذا هو بها قائمة عنده فأخذ بخطامها ثم قال من شدة الفرح «اللهم أنت عبدي وأنا ربك أخطأ من شدة الفرح**»[4].

الباطل الرابع: أن قوله هذا - مع هذا التهور - منصب على السفر وشد الرحل والحج إلى قبر النبي ﷺ، وقد عرفت أن هذا من الأعمال البدعية المحرمة فليس في الإسلام الحج إلى القبور ولا السفر إليها ولا شد الرحال إليها، فمن خالف هذا الأمرالمحرم البدعي كيف يحكم عليه بأنه كافر أو مرتد، أو انخلع عن ربقة الإسلام؟

---

(١) سورة النساء، الآية: (١١٥).
(٢) سورة التوبة، الآيتان: (١١٥، ١١٦).
(٣) صحيح مسلم (٤/ ٢١٠٤) كتاب التوبة حديث رقم (٢٧٤٧).
(٤) القواعد المثلى في صفات الله الحسنى ١١٦، ١١٧، ١١٨، ١١٩.
والحديث أخرجه البخاري (٧/ ١٤٦) كتاب الدعوات ومسلم (٤/ ٢١٠٤) رقم (٢٧٤٧).

بل الأمر بالعكس: فمن اعتقد أن السفر إلى القبور والحج إليها وشد الرحل إليها من أعظم القربات وكفّر من لا يقول بذلك هو في الحقيقة حَرِيٌّ بأن يحكم عليه بأنه قد انخلع من ربقة الإسلام؛ إن أصر على هذا الاعتقاد؛ لأنه اعتقد في أمر محرم مبتدع محدث أنه من أعظم القربات وأرجى الطاعات، وهكذا حال أهل البدع؛ يعبدون الله تعالى بالبدع، ويكفرون أهل السنة المحضة أصحاب الحديث، وأهل الأثر بسبب مخالفتهم لتلك البدع، ولكن أهل الحديث والسنة المحضة لايكفرون أحداً من أهل القبلة من الفرق المبتدعة - ولو كانت بدعتهم وصلت إلى حد الكفر - إلا بعد إقامة الحجة وإيضاح المحجة.

الخطأ الثالث

قوله: «وأطلق بعض المالكية.. أنها واجبة...»[1].

قلت: عليه مؤاخذتان:

الأولى: أن إطلاق بعض المالكية على الزيارة أنها واجبة[2] تهور محض لا يصدر عن عالم مثبت، وإنما هي طريقة أهل البدع، والقسطلاني يعتمد على النقل عن دعاة القبورية؛

---

(١) المواهب اللدنية ٤/ ٥٧٩.

(٢) لم أقف على قول للإمام مالك وأصحابه الأوائل على وجوب السفر إلى زيارة قبر النبي ﷺ بل الذي وقفت عليه في الجملة يخالف مايقرره المصنف ويدعو إليه من ذلك ماجاء في كتاب الحوادث والبدع ص ٢٩٤ - ٢٩٥ قال «كان مالك وغيره من علماء المدينة يكرهون إتيان تلك المساجد وتلك الآثار التي بالمدينة ماعدا قباء وأحد» وقال كذلك «لا أري أن يقف عند قبر النبي ﷺ يدعو ولكن ويمضي» فتح المنان ص ٣٥٨ وقيل للإمام مالك «إن ناساً من أهل المدينة لايقدمون من سفر ولا يريدونه يفعلون ذلك في اليوم مرة أو أكثر وربما وقفوا في الجمعة أو في الأيام المرة أو المرتين أو أكثر عند القبر فيسلمون ويدعون ساعة فقال لم يبلغني هذا عن أحد من أهل الفقه ببلدنا وتركه واسع ولايصلح آخر هذه الأمة إلا ما أصلح أولها ولم يبلغني عن أول هذه الأمة وصدرها أنهم كانوا يفعلون ذلك» فتح المنان ص ٣٥٨.

ولم يرد دليل واحد على وجوب الزيارة.

الثانية: أن الكلام منصب على أن السفر إلى زيارة قبر النبي، ﷺ، واجب.

وهذه بدعة على بدعة.

فإن هذا النوع من السفر بدعة ومعصية في الدين وهو أمر غير مشروع كما سبق فضلاً عن أن يكون جائزاً في الإسلام!

فما بالك بأن يكون ذلك واجباً في دين التوحيد؟

والصواب أن يقال:

إن زيارة القبور عامة وزيادة قبر النبي، ﷺ، خاصة سنة ولكن بطريقة السنة. أي بدون شد الرحال وبدون ارتكاب أي نوع من البدعة والشرك.

الخطأ الرابع

أنه قد ذكر حديث: «**من حج ولم يزرني فقد جفاني**».

ثم قال: **ولايصح**».

ومع ذلك الاعتراف بنى عليه زعمه:

أن زيارة قبر النبي، ﷺ، واجبة، وأن هذا الحديث ظاهر في حرمة ترك الزيارة؛ لأن تركها جفاء، والجفاء أذىً، والأذى حرام، فالزيارة واجبة[1].

قلت: يرثى لحال المصنف وغيره من الدعاة إلى الغلو في شأن القبور،

---

(١) انظر المواهب اللدنية ٤/ ٥٧١.

كيف يبنون صغرى قياسهم وكبراه، ومقدماته وأحكامه ونتائجه على حديث باطل باعترافهم؟!

فإذا كان القسطلاني يعترف ويشهد بنفسه على أن هذا الحديث لايصح، فكيف يبنى عليه: أن ترك الزيارة محرم؛ لأنه جفاء، وأن الزيارة واجبة؟!

الخطأ الخامس

أن المصنف قد استدل بقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ...﴾[1] على وجوب زيارة قبره، ﷺ، مطلقاً سواء كانت بالسفر وشد الرحل أم لا[2].

قلت: هذا باطل وتحريف لهذه الآية الكريمة. وذلك لوجهين:

الأول: أن هذه الآية خاصة بحياته، ﷺ، كما يظهر من تفاسير السلف قال أبو جعفر الطبري «يعني بذلك جل ثناؤه لو أن هؤلاء المنافقين الذين وصف صفتهم في هاتين الآيتين الذين إذا دعوا إلى حكم الله صدوا صدوداً إذ ظلموا أنفسهم باكتسابهم أياها العظيم من الإثم في احتكامهم إلى الطاغوت وصدودهم عن كتاب الله وسنة رسوله إذا دعوا إليها.. جاؤك تؤبين منيبين فسألوا الله أن يصفح لهم عن عقوبة ذنبهم بتغطيته عليهم وسألوا رسوله ﷺ مثل ذلك وذلك هو معنى قوله فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول. وأما قول: ﴿**لوجدوا الله تواباً رحيماً**﴾يقول: راجعاً لهم مما يكرهون إلى ما يحبون (رحيماً) في تركه عقوبتهم)[3].

---

(١) سورة النساء، الآية: (٦٤).

(٢) انظر المواهب اللدنية ٤/ ٥٧٢.

(٣) تفسير ابن جرير (٨/ ٥١٧).

ويقول ابن الجوزي رحمه الله وقوله تعالى: **﴿ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم﴾** يرجع إلى المتحاكمين الذين سبق ذكرهما.

قال ابن عباس: (ظلموا أنفسهم) بسخطهم قضاء الرسول (جاؤك فاستغفروا الله) من صنيعهم)[1].

ويقول ابن كثير رحمه الله: (يرشد تعالى العصاة المنيبين إذا وقع منهم الخطأ والعصيان أن يأتوا إلى الرسول ﷺ فيستغفروا الله عنده ويسألوه يستغفر لهم فإنهم إذا فعلوا ذلك تاب الله عليهم وغفر لهم ولهذا قال: لوجدوا الله تواباً رحيماً)[2].

ويقول ابن سعدي في تفسيره قول الله تعالى: **﴿ولو أنهم إذا ظلموا أنفسهم﴾** قال: (ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك أي معترفين بذنوبهم استغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله تواباً رحيماً) أي لتاب عليهم بمغفرته ظلمهم ورحمهم بقبول التوبة والتوفيق لها والثواب عليها. وهذا المجيء إلى الرسول ﷺ مختص بحياته لأن السياق يدل على ذلك لكون الاستغفار من الرسول لايكون إلا في حياته وأما بعد موته فإنه لا يطلب منه شيء بل ذلك شرك)[3].

ويقول سيد قطب رحمه الله (والذين يتناولهم هذا النص ابتداءً كان لديهم فرصة استغفار الرسول ﷺ وقد انقضت فرصتها وبقي باب الله مفتوحاً لا يغلق)[4].

---

(١) زاد المسير (٢/٢٢٣).

(٢) تفسير القرآن العظيم (١/٥١٩).

(٣) تفسير كلام المنان (٢/٩٣).

(٤) ظلال القرآن (٢/٦٩٦).

ويقول محمد بن بشير السهسواني: (والمجيء إلى قبر الرجل ليس من أفراد المجيء إلى الرجل لا لغة ولا شرعاً ولا عرفاً فإن المجيء إلى الرجل ليس معناه إلا المجيء إلى عين الرجل ولا يفهم منه أصلاً أمر زائد على هذا فإن الأمور الموجبة لتوبة الله ورحمته هي المذكورة في الآية وإنما هي المجيء إليه ﷺ، في الحياة بعد الظلم واستغفارهم عنده في الحياة بعد الظلم واستغفار الرسول ﷺ في الحياة بعد الظلم وفي زيارة القبر لايوجد واحد من هذا)[1].

والثاني: أن السفر وشد الرحال والحج إلى القبور محرم في الإسلام وبدعة في الدين وطريق إلى الوثنية!!. فكيف يجوزه القرآن الذي نزل لتحقيق التوحيد الخالص، وقمع كل صور الشرك وقطع كافة وسائله؟؟؟

الخطأ السادس

قوله: «... ولأن زيارة القبور تعظيم: وتعظيمه، ﷺ، واجب...»[2].

قلت: أراد المصنف أن يستدل على وجوب شد الرحال والسفر والحج إلى قبره، ﷺ، عن طريق أقيسة منطقية، فذكر دليل صغرى قياسه وكبراه، وضرب صفحاً عن دعواه ونتيجته، وكان تقرير قياسه على طريقة القياس الحملي هكذا:

السفر إلى زيارة قبره، ﷺ، واجب؛ لأن زيارة قبر النبي، ﷺ، تعظيم له، وكل ما هو تعظيم له، ﷺ، فهو واجب، فالسفر إلى زيارة قبر النبي، ﷺ واجب.

---

(١) صيانة الإنسان ص ٢٤ - ٣١.

(٢) المواهب اللدنية ٤/ ٥٧٣.

وتقريره على طريقة القياس الشرطي الوضعي الذي فيه مقدم وتال - هكذا: إن السفر إلى قبره الشريف واجب؛ لأنه لو كان تعظيم النبي، ﷺ، واجباً لزم أن يكون السفر إلى قبره الشريف واجباً، لكن المقدم حق فالتالي مثله.

أقول: هذه كلها مغالطة مكشوفة؛ لأنه لاشك أن تعظيم النبي، ﷺ، واجب بل هو من أعظم الواجبات؛ ولايمكن لشخص أن يسلم بدون تعظيم النبي، ﷺ، فمن لايعظم النبي، ﷺ، فهو كافر خارج عن الإسلام بلا ريب، فلا خلاف في وجوب تعظيم النبي، ﷺ، إنما الخلاف والإنكار في وسائل التعظيم وصوره فتعظيم النبي، ﷺ، لايستلزم السفر والحج وشد الرحال إلى قبره، ﷺ، فإنه محرم في الإسلام وبدعة في الدين، بل تعظيمه، ﷺ، يكون في اتباع سنته، ﷺ، والتمسك بهديه، ﷺ، والاعتصام بأوامره واجتناب مانهى عنه.

الخطأ السابع

قوله في التشنيع على شيخ الإسلام بغياً وعدوا: «وللشيخ تقي الدين ابن تيمية هنا كلام شنيع عجيب يتضمن منع شد الرحال للزيارة النبوية المحمدية، وأنه ليس من القرب بل بضد ذلك»[1].

أقول: أكتفي بما قاله شارح كتابه المواهب اللدنية الزرقاني الحنفي - وكفى الله المؤمنين القتال -:

قال ابن عبد الهادي:

«إن ابن تيمية لم يحرم زيارة القبور على الوجه المشروع في شيء من كتبه، ولم يكرهها، بل استحبها، وحض عليها، ومصنفاته، ومناسكه

---

(١) المواهب اللدنية (٤/ ٥٧٤).

طافحة بذكر استحباب زيارة قبره، ﷺ، وسائر القبور؛ وإنما تكلم على شد الرحال لا إلى مجرد زيارة القبور.

فذكر قولين للعلماء: المتقدمين، والمتأخرين:

أحدهما: إباحة ذلك، كما يقوله بعض أصحاب الشافعي وأحمد.

والثاني: أنه ينهي عنه؛ كما نصّ عليه مالك، ولم ينقل عن أحد من الثلاثة خلافه. وإليه ذهب جماعة من أصحاب الشافعي وأحمد واحتج ابن تيمية للثاني بحديث الصحيحين: **«لاتشد الرحال إلاَّ إلى ثلاثة مساجد»**.

فأي عتب على من حكى الخلاف في مسألة بين العلماء، واحتج لأحد القولين بحديث صحيح؟

ولكن نعوذ بالله من الحسد، والبغي، واتباع الهوى»[1].

الخطأ الثامن

قوله: «ورد عليه الشيخ تقي الدين السبكي «في شفاء السقام» فشفى صدور المؤمنين»[2].

قلت: كلا وحاشا، ومعاذ الله؛ بل السبكي هذا قد شفى صدور دعاة عباد القبور بكتابه «شفاء السقام» الذي هو دعوة سافرة إلى الغلو في الأموات. بل دعوة إلى الوثنية.

فإن هذا الكتاب خارج على طريقة المؤمنين الموحدين، وفيه مناصرة لدعاة القبورية وفتح لأبواب الشرك والبدع. وكلامه ليس من كلام أهل

(١) شرح المواهب اللدنية ٤/ ٥٧٤.

(٢) المواهب اللدنية ٤/ ٥٧٤.

العلم بالكتاب والسنة، وإنما أتى بالتشطيب والتشنيع؛ كما قال العلاّمة الألوسي: (وقد شنع التاج[1] السبكي كما هو عادته على المجد[2]...»[3].

الخطأ التاسع

قوله بجواز تقديم زيارة قبر النبي، ﷺ، على صلاة التحية في مسجد رسول الله، ﷺ[4].

قلت: هذا من الغلو والإفراط ومخالفته سواء الصراط؛ فإن هدي السلف في ذلك أن الزائر للمسجد إذا دخل المسجد يصلي ركعتين تحية المسجد ثم يزور قبر النبي ﷺ فما زعمه المصنف نقلاً عن دعاة عباد القبور هو قلب للشريعة وتحريف للدين.

الخطأ العاشر

زعمه استقبال القبر الشريف عند الدعاء واستدبار القبلة[5].

قلت: هذه بدعة سافرة، فالسنة استقبال القبلة عند الدعاء لا القبر الشريف، وعلى ذلك عمل سلف هذه الأمة وأئمة السنة[6].

---

(١) هكذا في الأصل وهو خطأ والصواب (التقي) لأن التاج هو ابنه.
(٢) هكذا في الأصل والصواب (التقي) لأن المجد هو جده.
(٣) روح المعاني ٦/١٢٦.
(٤) المواهب اللدنية ٤/ ٥٧٩.
(٥) المواهب اللدنية ٤/ ٥٨٠.
(٦) انظر صيانة الإنسان ٢٦٤ وفتح المنان ٣٥٨ - ٣٥٩ وتيسير العزيز الحميد ص ٣٥٨ والأم ١/ ٤٦ وشرح مسلم للنووي ٧/ ٣٨ والزواجر ١/ ١٩٤ والتوسل والوسيلة ص ٢٩٣ وروح المعاني (٦/ ١٢٥) وكشاف القناع ٢/ ١٥٠ - ١٥)..

أما استدلاله على استقبال القبر الشريف عند الدعاء وعلى التوسل به ﷺ. بقصة المنصور وحواره لمالك وقوله له. حيث قال المنصور لمالك «يا أبا عبدالله استقبل رسول الله ﷺ وأدعو أم أستقبل القبلة وأدعو»؟.

فقال له مالك:

«ولم تصرف وجهك عنه، وهو وسيلتك ووسيلة أبيك آدم عليه السلام إلى الله عز وجل يوم القيامة».

فهذه الرواية ضعيفة أو موضوعة لأن في إسنادها من يتهم وهو محمد بن حميد[1].

---

(١) انظر تيسير العزيز الحميد ص ٣٥٨ وكذا الحكاية التي ذكرها القاضي عياض عن محمد بن حميد قال: «ناظر أبو جعفر المنصور أمير المؤمنين مالكاً في مسجد رسول الله ﷺ قال مالك: يا أمير المؤمنين لاترفع صوتك في هذا المسجد فإن الله تعالى أدب قوماً وقال: **﴿لاترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي﴾** [سورة الحجرات، الآية: ٢]. فهذه حكاية على هذا الوجه إما أن تكون ضعيفة أو محرفة انظر صيانة الإنسان ٢٥٥ وفتح المنان ٣٥٩ كذا الحكاية في تلاوة مالك هذه الآية: **﴿ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم﴾** [سورة النساء، الآية: ٦٤]. فهي حكاية باطلة ولم يذكر عن أهل العلم المحققين إنهم استحبوا أن يسأل بعد الموت لا استغفار ولا غيره وكلام الإمام مالك المنصوص ينافي هذا انظر فتح المنان ص ٣٦٠.

وأما ماروى ابن زبالة وهو في أخبار المدينة عن عمر بن هارون عن سلمة بن وردان وهما ساقطان قال: رأيت مالك بن أنس يسلم على النبي ﷺ ثم يسند ظهره إلى جدار القبر ثم يدعو فالرجلان ساقطان كما في تيسير العزيز الحميد ص ٣٩٩.

الخاتمة

ليس المقصود انتقاص القسطلاني رحمه الله، وإنما التنبيه على أخطائه حتى يحذر منها المسلم ويعرف أمر دينه كما يريد منه الشرع الحنيف.

وأسأل الله ألا نكون قد تجاوزنا في كلامنا حدود الله تعالى، ونسأله القبول والسداد والتوفيق، إنه جواد كريم.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الباب الرابع:

الأخطاء العقدية في بعض كتب علم الكلام

وفيه أربعة فصول:

الفصل الأول:

بيان مخالفة الكوثري لعقيدة السلف

الفصل الثاني:

العقد الفريد في التعقبات على جوهرة التوحيد
وشرحها تحفة المريد

الفصل الثالث:

نقض قول من تبع الفلاسفة

الفصل الرابع:

المنخل لغربلة خرفات ابن الحاج في المدخل

الفصل الأول:

بيان مخالفة الكوثري لعقيدة السلف

بقلم

د. محمد بن عبدالرحمن الخميّس

المقدمة

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ (آل عمران: ١٠٢).

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴿١﴾﴾ (النساء: ١).

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ (الأحزاب: ٧٠-٧١).

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد، ﷺ، وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

ثم أما بعد

كانت العرب وسائر الأمم قبل مبعث النبي، ﷺ، في جاهلية جهلاء، وضلالة عمياء، وشرك، ووثنية، فمنهم من يعبد الشمس والقمر، ومنهم من يعبد الأشجار والأحجار، ومنهم من يعبد الجن والملائكة.

فهم كما قال الله عنهم:

﴿وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا ۖ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٣٢﴾﴾[1].

وقوله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّـٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴿٢٠﴾﴾[2].

وكما قال تعالى: ﴿ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ أَهَـٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾ قَالُوا۟ سُبْحَـٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم ۖ بَلْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ ۖ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾﴾[3].

وقوله تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۚ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾﴾[4].

كلهم في جاهلية، وضلال، وشرك، إلا أن بعضهم كان مستمسكاً بآثار الأنبياء، كبعض أهل الكتاب.

قال النبي، ﷺ: «**إن الله نظر إلى الأرض فمقتهم عربهم وعجمهم، إلا بقايا من أهل الكتاب...**»[5].

وفي هذا الظلام الحالك أشرق نور الإيمان بمبعث خاتم النبيين وسيد ولد آدم محمد، ﷺ، بعثة الله بدين الإسلام الذي أصله التوحيد، كما بعث سائر الرسل بذلك: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾[6].

---

(١) سورة الروم، الآيتان: ٣١، ٣٢.

(٢) سورة النجم، الآيتان: ١٩، ٢٠.

(٣) سورة سبأ، الآيتان: ٤٠، ٤١.

(٤) سورة فصلت، الآية: ٣٧.

(٥) أخرجه مسلم كتاب: «الجنة» باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار، ج ٤/ ٢١٩٧ ح٢٨٦٥ من طريق مطرف بن عبدالله الشخير عن عياض بن حمار المجاشعي.

(٦) سورة الأنبياء، الآية: ٢٥.

فدعا، ﷺ، إلى التوحيد، وحارب الشرك بشتَّى صوره وأشكاله وأنواعه، ومكث رسول الله، ﷺ، بمكة ثلاث عشرة سنة يدعو الناس إلى **توحيد الله وترك عبادة الأوثان والطواغيت،** والبراءة منها وممن عبدها، يدعوهم بالحكمة والموعظة الحسنة، مبشراً من أطاعه بالجنة، ومنذراً من عصاه بالنار، وبعض مضي **ثلاث عشر سنة** من بعثته، عليه الصلاة والسلام، أذن الله له في الدفاع عن الحق بالقوة بعد إتمام إقامة الحجة عليهم، **فاستنارت القلوب بدعوته،** عليه الصلاة والسلام، إلى العقيدة الإسلامية الصافية النقية، وانقمع أهل الباطل، وتبددت ظلمات الجاهلية الأولى أمام عقيدة الإسلام الصريحة التي لا غموض فيها ولا إبهام، لموافقتها للفطرة السليمة النقية من الشوائب، **وكان المسلمون في الصدر الأول يأخذون عقائدهم من الكتاب والسنة رأساً،** ويرون فيهما الكفاية والشفاء، ولم يكونوا يرجعون في شيء من ذلك إلى موروثات البشر من قضايا كلامية أو أفكار فلسفية.

يقول المقريزي:

(لم يكن عند أحدٍ منهم ما يستدل به على وحدانية الله - تعالى - وعلى إثبات نبوة محمد، ﷺ، سوى كتاب الله)[1]، كان لهم من البصر بالدين وأساليب اللغة ما مكنهم من فهم نصوص الكتاب والسنة **فهماً صحيحاً، ثم جاء بعد ذلك عصر الفتوحات،** فدخل في الإسلام كثير من أهل الديانات الأخرى من اليهود، والنصارى، والصابئة، وغيرهم، ومعهم ثقافاتهم الأجنبية، فاختلط بهم بعض المسلمين، وتأثروا بموروثاتهم وثقافاتهم، وخاصة بعد ترجمتها إلى العربية في عهد المأمون، وهذا واضح جليّ لكل من

(١) خطط المقريزي ٢/٣٥٦.

اطلع على كتب أهل الكلام، فهي مليئة بالتأويلات الفاسدة، والأقاويل الضعيفة، والاصطلاحات المنطقية الفلسفية، والعبارات الجافة المعقدة المحشوة بالجدليات والمتناقضات، فليس فيها ما يروي غليلا ويشفي عليلا.

ولا شك أن القارىء الذكي الفطن ذا الفطرة السليمة والعقل السليم، فضلاً عن المؤمن المستنير بنور الوحي يدرك فساد هذه الآراء، والمذاهب، والاصطلاحات الدخيلة فلو أفنى الرجل عمره في قراءة كتب علم الكلام، والبحث فيما احتوته لخرج منها بالحيرة والأسى على ضياع العمر دون طائل يتمنى أنه لم يخض في غمار تلك الموروثات، وفي بحر ذلك العلم الذي سمّوه علم الكلام، واسمع إلى مقالة من دخل في هذه المتاهات، وشهد على نفسه شهادة صدق عن خبرة وتجربة.

قال الشهرستاني:

لعمري لقد طفت المعاهد كلها
وسيرت طرفي بين تلك المعالم
فلم أر إلا واضعاً كف حائر
على ذقنه، أو قارعاً سن نادم[1]

وقال الرازي:

نهاية إقدام العقول عقال
وأكثر سعي العالمين ضلال

(١) كتاب نهاية الإقدام ص٣، والحموية ص٩١.

وأرواحنا في وحشة من جسومنا
وغاية دنيانا أذى ووبال
ولم نستفد من بحثنا طول عمرنا
سوى أن جمعنا فيه قيل وقال[1]

ولقد نشأ في الأمة الإسلامية بدع حمل لوائها أهل الجهل والهوى، كبدعة التكفير بالذنوب، وبدعة الإرجاء، وشر البدع الكلامية بدعة التعطيل، تعطيل الرب عما يجب له من الأسماء والصفات، تلك البدعة الموروثة عن اليهود، والصابئة، والفلاسفة، وكان الإمام فيها جَهْم بن صفوان الذين تنسب إليه الجهمية، بل تنسب إليه كل المعطلة من هذه الأمة، **ومن فروع هذه البدعة** بدعة القول بخلق القرآن، وهي التي امتحن أئمة السنة بسببها حين تصدوا لها بالمعارضة والنكير، ومن البلاء أن هذه البدع لم تزل موروثة في الأمة، **فصارت الأمة بها فرقاً**، كما أخبر الصادق المصدوق، ﷺ، كل فرقة تدعو إلى طريقتها، وتنافح عن مذهبها وإلى جانب هذه الطوائف كانت الطائفة المنصورة والفرقة الناجية، والتي تترسم خطى السلف الصالح من الصحابة والتابعين، وهي الوارثة لعلمهم، والسائرة على مناهجهم، ولا تزال هذه الطائفة في الأمة كما أخبر الرسول، ﷺ، فلم تزل الخصومة بين هذه الطائفة والطوائف المبتدعة قائمة إلى يومنا هذا. **ومن خصوم هذه الطائفة في هذا العصر**، ومن أئمة المبتدعين والمعطلة لصفات رب العالمين، **الأستاذ محمد زاهد الكوثري**.

كسب كثيراً من الأنصار من أهل الأهواء والأغراض، لاطلاعه الواسع وسحر بيانه وجرأته فعظمت الفتنة به، فهو في نظرهم:

(١) الحموية ص٩١، وكتاب تلبيس إبليس ص٩٣، وفتح الباري (١٣/ ٣٥٠).

«**إمام العصر**»، و«محقق العصر»، و«بقية السلف الصالح»، و«إمام من أئمة المسلمين»، و«المفكر العبقري»، و«المناظر الذي لم يقهر قط في حياته»، و«سيف الله المسلول على رقاب الملاحدة والفرق الضالة»، و«أقدر ناصر ومناضل عن السنة النبوية»، و«أبرع محام وحارس للعقائد الدينية الصحيحة»، (وكانت هجرته من تركيا إلى مصر أروع هجرة في العزة والكرامة).

ولإبراز هذا الرجل على حقيقته لا سيما وأن كثيراً من طلبة العلم لا يعرفون عن عقيدته شيئا اللهم إلا على سبيل الإجمال، رأيت الكتابة في عقيدته، **مع بيان موقفه من عقيدة السلف وأئمة السنة**، وذلك بعرض أقواله مأخوذة من مصادرها من كتبه التي وقفت عليها، وسأقوم بالتعليق على بعضها على وجه الاختصار، **إذ المقصود إعلام القارىء على عقيدة الكوثري**، وموقفه من أهل السنة من خلال نصوصه، فإن كثيراً من الأقوال الباطلة تصورها كافٍ في العلم ببطلانها، ولأن آراءالكوثري ليست بدعاً من آراء أهل الكلام، بل هي آراؤهم، بل هي نفس آرائهم، التي ردها الأئمة عليهم، وفندوها، فلا أطيل بمناقشتها، **ومن أراد الوقوف على نقض هذه المذاهب فليراجع ما كتبه أئمة الإسلام**، كالدارمي في كتابيه: «الرد على الجهمية»، و«الرد على بشر المريسي»، وابن قتيبة في كتابيه: «تأويل مختلف الحديث»، وكتاب «الاختلاف في اللفظ والرد على الجهمية والمشبهة»، والبخاري في كتابيه: «التوحيد وخلق أفعال العباد»، و«الرد على الجهمية»، وغير ذلك من المصنفات السلفية.

ويتألف هذا البحث من: تمهيد، وأربعة مباحث، وخاتمة.

أما التمهيد فهو: تعريف موجز بالأستاذ الكوثري.

وأما المبحث الأول: ففي عقيدته في التوحيد.

أما المبحث الثاني: ففي عقيدته في الإيمان.

وأما المبحث الثالث: ففي موقفه من عقيدة السلف وأئمة السنة.

وأما المبحث الرابع: ففي المقارنة بين عقيدة الإمام إبي حنيفة والأستاذ الكوثري في التوحيد والإيمان.

وفي الخاتمة: أذكر خلاصة ما توصلت إليه من نتائج، وسأقف من الرجل موقف الحياد والإنصاف، فلا غلو ولا تقصير؛ عملاً بقوله تعالى: ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ﴾[1].

وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ﴾[2].

والرجل قد أفضى إلى ربه؛ فلست أحاكم شخصه بل ما سطره في كتبه.

وأخيرا بهذا الجزء المتواضع لا أدعي أني قد وفيت الموضوع حقه، واستكملت جميع جوانبه، ولكن حسبي أني لم أدخر في سبيل ذلك وسعاً، فإن وفقت إلى ما هو الحق والصواب فذلك هو مقصدي وغاية مناي، فالحمدلله سبحانه، فله الفضل وحده والمنة وأستغفره من كل خطأ وزلل، والله من وراء القصد، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

وآخر دعوانا أن الحمدلله رب العالمين.

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ١٥٢.

(٢) سورة المائدة، الآية: ٨.

التمهيد

التعريف بالكوثري

هو محمد زاهد بن الحسن بن علي الكوثري نسبة إلى أحد أجداده «كوثر» أو إلى قرية (الكواثرة) بضفة نهر شبز ببلاد قوقاز، وقاعدة النسبة ترجح الأول، ولد ونشأ في قرية من أعمال (دوزجة) بشرق الآستانة وتفقه في جامع الفاتح بالآستانة، ودرس فيه، وتولى رئاسة مجلس التدريس، واضطهده (الاتحاديون) خلال الحرب العالمية الأولى، لمعارضته إياهم، فأريد اعتقاله، فركب إحدى البواخر إلى الاسكندرية سنة ١٣٤١هـ، وتنقل زمناً بين مصر والشام، ثم استقر في القاهرة موظفاً في (دار المحفوظات) يترجم ما فيها من الوثائق التركية إلى العربية، وكان يجيد التركية والعربية والفارسية والجركسية، توفي بالقاهرة سنة ١٣٧١هـ.

ومن تأليف «تأنيب الخطيب على ما ساقه في ترجمة أبي حنيفة من الأكاذيب».

و«النكت الطريفة في التحديث عن ردود ابن أبي شيبة على أبي حنيفة».

و«الاستبصار في التحديث عن الجبر والاختيار».

و«كتاب نظرة عابرة في الرد على من أنكر نزول عيسى عليه السلام»، أجاد فيه وأفاد ولكنه ناقض فيه نفسه خاصة والماتريدية عامة حيث أن منكري نزول عيسى عليه السلام استدلوا بقواعد أهل الكلام منها أن أحاديث النزول أخبار آحاد ظنية لا تثبت بها العقيدة فشن الكوثري غاراته على إبطال هذه القاعدة وصر أن هذه القاعدة لأهل البدع أرادوا بها هدم الإسلام فحكم على أهل الكلام بأنهم هدموا الإسلام، وغير ذلك من المصنفات[1].

---

(١) انظر ترجمته في الاعلام للزركلي ١٢٩/٦.

المبحث الأول

عقيدته في التوحيد

أولا: توحيد الأسماء والصفات:

أ- **صفة العلو**: يذهب الكوثري في صفة العلو مذهب الجهمية المعطلة، وهو نفي علو الله تعالى بذاته فوق خلقه، ويرى أن الله لا داخل العالم ولا خارجه[1]، وحرف نصوص صفة العلو إلى علو الشأن[2]، وعلو القهر والغلبة[3]، فقد قال: (والمراد بالفوقية: فوقية العزة والقهر والتنزه، **«والله فوق ذلك»** في حديث الترمذي بمعنى: أنه يعلو على مدار البشر؛ بدليل ما في سنن الترمذي أيضاً من حديث (لو دليت)، قال ابن جهبل: (الفوقية ترد لمعنيين أحدهما: نسبة جسم إلى جسم، بأن يكون أحدهم أعلى والآخر أسفل، بمعنى: أن أسفل أعلاه من جانب **رأس** الأسفل، وهذا لا يقول به من لا يجسم **وثانيهما: بمعنى الرتبة، كما يقال**: الخليفة فوق السلطا، فوق الأمير..)

قال الكوثري بعد ذلك: (فظهر بطلان التمسك بكلمة «فوق» في الآيات والأحاديث إثبات الجهة له تعالى، تعالى الله عن مزاعم المجسمة)[4].

وقال في موضع آخر (أهل السنة خصوم مجسم وزائغ، وهم يقولون:

---

(١) كتاب تبديد الظلام ص ٣٥، ٧٨.

(٢) كتاب تبديد الظلام ص ٨٨.

(٣) تعليقات الكوثري على كتاب الأسماء والصفات ص ٤٠٦.

(٤) الرد على تونية ابن القيم ص ٨٨.

إنه لا يقال: إن الله داخل العالم، كما لا يقال: إنه خارج العالم، ولا أنه مستقر على العرش؛ لأن ذلك لم يرد في الكتاب ولا في السنة؛ ولأن ذلك شأن الأجسام، ومن جوز في معبوده الدخول والخروج والاستقرار فهو عابد وثن)[1].

ويقول عن السلف: الذين أثبتوا علو الله على خلقه واستواءه على عرشه: (لاحظ لهم في الإسلام، غير أن جعلوا صنمهم الأرضي صنماً سماوياً)[2]. وهذا مناقض كل المناقضة لمذهب أهل السنة والجماعة، فقد تظافرت دلالة الفطرة والشرع على إثبات علو الله على خلقه، وفي تقرير دليل الفطرة **يقول الإمام محمد بن عثمان بن أبي شيبة**: (أجمع الخلق جميعاً أنهم إذا دعوا الله رفعوا أيديهم إلى السماء، فلو كان الله عز وجل في الأرض السفلى ما كانوا ليرفعوا أيديهم إلى السماء، وهو معهم في الأرض، ثم تواترت الأخبار أن الله تعالى خلق العرش، فاستوى عليه بذاته، وخلق الأرض والسماوات، فصار من الأرض إلى السماء، إلى العرش، فهو فوق السماوات، وفوق العرش بذاته، متخلصاً من خلقه بائنا منهم علمه خلقه لا يخرجون من علمه)[3].

وقال ابن أبي شيبة: «وذكروا أن الجهمية يقولون: ليس بين الله عز وجل وبين خلقه حجاب وأنكروا العرش، وأن يكون الله فوقه وفوق السماوات وقالوا: إن الله في كل مكان»[4].

---

(١) الرد على نونية ابن القيم ص ٣٥.
(٢) تبديد الظلام ص ٣٥.
(٣) كتاب العرش لابن أبي شيبة ص ٥١.
(٤) كتاب العرش لابن أبي شيبة ص ٤٩.

وقال الأوزاعي «كنا والتابعون متوافرون نقول: إن الله تعالى على عرشه، ونؤمن بما وردت به السنة الصحيحة من صفاته»[١].

قال ابن تيمية: «وإنما قال الأوزاعي هذا بعد ظهور مذهب جهم المنكر لكون الله عز وجل فوق عرشه، والنافي لصفاته، ليعرف الناس أن مذهب السلف كان خلاف ذلك»[٢].

وقال عبدالله بن المبارك: «نعرف ربنا بأنه فوق سبع سماواته، على العرش استوى، بائن من خلقه، ولا نقول كما قالت الجهمية»[٣].

وأقوال السلف في ذلك كثيرة ولو أردت إحصاء أقوالهم لطال بنا المقام، ولكن أحيل القارىء الكريم إلى كتاب «اجتماع الجيوش الإسلامية» للعلامة ابن القيم، وكتاب «العلو» للحافظ الذهبي، فقد نقل عن أكثر من مائة إمام من أئمة المسلمين كلهم يصرحون بعلو الله على خلقه واستوائه على عرشه، وكذا الأدلة على علو الله تعالى على خلقه واستوائه على عرشه كثيرة جداً، وقد تتبعها بعض أئمة السنة فوجدها أكثر من ألف دليل[٤].

فالحاصل: **أن مذهب الكوثري** مخالف للأدلة الشرعية، وللفطر السليمة، ولإجماع بني آدم[٥]، ويلزم أن يكون الله معدوماً ممتنعاً.

---

(١) الأسماء والصفات ص ٤٠٨، فتح الباري ١٣/٤٠٦.
(٢) مجموع الفتاوى ٥/٣٩.
(٣) الرد على الجهمية للدارمي ص ٦٧.
(٤) انظر الجواب الصحيح ٣/٨٤، الصواعق المرسلة ٤/١٢٧٩.
(٥) نقض المنطق ص ٥٥، مجموع الفتاوى ٤/٦١.

ب - صفة الاستواء:

تابع الكوثري الجهمية، فعطل صفة الاستواء وحرف نصوصها، ويدعي أن الاستواء في كلام العرب يأتي في خمسة عشر معنى، فقد قال:

(**وللاستواء في كلام العرب** خمس عشرة معنى ما بين حقيقة ومجاز، منها ما يجوز على الله، فيكون معنى الآية، ومنها ما لا يجوز على الله بحال، وهو ما إذا كان الاستواء بمعنى التمكن، أو الاستقرار، أو الاتصال أو المحاذاة)[١].

وعلق في حاشية على كتاب «الأسماء والصفات»[٢] أقوال المعطلة في قول الله تبارك وتعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾[٣] من تلك التأويلات التي نقلها: الملك، واستثار الملك، واستواء الحكم، والاستواء المجرد عن معنى المغالبة، والإقبال والقصد، والاتقان، وعلو العظمة والعزة، وعلو القهر والغلبة.

وقال: (من فسر الاستواء بالعلو الحسي، والاستقرار، والقعود، والجلوس، ونحو ذلك فقد جسم معبوده في المعنى وإن لم ينطق بلفظ الجسم)[٤].

ثم قال بعد ذلك: (وهذا كله في غاية الظهور، وإن كان يخفى على أدعياء السلف من مشبهة العصر)[٥].

وحرف مقالة الإمام مالك المشهورة في «الاستواء» تحريفاً لفظياً فقد

---

(١) مقالات الكوثري ص٢٩٤، ٣٠٣، وانظر كذلك الأسماء والصفات ص٤٠٥-٤٠٦ طبع دار إحياء التراث العربي، وص٤٠٩ ط دار الكتب العليمة.

(٢) ص٤٠٥-٤٠٦ وانظر الرد على النونية لابن القيم ص١١١-١١٢.

(٣) سورة طه: الآية (٥).

(٤) تعليقات الكوثري على كتاب الأسماء والصفات ص٤٠٧.

(٥) تعليقات الكوثري على كتاب الأسماء والصفات ص٤٠٧.

حرفها فقال نقلاً عن الإمام مالك: (الكيف مجهول والاستواء غير معقول)[1].

كما حرفها تحريفا معنويا حيث قال: (قال مالك وغيره: إن الاستواء معلوم، يعني: مورده في اللغة معلوم)[2].

وهذا مناقض لمذهب السلف، فهم يعتقدون ويشهدون بأن الله سبحانه وتعالى فوق سبع سماواته على عرشه كما نطق به كتابه[3]، فإن الله تعالى انتهى إلى إنه استوى على العرش، ولم يذكر كيف كان استواءه[4].

وقد وصف الله نفسه بأنه استوى على العرش في سبعة مواضع من كتابه، منها قول الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾[5].

وقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾[6].

ووصفه النبي، صلى الله عليه وسلم، بأنه استوى على العرش كقوله، ﷺ: «لما خلق الله الخلق كتب في كتاب عنده فوق العرش: إن رحمتي تغلب غضبي»[7].

---

(١) تعليقات الكوثري على كتاب الأسماء والصفات ص٤٠٥، ٤٠٦، وفي دار الكتب العلمية ١٠٩.

(٢) مقالات الكوثري ص٢٩٤.

(٣) عقيدة السلف أصحاب الحديث ص١٤.

(٤) اعتقاد أئمة أهل الحديث.

(٥) سورة الأعراف، الآية: ٥٤.

(٦) سورة الرعد، الآية: ٢.

(٧) أخرجه البخاري كتاب التوحيد باب قول الله تعالى ﴿ويحذركم الله نفسه﴾ ١٣/ ٣٨٤ ح٧٤٠٤، من طريق أبي صالح عن أبي هريرة، ومسلم كتابه التوبة، باب في سعة رحمة الله تعالى وأنها سبت غضبه ٤/ ١٠٧ ح٢٧٥١، من طريق الأعرج عن أبي هريرة.

وقد عقد **الإمام أحمد بن حنبل** باباً في كتابه «الرد على الجهمية» فقال: (بيان ما أنكرت الجهمية أن يكون الله على عرشه) ورد فيه زعمهم أن الله في كل مكان بذاته.

كما رد **ابن قتيبة** في كتابه: (الاختلاف في اللفظ والرد على المشبهة والجهمية) تفسيرهم ﴿**استوى**﴾ بالاستيلاء.

كما عقد **الإمام أبو سعيد الدارمي** في كتابه: «الرد على الجهمية» باباً في (استواء الرب تبارك وتعالى على العرش) أتى فيه بالأدلة من الكتاب والسنة وأقوال السلف في إثبات استواء الله على عرشه، وردَّ على المعطلة.

فالحاصل: أن مذهب الجهمية مخالف لصريح نصوص الكتاب والسنة، ولإجماع سلف الأمة.

جـ - صفة النزول:

تابع الكوثري الجهمية، فعطل صفة النزول، وحرف نصوصها إلى نزول الملك[1]، أو نزول أمره[2]، أو نزول قدرته[3].

وحرف حديث النزول تحريفاً لفظياً فذكر بلفظ: (يُنْزِل) بضم الأول من باب الإفعال.

قال في حاشية كتاب «الأسماء والصفات» للبيهقي (وقد حكى أبو بكر بن فورك أن بعض المشايخ ضبطه بضم أوله على حذف المفعول، أي:

---

(١) مقالات الكوثري ٣٤٩، تبديد الظلام ٥٣، ٩٠، وتعليقاته على كتاب الأسماء والصفات ٤٤٩ - ٤٥٠ وتعليقاته على كتاب التنبيه والرد ص١٩٠.

(٢) كتاب تبديد الظلام ١١٢-١١٣.

(٣) كتاب تبديد الظلام ٥٣، وتعليقات الكوثري على كتاب الأسماء والصفات ص٤٤٨.

يُنزِل ملكاً، يقويه حديث النسائي عن أبي هريرة وأبي سعيد: قال رسول الله، ﷺ: (**إن الله يمهل، حتى يمضي شطر الليل الأول، ثم يأمر منادياً يقول: هل من داعٍ فيستجاب له؟**.. إلى أن قال:

وأما من جعل ذلك نقلة فقد جسم، وخالف البرهان العقلي والدليل الشرعي وضرورة الحس)[1].

وقال الكوثري كذلك: (من حاول أن يستدل على إثبات الحركة لله تعالى بحديث «النزول» تغافل عن الدليل العقلي القاضي باستحالة ذلك على الله، مما يحتم الحمل على الإسناد على السبب الآمر، أو المجاز في الطرف، وتجاهل اختلاف الروايات في النزول من «إنزال» و«تنزل» وغير ذلك ومعانيها بلسان العرب، وتغضى عن حديث النسائي الدال على إنزال ملك ينادي في الثلث الأخير من الليل المعيّن لإرادة الإسناد المجازي من قائله، ﷺ).

وهذا عين المناقضة لمذهب أهل السنة والجماعة فأثبتوا النزول على ما قاله الرسول، ﷺ، ولم يعتقدوا تشبيهاً لنزول خلقه، وعلموا، وتحققوا، واعتقدوا أن صفات الله سبحانه وتعالى لا تشبه صفات الخلق، كما أن ذاته لا تشبه ذوات الخلق[2].

وقد عقد الامام أبو سعيد الدارمي في كتابه «الرد على الجهمية» باباً في النزول أتى فيه بالأدلة من السنة وأقوال السلف.

وكذا الآجري في كتاب «الشريعة» عقد باباً خاصاً لإثبات النزول، فقال: (باب الإيمان والتصديق بأن الله عز وجل ينزل إلى سماء الدنيا كل

---

(١) حاشية الكوثري على كتاب الأسماء والصفات ٤٤٩.
(٢) اعتقاد السلف أصحاب الحديث ص٤٢.

ليلة، ثم قال: والإيمان بهذا واجب لا يسع المسلم العاقل أن يقول كيف ينزل، ولا يرد هذا إلا المعتزلة)[1].

وقد رد شبه الجهمية شيخ الإسلام ابن تيمية في مؤلف مستقل، وهو «شرح حديث النزول»، وقد وفقني الله لتحقيقه وهو مطبوع.

وقال علي بن عمر الحربي: (فإن قيل يُنْزِل أو يتنزل؟ قيل: ينزل بفتح الياء وكسر الزاي، ومن قال: «يُنْزِل» بضم الياء فقد ابتدع)[2].

فالحاصل: أن مذهب الجهمية مخالف للأحاديث المتواترة الدالة على نزول الرب تعالى كل ليلة إلى سماء الدنيا.

[والحديث المتواتر] قطعي عند الكوثري[3].

د- صفة اليدين:

يذهب الكوثري في صفة اليدين مذهب الجهمية المعطلة فقد عطل صفة اليدين وحرف نصوصها إلى العناية الخاصة بدون توسط، أو المراد من اليد: القدرة، فقد قال معلقاً على كتاب «الأسماء والصفات» على قول البيهقي (باب ما جاء في إثبات اليدين)، قال الكوثري: (وذلك كله عبارة عن القدرة، وضرب الله اليد مثلاً، إذ هي آلة تصرف عندنا، والمحاولة)[4].

---

(١) كتاب الشريعة ص٣٠٦.

(٢) الحجة ص٢٤٨-٢٤٩.

(٣) تبديد الظلام ٥٢، ١٢١، ١٣٣، ١٥٢.

(٤) تعليق الكوثري على كتاب الأسماء والصفات ص٣١٤.

وقال معلقا على قول الله تبارك وتعالى: (خلقت بيديَّ) أي بعناية خاصة بدون توسيط أب[1].

وهذا مناقض لمذهب أهل السنة والجماعة، فقد أثبتوا صفة اليدين كما جاءت بها النصوص، ومن لم يحملها على الحقيقة عندهم فهو معطل كما قال الإمام أبو حنيفة[2].

وقد عقد الإمام البخاري - رحمه الله تعالى - كتاب «التوحيد» من ضمن الصحيح أورد فيه جملة من الأحاديث الصحيحة تثبت صفة اليدين لله تعالى، وهو باب قول الله تعالى: **(لما خلقت بيدي).**

منها: حديث أبي هريرة - رضي الله عنه -: أن رسول الله، ﷺ، قال: «**يد الله ملأى لا تغيضها نفقة سحاء[3] بالليل والنهار...**»[4].

وكذا عقد الإمام الحافظ أبو عبدالله محمد بن هنده في «الرد على الجهمية» باباً فيه: (ذكر قول الله عز وجل: ﴿**ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي**﴾ أتى فيه بالأدلة من الكتاب والسنة ورد على المعطلة).

هـ - صفة الكلام:

تابع الكوثري الجهمية في تعطيل صفة الكلام، والقول بخلق القرآن، وحرف نصوصها إلى الكلام النفسي، **فقد قال:** (إن القول بخلق القرآن إنما

---

(١) تعليق الكوثري على كتاب الأسماء والصفات ص٣١٧.

(٢) الفقه الأكبر ص٣٠٢.

(٣) سحاء: السح هو الصب الدائم انظر النهاية ٢/٣٤٥.

(٤) كتاب التوحيد باب قول الله تعالى (لما خلقت بيدي) ١٣/٣٩٣، ح٧٤١١ من طريق الأعرج عن أبي هريرة.

يكون ضلالاً إذا أريد به ما هو قائم بالله سبحانه وتعالى، وهو الكلام النفسي.

وأما الحروف والأصوات في ألسنة التالين والزاج والعفص اوالمداد والنقوش في أوراق المصاحف، والحروف المتخيلة في أدمغة الحفاظ فمحدثة مخلوقة حتماً، وادعاء عكس هذا مكابرة وزيغ مبين)[1].

وقال كذلك: (والواقع أن القرآن في اللوح وفي لسان جبريل، ﷺ، وفي لسان النبي، ﷺ، وألسنة التالين وقلوبهم، وألواحهم مخلوق حادث محدث ضرورة، ومن ينكر ذلك يكون مسفسطاً، ساقطاً من مرتبة الخطاب، وإنما القديم هو المعنى القائم بالله سبحانه وتعالى بمعنى الكلام النفسي في علم الله جل شأنه في نظر أحمد بن حنبل.

وقد صح عن أحمد قوله في المناظرة: (القرآن من علم الله وعلم الله غير مخلوق).

أو بمعنى صفة الكلام القائمة بالله تعالى كقيام صفة العلم ونحوها جل شأنه، على تقدير ثبوت إطلاق القرآن عليها، فدلالة القرآن على المعنى القائم بالله بالاعتبار الأول، دلالة اللفظ على مدلوله الوضعي، ويشمل وجوده العلمي اللفظ والمعنى في آن واحد، لأن كليهما في علم الله، ودلالته على الصفة القائمة به سبحانه وتعالى - بالاعتبار الثاني - تكون دلالة عقلية، كما لا يخفى[2].

وقال الكوثري في الترحيب: (أما القرآن في ألسنة التالين ومصاحف

(١) تأنيب الخطيب ص٩٦-٩٧، وانظر تعليقه على كتاب تبيين كذب المفتري ص١٥.
(٢) مقالات الكوثري ص٢٧، وانظر الترحيب ص٣٠١.

الخطاطين، وأذهان الحفاظ، فالأول [يعني النفسي] غير مخلوق جزماً، والثاني مخلوق حتماً عند أهل الحق)[1].

فصرح بأن القرآن في اللوح المحفوظ، وفي لسان جبريل، وألسنة سائر الناس، وقلوبهم، وأصواتهم مخلوقة.

كما أنه لا يرى جواز سماع كلام الله تعالى، فلم يسمع منه جبريل لأن كلام الله تعالى ليس بحرف ولا بصوت، إنما هو معنى قائم بنفس الله، قال: (والصوت سواء كان من جهة، أو الجهات كلها حادث مخلوق، لا يقوم بالله سبحانه وتعالى، وفي **طبقات الحنابلة** لأبي الحسن بن أبي يعلى عند ترجمة الأصطخري في صدد ذكر عقيدة أحمد: (وكلم الله موسى تكليماً من فيه، وناوله التوراة من يده إلى يده ومن هذا يعلم مبلغ ضلال هؤلاء المجسمة)[2].

بل يعترف الكوثري أنه ليس بينه وبين المعتزلة خلاف في كون القرآن مخلوق[3]، حيث نقل قول التفتازاني محتجاً به فقال: (النزاع بيننا وبين المعتزلة وهو في التحقيق عائد إلى إثبات كلام النفس ونفيه، وأن القرآن هو أو هذا المؤلف الذي هو كلام حسيّ أولاً؟ فلا نزاع لنا في حدوث الكلام الحسي، ولا لهم في قدم النفسي لو ثبت)[4].

وهذا مناقض مذهب سلف الأمة وأئمتها، الذي يوافق الأدلة العقلية الصريحة، وهو أن القرآن كلام الله، منزل، غير مخلوق، منه بدأ، وإليه

(١) الترحيب ص٣٠١.
(٢) تعليق الكوثري على كتاب الإنصاف ص٩٥.
(٣) تعليق الكوثري على كتاب الأسماء والصفات ص٢٥١.
(٤) تعليق الكوثري على كتاب الأسماء والصفات ص٢٥١.

يعود، فهو المتكلم بالقرآن، والتوراة، والإنجيل وغير ذلك من كلامه، ليس مخلوقاً، منفصلاً عنه، بل سبحانه يتكلم بمشيئته وقدرته، ولم يقل أحد منهم: إن القرآن والتوراة والإنجيل لازم لذاته أزلاً وأبداً[1].

وقد عقد الإمام أحمد في كتابه: «الرد على الجهمية» باباً في (بيان ما أنكرت الجهمية، من أن يكون الله كلم موسى) وباباً في (ما ادعت الجهمية من أن القرآن مخلوق).

وكذا الإمام ابن خزيمة، فقد عقد في كتابه «التوحيد» باباً سمّاه: (باب من الأدلة التي تدل على أن القرآن كلام الله الخالق)، وقوله: «غير مخلوق» كما زعمت الكفرة من الجهمية المعطلة.

ثانيا: موقفه من توحيد الألوهية

اعتنق الكوثري كثيراً من كفريات القبورية، والبدع الشركية منها ما يلي:

أ - جواز بناء المساجد على القبور وادعى أنه أمر متوارث كما في مقالاته[2]، وهذا خلاف الأحاديث الصحيحة في النهي عن بناء المساجد على القبور ولعن فاعله.

ب - جواز إيقاد السرج والشموع على القبور، تعظيماً لروح الولي المشرقة على تراب جسده، كإشراقة الشمس على الأرض، إعلاماً للناس أنه ولي، ويدعون عنده فيستجاب لهم، كما في مقالاته[3].

---

(١) انظر مجموع الفتاوى ١٢/٣٧-٣٨.

(٢) مقالات الكوثري ص ١٥٦ - ١٥٧.

(٣) مقالات الكوثري ص ١٥٨.

جـ - جواز الصلاة في مسجد جعل على قبر رجل صالح؛ بقصد التبرك بآثاره، وإجابة دعائه، كما في المقالات[1].

د - جواز الاستعانة بتلك النفوس الخيرة في استنزال الخيرات، واستدفاع الملمات للنفس، وللنفس بعد المفارقة تعلق ما بالبدن، وبالتربة التي دفن فيها[2].

هـ - وأن تلك الأرواح لها آثار في أحوال العالم فهي المدبرات أمراً، كما في رده على نونية ابن القيم[3] وكما في المقالات[4].

قلت: إذا كانت الأرواح مدبرة لهذا العالم فماذا بقي لله تعالى في هذا العالم.

و - وأن زيارة مراقد الأولياء معدة لفيضان أنواع كثيرة منهم على الزائرين، كما يشاهده أهل البصائر[5].

ز - وأن تلك النفوس لما فارقت أبدانها فقد زال الغطاء، وانكشف لها عالم الغيب كما في مقالاته[6].

ح - جواز نداء الرسول، ﷺ، بعد موته لتفريج الكربات وجواز التوسل بذاته[7].

ط - وأن التوسل عند الكوثري هو توسل بذات الولي وشخصه في حضوره، وغيبته[8]، وبعد موته.

---

(١) مقالات الكوثري ص ١٥٦ - ١٥٧.

(٢) كتاب تبديد الظلام ص ١٦٢ ومقالات الكوثري ص ٣٨٥.

(٣) كتاب تبديد الظلام ص ٦١.

(٤) ص ٣٨٢.

(٥) كتاب تبديد الظلام ص ١٦٢ ومقالات الكوثري ص ٣٨٦.

(٦) مقالات الكوثري ص ٣٨٣.

(٧) مقالات الكوثري ص ٣٨٩ - ٣٩١.

(٨) مقالات الكوثري ص ٣٧٨ - ٣٧٩، ٣٨٦.

ي - **وأن الفرق بين التوسل بالنبي، ﷺ، في حياته، وبعد مماته، مأخوذ من اليهود كما في الرد على نونية ابن القيم**[٨].

ك - **وأن عدول عمر - رضي الله عنه - عن التوسل به، ﷺ،** إلى التوسل بالعباس لم يكن لأجل أن الرسول، ﷺ، لايسمع النداء كما في مقالاته[١].

قلت: هذا تقوُّل وافتراء على أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

ل - **وأن الأموات عنده يسمعون،** وأن آيات نفي سماع الموتى إنما هي في حق المشركين، كما في مقالاته[١].

قلت: هذا تقول وافتراء على عمر الفاروق الخليفة الثاني.

م - **تبجيل قصيدة البردة للبوصيري الصوفي**[٣].

ن - **يدافع عن ابن عربي[٤] وابن الفارض[٥]** وهم أهل الاتحاد[٦].

ص - **ويشن الغارة على برهان الدين البقاعي[٧]** لأجل تكفيره لابن عربي.

---

(٨) تبديد الظلام ص ١٥٥ - ١٥٦.

(١) مقالات الكوثري ص ٣٨٠.

(٢) مقالات الكوثري ص ٣٩٦ - ٣٩٧.

(٣) ترجمة الكوثري لأحمد خيري ص ٥٢.

(٤) هو محمد بن علي الطائي قال عنه الذهبي: «ومن أردأ تآليفه كتاب الفصوص فإن كان لا كفر فيه فما في الدنيا كفر». توفي سنة ٦٣٨ هـ، انظر سير أعلام النبلاء ٤٨/٢٣، واللسان ٣١١/٥.

(٥) هو عمر بن علي الحموي المعروف بابن الفارض المتوفى سنة ٦٣٢هـ، قال عنه الذهبي: «صاحب الاتحاد الذي قد ملأ به التائية»، فإن لم يكن في تلك القصيدة صريح الاتحاد الذي لاحيلة في وجوده فما في العالم زندقة ولا ضلال». انظر ترجمته سير أعلام النبلاء ٣٦٨/٢٢، واللسان ٣١٧/٤.

(٦) مقالات الكوثري ص ٣٤٠ - ٣٤١، ومقدمته لكتاب منية الألمعي ص ٧.

(٧) هو إبراهيم بن عمر بن حسن البقاعي المتوفي سنة ٨٨٥هـ، مؤلف «تنبيه الغبي إلى تكفير ابن عربي» أو «مصرع التصوف»، ترجمة في نظم العقبات ٢٤، والضوء اللامع ١٠١/١، وشذرات الذهب ٣٣٩/٧.

قلت: هذه طامات الكوثري وخرافاته القبورية، وهو بهذا تجرد للدعوة لعبادة القبور؛ ليعيد الوثنية الأولى في الإِسلام وليرفع راية الجهمية في الأمة من جديد.

وما تقدم ذكره مخالف لكتاب الله وسنة رسول الله، ﷺ، وعقيدة سلف الأمة، بل مخالف لعقيدة كبار أئمة الحنفية، **فقد أجمعوا على تحريم بناء المساجد على القبور**، وقالوا ويسنم القبر، ويسوى عليه اللبن، لا الآجر، ولايجصص، ولايبنى عليه، انظر تفصيل ذلك في كتاب الإِمام البركوي الحنفي في «**الزيارة الشرعية والشركية**»، وكتاب: «**مجالس الأبرار**» لأحمد الرومي الحنفي، وكتاب: «**بيان الشرك ووسائله» عند أئمة الحنفية لمؤلف هذا الكتاب**.

المبحث الثاني

الإيمان

أ - حقيقة الإيمان:

الإيمان عند الكوثري هو: العقد الجازم[١].

والأعمال خارجة عن حقيقة الإيمان، لاشرط ولا شطر[٢].

فقد قال: «إن الأعمال من كمال الإيمان، لا أنه جزء من ماهية الإيمان، لئلا يلزم الانزلاق إلى مذهب المعتزلة والخوارج»[٣].

وقال في موضع آخر: «العقد الجازم لايحتمل النقيض، وعدّ العمل ركناً يجر إلى معتقد الخوارج أو المعتزلة»[٤].

وقال: «والإرجاء بالمعنى الذي هم [يعني الحنفية] يقولون به هو محض السنة، ومن دعا إلى غير إلى ذلك لابد من أن يقع في مذهب الخوارج أو المعتزلة»[٥].

أقول: الكوثري صارخ بالإرجاء الغالي، واعتقاده هذا خلاف الكتاب والسنة. وعقيد السلف الصالح: من أن الأعمال داخلة في الإيمان؛

قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ١٤٣﴾[٦].

---

(١) انظر كتاب التأنيب ص ٦٩ ، ٦٦.

(٢) انظر كتاب التأنيب ص ٦٠، تعليقات الكوثري على كتاب التنبيه والرد ص ٤٨، وتعليقاته على كتاب الفرق بين الفرق للبغدادي ص ٣.

(٣) تعليق الكوثري على كتاب التنبيه والرد ص ٤٨.

(٤) تعليق الكوثري على كتاب الإنصاف للباقلاني ص ١٢٣.

(٥) التأنيب ص ٦٦.

(٦) سورة البقرة، الآية: ١٤٣.

قال الحليمي: «أجمع المفسرون على أنه أراد صلاتكم إلى بيت المقدس، فثبت أن الصلاة إيمان، وإذا ثبت ذلك فكل طاعة إيمان، إذ لم أعلم فارقاً فرق في هذا التسمية بين الصلاة وسائر الطاعات»[1].

والأدلة من السنة كثيرة منها:

قول النبي، ﷺ، لوفد عبد القيس: «**أتدرون ما الإِيمان بالله؟** قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: **شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وإيقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وأن تؤدوا خمس ما غنمتم**»[2].

وحكى هذا غير واحد من أهل العلم، اتفاق السلف على أن الإِيمان اعتقاد، وقول، وعمل غير واحد من أهل العلم: كالشافعي[3]، وأحمد[4]، والبخاري[5]، وابن عبد البر[6]، والبغوي[7].

قال الامام أحمد: «أجمع سبعون رجلاً من التابعين، وأئمة المسلمين، وفقهاء الأمصار، على أن السنة التي توفي عليها رسول الله، ﷺ. . . . وذكر منها: والإِيمان قول وعمل، يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية»[8].

---

(١) كتاب المنهاج في شعب الإِيمان ١/ ٣٧٩.

(٢) أخرجه البخاري كتاب الإِيمان باب أداء الخمس من الإهيمان ١/ ١٢٩ ح٥٣، ومسلم كتاب الإِيمان باب الأمر بالإِيمان بالله تعالى ١/ ٤٧ ح٢٤، كلاهما من طريق أبي جمرة عن ابن عباس.

(٣) انظر شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ٣/ ٨٨٦، ٨٨٧.

(٤) مناقب الإِمام أحمد لابن الجوزي ص ٢٢٨.

(٥) فتح الباري ١/ ٤٧.

(٦) كتاب التمهيد ٩/ ٢٣٨.

(٧) شرح السنة ١/ ٣٨، ٣٩.

(٨) مناقب الإِمام أحمد ص ٢٢٨.

وقال البغوي: «اتفقت الصحابة، والتابعون ومن بعدهم من علماء السنة على أن الأعمال من الإيمان»[1].

وقال ابن أبي العز الحنفي: « ومعلوم أن هذه الأعمال لاتكون إيماناً بالله بدون إيمان القلب؛ لما قد أخبر في مواضع أنه لابد من إيمان القلب، فعلم أن هذه مع إيمان القلب هو الإيمان، وأي دليل على أن الأعمال داخلة في مسمى الإيمان فوق هذا الدليل؟ فإنه فسر الإيمان بالأعمال، ولم يذكر التصديق؛ للعلم بأن هذه الأعمال لاتفيد مع الجحود»[2].

ب - زيادة الإيمان ونقصانه:

يرى الكوثري أن الإيمان لايزيد ولاينقص؛ لأن العقد الجازم لايحتمل النقض[3].

والمؤمنون كلهم من جهة الجزم لايتفاوتون[4].

قال الكوثري: في تعليقه على كتاب: «الإنصاف» للباقلاني عند قوله: «لايزيد ولا ينقص، قال: «لأن العقد الجازم لايحتمل النقيض»[5].

وقال في موضع آخر: «وأمر زيادة الإيمان في جانب العقد إنما يتصور عند ازدياد المؤمن به، وذلك ينقضي أو أنه بانقضاء زمن الوحي، إلا فيما من آمن إجمالاً ثم علم التفصيل، أو عند اعتبار تفاوت إيمان المؤمنين

---

(١) شرح السنة ١/٣٨، ٣٩.

(٢) شرح العقيدة الطحاوية ص ٣٨١.

(٣) انظر كتاب التأنيب ص ٦٠، ٦٨، ٩٩ وتعليقات الكوثري على كتاب الفرق بين الفرق ص ١٢٣.

(٤) كتاب التأنيب ص ٩٩.

(٥) تعليق الكوثري على كتاب الإنصاف ١٢٣.

تيقناً وتشككاً، لكن الإيمان الشرعي إنما يتحقق عند تحقق الجزم المنافي لتجويز النقيض»[1].

وهذا خلاف الأدلة من الكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة على أن الإيمان يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية.

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا﴾[2].

وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٢﴾[3].

وقال النبي، ﷺ: **«أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً، وخياركم خياركم لنسائكم»**[4].

قال ابن عبدالبر «أجمع أهل الفقه والحديث على أن الإيمان قول وعمل ولا عمل إلا بنية، والإيمان عندهم يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية، والطاعات كلها عندهم إيمان».

والأدلة من الكتاب والسنة والآثار الواردة عن السلف في أن الإيمان يزيد وينقص كثيرة جدًا، وبمناسبة كثرة الأدلة في هذه المسألة وعدم حصرها يقول العلامة **ابن العز الحنفي**: «والأدلة على زيادة الإيمان ونقصانه من الكتاب والسنة والآثار السلفية كبيرة جدًا»[5].

---

(١) التأنيب ص ٩٨، وانظر ص ٦٠، ٦٨.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٧٣.

(٣) سورة الأنفال، الآية: ٢.

(٤) أخرجه أبو داود كتاب السنة باب الدليل على زيادة الإيمان ونقصان (٥/ ٦٠)، ح(٤٦٢) كلاهما عن طريق أبي سلمة عن أبي هريرة قال الترمذي على أثره: «هذا حديث حسن صحيح».

(٥) شرح العقيدة الطحاوية ص ٣٧٤، ط بشير عيون.

ويقول العلامة الألوسي مفتي الحنفية في بغداد: «وما علي إذا خالفت في بعض المسائل مذهب الإِمام الأعظم أبي حنيفة - رضي الله عنه - للأدلة التي لا تكاد تحصى، فالحق أحق بالاتباع، والتقليد في مثل هذه المسائل من سنن العوام»[1].

(١) روح المعاني (٩/ ١٦٧).

المبحث الثالث

موقف الكوثري من عقيدة السلف

أ - موقفه من عقيدة السلف:

السلف هم من نهج منهج الصحابة والتابعين لهم بإحسان في التمسك بالكتاب والسنة والعَض عليها بالنواجذ، وتقديمهما على كل قول وهدى، سواء في العقائد، أو العبادات أو المعاملات، أو الأخلاق، فهم ثابتون على أصول الدين وفروعه وهم على ما جاء في الكتاب والسنة[1].

قال الكوثري: أن هذه العقيدة عقيدة الشرك والوثنية، وسمى هذه العقيدة: **«الوثنية الخرقاء»، و«الوثنية الأولى»، و«الوثنية الصريحة»، و«الوثنية في الإسلام»، و«الوثنية بعد الإسلام»، و«الوثنية الملبسة بلباس السنة»، و«تحذير الأمة من دعاة الوثنية»، و«منطق البادية والوثنية». ونحو ذلك**[2].

ب- موقفه من الكتب التي قررت عقيدة السلف:

ألَّف السلف من أئمة السنة في تقرير عقيدة الكتاب والسنة والرد على أهل الأهواء والبدع كتباً كثيرة، طبع منها الكثير ولله الحمد، مما زاد الكوثري حماقة، فأخذ يرمي تلك الكتب بألفاظ سيئة، فكل ما كتبه أئمة الإسلام في العقيدة

---

(١) انظر مكانة أهل الحديث بتصرف ص (١٠) وانظر العقائد السلفية لابن حجر .

(٢) انظر في ذلك كتاب تبديد الظلام ص (٤١)، (١٥٤)، وتعليقات الكوثري على كتاب الأسماء والصفات ص ٤٠٧، ٤٤٣-٤٤٤، وتعليقات الكوثري على كتاب تبيين كذب المفتري ص (١٨)، وانظر مقالات الكوثري ص (٢٨٧، ٢٩٠٠، ٣٠١، ٣٠٠٦، ٣١٥، ٣٢٧، ٣٣٠، ٣٣٤، ٣٣٨).

ككتاب التوحيد للبخاري وكتاب التوحيد بن أحمد لابن خزيمة وكتاب التوحيد لابن منده وكتاب السنة للإمام ابن الإمام عبدالله بن أحمد وكتاب السنة للإمام أبي داود وكتاب السنة لابن أبي عاصم وكتاب الصفات للدارقطني وكتاب الرؤية له وكتاب العلو لابن قدامة والذهبي وكتاب الشريعة للأجرى وكتاب الاستقامة لحشيش بن أصرم وكتاب العرش لابن أبي شيبة وكتاب الرد على الجهمية للإمام أحمد وللدارمي ولابن منده ولابن ماجه وغيرهم.

فكل هذه الكتب لهؤلاء الأئمة - عند هذا الكوثري كتب شرك ووثنية وكفر وتجسيم وتشبيه. وهؤلاء الأئمة عند هذا الكوثري الجهمي أئمة الشرك والكفر والوثنية والتجسيم والتشبيه.

يقول الكوثري في حق كتاب «السنة» لعبدالله بن أحمد: «كتاب الزيغ والتجسيم والتشبيه».

ويقول كذلك: «ولعل هذا القدر من النصوص التي سقناها من كتاب السنة يكفي لمعرفة ما وراء الأكمه، ولا أظن بمسلم نشأ نشأة إسلامية أن يميل لتصديق مثل تلك الأساطير الوثنية»[1].

ويقول عن كتاب «التوحيد» للإمام ابن خزيمة: «ولهذين الكتابين ثالث في مجلد ضخم يسميه مؤلفه ابن خزيمة كتاب «التوحيد» وهو عند محققي أهل العلم كتاب الشرك، وذلك لما حواه من الآراء الوثنية»[2].

ويقول في التأنيب: «كتاب التوحيد له- يعني ابن خزيمة - يعده الرازي كتاباً في الشرك»[3].

---

(١) انظر مقالات الكوثري ص ٣٢٤، ٣٢٠، ٣١، ٣٠٧، ٣٢٥، ٣٢٩، ٣٣٢، ٣٣٨.

(٢) مقالات الكوثري ٨٣٣٠

(٣) التأنيب ص ١٠٨.

وقال عن الإمام ابن خزيمة: «كان الواحب على مثله ألا يخوض في علم الكلام، فتزل له قدم، ومع هذا الجهل ألف كتاب «التوحيد» فأساء إلى نفسه ومن أهل العلم من قال عنه: أنه كتاب الشرك»[1].

ويقول عن كتاب: «الرد على الجهمية» للإمام عبدالرحمن بن أبي حاتم الرازي: «وذكر في كتابه «الرد على الجهمية» ما يدل على ما أصيب به عقله... فسبحان قاسم العقول يجهل علم الكلام»[2].

ويقول: «ومع ذلك تراه يدخل في مضايق علم أصول الدين مباعداً التفويض والتنزيه»[3].

وقال عن صاحب كتاب «العرش» للإمام ابن أبي شيبة: «ومحمد بن أبي شيبة صاحب كتاب العرش كذاب»[4].

جـ - موقفه من أئمة السنة:

قبل أن نبين موقف الكوثري من أئمة السنة لابد أن نعرج على كلامه من الصحابة، والظاهر أن عقيدته في الصحابة عقيدة الماتريدية الموافق لمذهب أهل السنة غير أن الكوثري قد نال من بعض أصحاب النبي، ﷺ، ظلماً وعدواناً وتعصباً لمذهبه.

وإليك بيان ذلك:

١- طعن في أنس بن مالك بالهرم وعدم الفقه كما في التأنيب[5].

---

(١) تعليقات الكوثري على كتاب الأسماء والصفات ص ٢٦٧.

(٢) تعليق الكوثري على كتاب الأسماء والصفات ص ٢٦٩.

(٣) التأنيب ص ١٦٧، ١٦٨.

(٤) التأنيب ص ١١٠.

(٥) التأنيب ص (١١٧)، الترحيب ص ٣٣٢، وانظر الرد عليه في طليعة التنكيل ١/ ٦٥ - ٦٦.

٣٢- **طعن في الصحابي الجليل معاوية بن أبي الحكم** راوي حديث الجارية بما يأتي:

أ- أنه غير فقيه.

ب- أنه كان يتكلم في الصلاة.

جـ- أنه صاحب طامة روى بالمعنى(١).

ويذكر الكوثري في أصول الحنفية كون الراوي فقيهاً، فيرد رواية غير الفقيه(٢).

وفي ذلك إشارة إلى ترك رواية بعض الصحابة كأبي هريرة وأنس بن مالك.

فالحاصل أن الطعن في أصحاب النبي، ﷺ، والتعرض لجنابهم، والنيل منهم يدل على كون الرجل مبتدعاً، وعلى خذلانه.

قال ابن السماني: «التعرض إلى جناب الصحابة علامة على خذلان فاعله، بل هو بدعة وضلالة»(٣).

د - شتائمه لأئمة السنة:

أقذع الكوثري في الشتائم لأئمة السنة أمثال البخاري وأحمد وأبي داود وغيرهم، ورماهم بالشرك والوثنية والتجسيم، وهو سلاح قديم استخدمته الجهمية الأوائل وفيما يلي بعض النماذج

(١) تعليقات الكوثري على كتاب الأسماء والصفات ٤٢١ - ٤٢٣ وكتاب تبديد الظلام ص ٩٤ - ٩٦، ومقالات الكوثري ص ٣٤٩.

(٢) التأنيب ص ٢٢٣.

(٣) فتح الباري ٤/٣٦٥.

أولا: والشرك والكفر، فقد أطلق عليهم الكلمات التالية:

«الوثنيون»، «الوثنية»، (الحشوية نسب عريق في الوثنية»، «دعاة الوثنية»، «المرضى بداء التجسيم والوثنية»، «تحذير الأمة من دعاة الوثنية»[1].

ثانيا وصفه لهم بالجهالة: والحماقة وقلة العقل والدين، ومن الأمثلة على ذلك قوله: «الطائفة الرذيلة الجهال»، الطائفة الذليلة والحقيرة»، «المتسلفين»، «اللامذهبية»، «الجعلة الأغرار»، «الحشوية السخفاء»، «تخريف السخفاء»، «الغافلون»، «الجاهلون»، «هم بين جاهل مصر على جهله وبين عالم معاند للحق»، «عقولهم الضئيلة»، «وكم من مصاب في عقله ودينه بدون فهم ولا عقل»، «جمعوا إلى قلة الفهم قلة الدين»، «مجانين العقلاء»، «أبعد خلق الله عن النظر والتبصر»، «الأوباش الرعاع»[2].

هـ - أقواله في شيخ الإسلام ابن تيمية:

حيث رماه بالزندقة[3] والنفاق[4] والإلحاد[5]، والمروق[6]،

---

(١) مقالات الكوثري ص ٣٣٢، ٣٢٧، ١٢٦، ٣٠٧، ٣٠١، ٣٢٥، ٣٣٦، وتعليقات الكوثري على كتاب الأسماء والصفات ص ٣٥٢، ٣٥٦، ٤١٩، ٤٧.

(٢) انظر كتاب تبديد الظلام ص ١٥، ٥٥، ٥، ١٢٢، ١٥٤، ٤٥، ١٧١، ١٥١.

(٣) كتب الظلام للكوثري ص ٨١، مقدمة الكوثري للرسائل السبكية ص ٢٧ - ٢٨.

(٤) كتاب الظلام للكوثري ص ٨١، مقدمة الرسائل السبكية ص ٣٤.

(٥) مقالات الكوثري ص ٣٢، كتاب الظلام ص ٧٤.

(٦) كتاب الظلام ص ٥، مقدمة الرسائل السبكية ص ٥٢.

والخيانة[١]، والمكر[٢]، والمغالطة المفضوحة[٣]، والمغالطة المكشوفة[٤]، والبراعة في التموية[٥]، والتلبيس[٦]، والبهتان على السلف[٧]، والإفك على السلف[٨]، والكذب الصريح والتقول القبيح[٩]، وتلفيق الروايات[١٠]، وقلة الدين والعقل[١١]، والإحداث في أصول العقائد[١٢] وأنه ماجن إلى غير ذلك من العبارات الذميمة والتكفير السافر.

و - أقواله في الإمام ابن القيم

وكذا رمى ابن القيم بالكفر[١٣]، والزندقة المكشوفة[١٤]، والمروق الظاهر[١٥]، والإلحاد[١٦]، وفتح باب الزندقة[١٧]، ونقض الشريعة[١٨]،

---

(١) التأنيب ص ١٠٩، وكتاب الظلام ص ٨٠، ٩١.
(٢) مقدمة الكوثري للرسائل السبكية ص ٤٦.
(٣) مقدمة الكوثري للرسائل السبكية ص ١٢.
(٤) كتاب الظلام ص ٥٠.
(٥) تعليقات الكوثري على ذيول تذكرة الحفاظ ص ١٨٨.
(٦) كتاب الظلام ص ٨٠٠، ١٤٠٠، ومقدمته للرسائل السبكية ص ٢١.
(٧) مقدمة الكوثري على الرسائل السبكية ص ٥٠، ٥٥، ٦٥.
(٨) مقدمة الكوثري على الرسائل السبكية ص ٥٤، ٦٠.
(٩) كتاب الظلام ص ٥، ٦٣، ٨٢، ١٤٠، ١٤٣.
(١٠) كتاب الظلام ص ٥، ٦٣، ٨٢، ١٤٠، ١٤٣.
(١١) كتاب الظلام ص ٩٣.
(١٢) كتاب الظلام ص ١٦، ٨١، ١٠٥، ١١٦.
(١٣) كتاب الظلام ص ٢٤، ٢٨، ٣٠، ٦٦، ١٧٠
(١٤) كتاب الظلام ص ١٨٢.
(١٥) كتاب الظلام ص ١٨٢.
(١٦) كتاب الظلام ص ٥٥، ٧٤.
(١٧) كتاب الظلام ص ٥٥.
(١٨) كتاب الظلام ص ٥٥.

والانحلال من الدين، والانسلاخ من التكاليف[1] وأنه كافر وأنه حمار أو تيس وغير ذلك من الألقاب والألفاظ الشنيعة والتكفير السافر.

ز - موقفه من الجعد بن درهم والجهم بن صفوان إمامي التعطيل:

دافع الكوثري عن الجهم بن صفوان، والجعد بن درهم، وناصرهما بل تهالك في الدفاع عنهما فهو يقول في الدفاع عن **جهم بن صفوان**: «وتنسب لجهم آراء، وليس له فرقة تنتمي إليه بعده، ونسبته غالب من نسب إليه من قبيل النبذ بالألقاب تهويلاً لسمعة الرجل بين الفرق، وآراؤه توزعت بينهم بغير تمحيصها على حسب أنظارهم لا على ما ارتآه جهم شأن كل رأي يشيع في الناس»[2].

ويقول عن خالد بن عبدالله القسري الذي ضحى بالجعد بن درهم: «إنه ذبح الجعد بن درهم يوم عيد الأضحى أضحية عنه.. وما كان العلماء ليسكتوا أمام استخفافه بشعيرة من شعائر الدين»[3].

ح - نماذج لتحريفات الكوثري لكلام أئمة السلف

لا يعرف شخص من أهل البدع أكثر خيانة، وأوضح تحريفاً للنصوص الصحيحة، وأشنع تحريفاً للعقائد الإسلامية، وشتمًا وسبًا لأهل السنة، مثل هذا الكوثري **وإليك بعض النماذج من تحريفاته الواضحة الفاضحة**:

---

(١) كتاب الظلام ص ٤٧.

(٢) مقدمة الكوثري لتبيين كذب المفتري ص ١٢.

(٣) التأنيب ص ٩١.

١- لقد صرح الإمام أبو حنيفة بعلو الله على عرشه، وفوقيته على عباده، وصرح بتكفير من شك في ذلك.

ولكن الكوثري حرف كلام الإمام أبي حنيفة أشنع تحريف[١].

٢- صرح الإمام أبو حنيفة وصاحباه أن القرآن كلام الله، وأن من قال هو مخلوق فهو كافر.

ولكن الكوثري حرف نصوصهم إلى الكلام النفسي[٢].

وكذا حمل كلام الإمام أحمد في هذه المسألة على الكلام النفسي، وهذا تحريف لأن بدعة الكلام النفسي لم تكن موجودة في ذلك الوقت وأول من أحدثها ابن الكلاب بعد فتنة القول بخلق القرآن والله المستعان.

٣- صرح كثير من أئمة الإسلام بإثبات الصفات بلا تكييف، ولا تمثيل، ولا تأويل، وأنها لا تفسر بتفسير الجهمية وتأويلاتهم منهم الإمام محمد بن الحسن، والإمام أحمد وغيرهم.

ولكن الكوثري حرف نصوصهم إلى التفويض[٣].

٤- نصوص الأئمة الأربعة خاصة، ونصوص السلف عامة صريحة في إثبات فوقية الله تعالى على عباده، وعلوه على عرشه.

ولكن الكوثري حرف نصوصنهم، وصرح أن إثبات العلو كفر عند الأئمة الأربعة[٤].

---

(١) انظر نص أبي حنيفة الواضح الصريح وتحريف الكوثري له في تعليقه على كتاب الفقه الأبسط لأبي حنيفة ص٤٩-٥٢.

(٢) مقالات الكوثري ص٢٧ والترحيب ص٣٠١.

(٣) بلوغ الأماني ص٥٣-٥٤، وكتاب تبديد الظلام ص٥٣، ١٣٦، ١٧١.

(٤) مقالات الكوثري ص٢٩٠-٢٩١.

٥ - صرف الكوثري مقالة الإمام مالك تحريفا لفظيا يهوديا جهميا؛ حيث نقل قول الإمام مالك محرفا له فقال: (الكيف مجهول والاستواء غير معقول)[١].

على أن قول الإمام مالك هكذا: «الكيف غير معقول والاستواء غير مجهول».

٦ - تحريف لفظي شنيع آخر للكوثري: لقد صرف الكوثري حديث النزول من «يَنْزِلُ» إلى «يُنْزِلُ» محرف لفظ الدين عن الثلاثي المجرد إلى باب الإفعال ومن اللازم إلى المتعدي لإثبات جهميته[٢].

وللكوثري تحريفات أخرى كثيرة، ذكر بعضها العلامة عبدالرحمن المعلمي في طليعة التنكيل[٣].

---

(١) انظر تعليقاته على الأسماء والصفات للبيهقي ٤٠٩.

(٢) تعليقاته على الأسماء والصفات ٤٤٩-٤٥٠.

(٣) ص٤٨-٥١.

المبحث الرابع

المقارنة بين عقيدة الإمام أبي حنيفة والأستاذ الكوثري في التوحيد والإيمان والصفات

١- لم يعرف عن الإمام أبي حنيفة وأصحابه الأوائل تأويل الصفات، بل صرح أبو حنيفة أن تأويل الصفات إبطال لها، وهو مذهب المعتزلة فقد قال: «ولا يقال إن يده: قدرته أو نعمته، لأن فيه إبطال الصفة وهو قول أهل القدر والاعتزال»[١].

فأبو حنفية يرى أن تأويل صفة اليد بالقدرة أو النعمة يؤدي إلى تعطيل النصوص الدالة على هذه الصفة عن دلالتها على المعنى المسوقة لأجله، فإذا حملت على خلاف ذلك بتأويلها كان ذلك نفياً للمعنى الذي جاءت لأجله وإثباتاً لمعنى آخر لم تدل عليه النصوص لا نصّاً ولا ظاهراً، **ومن هنا فلا داعي لتأويل هذه الصفة وغيرها** بصرفها عن ظاهرها.

وهكذا كان الإمام أبو حنيفة ملتزماً بمنهجه أثناء التطبيق، فأبى أن يؤول اليد بالقدرة أو النعمة، والرضا بالثواب[٢]، والغضب بالعقاب[٣].

هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فقد صرح الإمام أبو حنيفة أن تأويل الصفات كذلك خارج عن مذهب أهل السنة والجماعة، بل هو مذهب المعتزلة دل على ذلك قوله: «وهو مذهب أهل القدر والاعتزال»؟[٤].

وخالفه الكوثري فجاهر بتلك التأويلات[٥] التي هي تعطيل للصفات، وتحريف لنصوصها فخرج عن مذهب السلف.

---

(١) الفقه الأكبر ص٣٠٢.
(٢) الفقه الأبسط ص٥٦.
(٣) الفقه الأبسط ص٥٦.
(٤) الفقه الأكبر ص٣٠٢.
(٥) تقدم ذكر تلك التأويلات في ثنايا الكتاب فارجع إليه.

فالإمام أبو حنيفة مثبت للصفات والكوثري ناف لها محرف لنصوصها.

٢- إن الإمام أبا حنيفة - رحمه الله تعالى - قد أثبت علو الله على خلقه، وصرح بتكفير من أنكر علو الله تعالى أوشك فيه[١].

ونفى الكوثري صفة علو الله - تعالى - على خلقه وفوقيته على عباده، فهو يعتقد أن الله لا داخل العالم ولا خارجه[٢].

وحرف نصوص صفة العلو إلى علو العظمة والعزة، وعلو القهر والغلبة أو علو الشأن[٣].

فالإمام أبو حنيفة سلفي الاعتقاد، والكوثري جهمي معطل.

٣- يثبت الإمام أبو حنيفة - رحمه الله تعالى - استواء الله على عرشه، وعلوه على خلقه، على ما يليق بجلاله وعظمته، دل على هذا قوله: «ونقر بأن الله تعالى على العرش استوى من غير أن يكون له حاجة»[٤].

وقال الملا علي قاري بعدما ذكر قول الإمام مالك: «الاستواء معلوم والكيف مجهول» قال: «اختاره إمامنا الأعظم، وكذا كل ما ورد من الآيات والأحاديث المتشابهات من ذكر اليد والعين والوجه ونحوها من الصفات»[٥].

---

(١) الفقه الأبسط ص٤٩-٥٢.
(٢) كتاب تبديد الظلام ص٣٥، ٧٨.
(٣) تعليقات الكوثري على كتاب الأسماء والصفات ص٤٠٦، وتبديد الظلام ص٧٨، ٣٥.
(٤) شرح الوصية ص١٠.
(٥) شرح الأمالي ص٣١.

وعطل الكوثري صفة الاستواء وحرف نصوصها إلى الغلبة والقهر[1]، ولا يكتفي بذلك، بل يحرف مقالة الإمام مالك المشهورة في الاستواء[2].

انظر إلى هذا البون الشاسع: فأبو حنيفة يؤمن بصفة الاستواء والكوثري يعطلها ويحرف نصوصها تحريفين تحريفا لفظيا وتحريفا معنويا.

٤- يصرح الإمام أبو حنيفة - رحمه الله تعالى - بإثبات صفة النزول لله تعالى إلى السماء الدنيا بلا تكييف ولا تحريف ولا تعطيل، فيقول: «ينزل بلا كيف»[3]، بل إن بعض الحنفية القدماء كفروا من عطل صفة واحدة من الصفات[4].

وعطل الكوثري صفة النزول وحرف نصوصها إلى نزول الملك أو بنزول أمره[5] ويحرف حديث النزول إن لفظ الحديث «يُنْزِل»[6].

انظر ما بين أبي حنيفة والكوثري فأبو حنيفة يثبت صفة النزول بلا كيف والكوثري يعطل ويحرف تحريفاً لفظياً ومعنوياً.

٥- يثبت الإمام أبو حنيفة - رحمه الله تعالى - يدين حقيقتين لله تعالى تليقان به تعالى لا تشبهما أيدي المخلوقين يدل على هذا قوله: «وله يد ووجه، كما ذكره الله تعالى في القرآن من ذكر الوجه واليد فهو له صفات

---

(١) تعليقات الكوثري على كتاب الأسماء والصفات ص٤٠٥-٤٠٦، وكتاب تبديد الظلام ص١١١-١١٢.

(٢) تعليقات الكوثري على كتاب الأسماء والصفات ص٤٠٥-٤٠٦، وكتاب تبديد الظلام ص١١١-١١٢.

(٣) اعتقاد السلف أصحاب الحديث ص٤٢، وجلاء العينين ص٣٥٣

(٤) اعتقاد السلف أصحاب الحديث ص٤٩.

(٥) كتاب تبديد الظلام ص١١٢-١١٣.

(٦) تعليقات الكوثري على كتاب الأسماء والصفات ٤٤٩-٤٥٠.

بلا كيف»[1]. وقال كذلك: «يد الله فوق أيديهم ليست كأيدي خلقه»[2].

وعطل الكوثري صفة اليدين، وحرف نصوصها إلى القدرة[3] والعناية[4].

٦- صرح الإمام أبو حنيفة أن القرآن منزل غير مخلوق فقال: «والقرآن غير مخلوق»[5].

وقال: «ونقر بأن القرآن كلام الله تعالى غير مخلوق»[6].

قال الكوثري: «إن القرآن مخلوق، وصرح بأنه ليس بينه وبين المعتزلة خلاف في كون القرآن مخلوقاً»[7].

هل عرفت أيها المسلم أن الإمام أبا حنيفة مع أئمة السنة وأن الكوثري مع ركب الجهمية القائلين بخلق القرآن!؟!

٧- لم يعرف عن الإمام أبي حنيفة - رحمه الله تعالى - القول بالكلام النفسي، بل لا يمكن أن يكون ذلك قوله، لأن أول من أحدث القول بالكلام النفسي هو ابن كلاب في عصر الإمام أحمد بن حنبل وهو بعد عصر أبي حنيفة بقرن.

لكن الكوثري عطل صفة الكلام وصرف نصوصها إلى الكلام النفسي[8] فقال: «الكلام: هو الكلام النفسي»[9].

---

(١) الفقه الأكبر ص٣٠٢.
(٢) الفقه الأبسط ص٥٦.
(٣) تعليق الكوثري على كتاب الأسماء والصفات ص٣١٤.
(٤) تعليق الكوثري على كتاب الأسماء والصفات ص٣١٧.
(٥) الفقه الأكبر ص٣٠١.
(٦) شرح وصية الإمام أبي حنيفة ص١٠.
(٧) تعليقات الكوثري على كتاب الأسماء والصفات ص٢٥١.
(٨) انظر التأنيب ص٩٦-٩٧، ١٠٧، ومقدمة كتاب تبين كذب المفتري ص١٥.
(٩) التأنيب ص٩٦-٩٧.

الآن تبين أن الكوثري قد ارتكب جريمتين الأولى: القول ببدعة القول بخلق القرآن والثانية: القول ببدعة الكلام النفسي فأربى على المعتزلة لأن بدعة المعتزلة كانت واحدة وهي القول بخلق القرآن ولكن بدعة الكوثري مركبة من بدعتين القول بخلق القرآن والقول بالكلام النفسي؛ فاعتبروا يا أولي الأبصار!

٨- صرح الإمام أبو حنيفة - رحمه الله تعالى - بسماع موسى عليه السلام كلام الله تعالى: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا ١٦٤﴾[١]. «وسمع موسى عليه السلام كلام الله تعالى كما قال الله تعالى: **﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا﴾**. وقد كان الله تعالى متكلماً ولم يكن كلم موسى عليه السلام»[٢].

لكن الكوثري لا يرى جواز سماع كلام الله تعالى، لأن كلامه تعالى عنده ليس بحرف ولا بصوت، بل هو كلام نفسي[٣].

٩- جاء عن الإمام أبي حنيفة وبعض أتباعه النهي عن أنواع من الشرك الأكبر والأصغر: كالدعاء والاستعانة بغير الله[٤]، والسجود لغير الله[٥]، والنذر لغير الله[٦]، والذبح لغير الله[٧]، واعتقاد أن الأولياء لهم تصرف

---

(١) سورة النساء، الآية: ١٦٤.
(٢) الفقه الأكبر ص٣٠٢.
(٣) تعليقات الكوثري على كتاب الإنصاف للباقلاني ص٩٥.
(٤) انظر روح المعاني ١١/٩٨، ٦/١٢٩.
(٥) انظر البحر الرائق ٥/١٢٤، وروح المعاني ١٧/٢١٣، والمرقاة شرح المشكاة ٢/٢٠٢.
(٦) انظر حاشية ابن عابدين ٢/٤٣٩-٤٤٠ والبحر الرائق ٢/٢٩٨.
(٧) تحفة الفقهاء ٣/٦٧.

في الكون مع الله[1]، أو اعتقاد أن أحداً يعلم الغيب[2]، والحلف بغير الله[3].

واعتنق الكوثري بعض الخرافات القبورية والبدع الشركية، فرأى جواز الاستغاثة بالأموات من استنزال الخيرات، واستدفاع الملمات[4]، وأن لتلك الأرواح آثاراً في أحوال هذا العالم، فهي المدبرات أمراً[5]، وأن زيارة مراقد الأولياء معدة بفيضان أنوار كثيرة منهم على الزائرين، كما يشاهدها أهل البصائر[6]، وأن تلك النفوس لما فارقت أبدانها فقد زال الغطاء، وانكشف لها عالم الغيب، **ورأى جواز بناء المساجد على القبور**، وأنه أمر متوارث، وكذا يجوز عنده الصلاة في مسجد فيه قبر رجل صالح بقصد التبرك بآثاره، **وإجابة الدعاء هناك**، وجواز زيارة القبور للبركة بها والدعاء عندها، فيستجاب لهم[7]، ويجوز عنده إيقاد السرج والشموع على القبور تعظيماً لروح الولي المشرقة على تراب جسده كإشراق الشمس على الأرض، إعلاماً للناس أنه ولي، ليتبركوا به، ويدعوا عنده فيستجاب لهم[8].

١٠- جاء في كلام الإمام أبي حنيفة التوسل المشروع وهو الذي قام على جوازه الدليل من الشرع كما في قوله: «ولا ينبغي لأحد أن يدعو الله

---

(١) البحر الرائق ٢/ ٢٩٨.
(٢) الفتاوى الهندية ٦/ ٣٢٣-٣٢٦، والبحر الرائق ٣/ ٨٨، ٥/ ١٢٤.
(٣) البحر الرائق ٥/ ١٢٤.
(٤) كتاب تبديد الظلام ص١٦٢، ومقالات الكوثري ص٣٨٥.
(٥) كتاب تبديد الظلام ص٦٢.
(٦) كتاب تبديد الظلام ص١٦٢، ومقالات الكوثري ص٣٨٦.
(٧) مقالات الكوثري ص١٥٦-١٥٨.
(٨) مقالات الكوثري ص١٥٦-١٥٧.

إلا به، والدعاء المأذون فيه المأمور به ما استفيد من قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾[١] ...»[٢].

وجاء في كلامه النهي عن التوسل غير المشروع وهو ما لا دليل عليه من كتاب أو سنة، فقد قال: «لا ينبغي لأحد أن يدعو الله إلا به، وأكره أن يقول: بمعاقد العز من عرشك، أو بحق خلقك»[٣].

وقال: «يكره أن يقول الداعي: أسألك بحق فلان، أو بحق أنبيائك ورسلك، وبحق البيت الحرام، والمشعر الحرام»[٤].

والتوسل عند الكوثري في اللغة والشرع هو التوسل بذات الولي وشخصه في حضوره، وغيبته، وبعد موته[٥]، فهم يسمعون النداء بعد الموت[٦]، وأن التوسل بدعاء الحي وطلب الدعاء من المتوسل به ليس من التوسل لا في اللغة ولا في الشرع[٧]، وجوز نداء الرسول، ﷺ، بعد موته لتفريج الكربات[٨]، وأن الفرق في التوسل بالنبي، ﷺ، في حياته وبعد مماته مأخوذ من اليهود[٩].

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٨٠.

(٢) الدر المختار ٦/ ٣٩٦، ٣٩٧.

(٣) شرح الفقه الأكبر ص١٩٨.

(٤) شرح العقيدة الطحاوية ص٢٣٤، إتحاف السادة المتقين ٢/ ٢٨٥، شرح الفقه الأكبر ص١٩٨.

(٥) مقالات الكوثري ص٣٧٨-٣٧٩، ٣٨٦.

(٦) مقالات الكوثري ص٣٨٠.

(٧) مقالات الكوثري ص٣٧٨-٣٧٩، ٣٨٦.

(٨) مقالات الكوثري ص٣٨٩-٣٩١.

(٩) كتاب الظلام ص١٥٥-١٥٦.

١١- الإيمان عند الإمام أبي حنيفة: تصديق وإقرار، فقد جعل الإقرار باللسان ركناً من الإيمان[١].

أما الكوثري فالإيمان عنده هو العقد الجازم[٢].

والأعمال خارجة عن حقيقة الإيمان عنده[٣]، وهو بهذا موافق الإمام أبا حنيفة، لكنه خالفه في جعل الإقرار خارجاً عن الإيمان.

وبهذا فارق الكوثري الإمام أبا حنيفة والتحق بالمرجئة الغلاة.

١٢- الإمام أبو حنيفة - رحمه الله تعالى - يعظم علماء السلف، ولا يؤذيهم بسب أو غمز أو لمز، قال - رحمه الله تعالى: «يجيب عطاء بن رباح لما سأله من أي الأصناف أنت؟ **فأجاب**: أنا ممن لا يسب السلف، ويؤمن بالقدر، ولا يكفر أحداً بذنب، فقال له عطاء: عرفت فالزم»[٤].

ولكن الكوثري تناول السلف بالإيذاء وقد تقدمت أقواله في موقفه من أئمة السلف، فارجع إليها.

قلت: وهذا عن أعظم الفروق فالإمام أبو حنيفة من السلف ويحب السلف ولا يسبهم، أما الكوثري فهو جامع لأنواع من بدع الجهمية والقبورية والمرجئة، وقد نصب العداء التام لأئمة السنة ووقع في أعراضهم ولحومهم وسبهم وشتمهم بل كفرهم وحكم عليهم بالوثنية كما حكم على كتبهم بأنها كتب الشرك والكفر والوثنية كما تقدم نصوصه[٥].

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية ص٤٢ بتعليق الألباني.

(٢) التأنيب ص٦٠، ٦٦.

(٣) التأنيب ص٦٠، وتعليقات الكوثري على كتاب التنبيه ص٤٨، والفرق بين الفرق ص١٢٣.

(٤) تاريخ بغداد ١٣/ ٣٣١.

(٥) انظر ما سبق في ص ٢٨٩ وما بعدها.

وبعد هذا العرض نصل إلى نتيجة واقعية وهي أنه ليس كل من انتسب للإمام أبي حنيفة يعد موافقاً له في الاعتقاد.

فقد يكون حنفيا في الفروع جهميا او مرجئا أو قبوريا وثنياً، معتزلياً في الاعتقاد وكهذا الكوثري كما صرح به العلامة اللكنوي[1].

---

(١) انظر الرفع والتكميل ١٧٨ الطبعة الأولى و ٣٨٥/ الطبعة الثالثة وأقره أبو غدة الكوثري.

الخاتمة

بعد عرض عقيدة الكوثري في التوحيد والإيمان وبيان موقفه من عقيدة السلف وأئمة السنة **نخلص إلى النتائج التالية:**

١ - لم يسلك الكوثري في العقيدة مسلك الوحي ولم ينهج نهجه؛ لأنه يتأول النصوص على خلاف ظاهرها.

والقول بالتأويل يعتبر محاولة لتكييف الصفة على نحو ما غير ظاهر، بينما كان منهج القرآن والسنة هو إثبات وجود الصفة كما وردت لا إثبات كيفيتها، لأن الكيف هو التأويل الذي لايعلمه إلا الله، فترك الوحي، واتباع الرأي، والتأويلات الفاسدة، عزل للكتاب والسنة كمصدرين للهداية في واقع الحياة، وليس بعد الهداية إلا الغواية، قال تعالى: ﴿**فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ**﴾[1].

٢ - أن الكوثري لم يفهم من نصوص الصفات الشرعية إلا ما يليق بالمخلوقين، وهذا خلاف ما فطر الله عليه العباد من أنه ليس كمثله شيء، لا في ذاته، ولا في صفاته، ولا في أفعاله، والكلام في الصفات فرع عن الكلام في الذات، فكما أن ذاته لاتشبه سائر الذوات، فكذلك صفاته لاتشبه سائر الصفات.

٣ - أن اتهام الكوثري لأهل السنة بالتجسيم والتشبيه والوثنية هو اتهام باطل، شنيع، ويلزم منه القول بأن الله تعالى أنزل لعباده نصوصاً في القرآن، يحرم الأخذ بظاهرها دون أن يرشدهم إلى تحريم ذلك، ودون أن يعرف رسوله والمؤمنين **كيف يفسرون هذه النصوص،** وكيف يفهمون معانيها الحقيقية،

---

(١) سورة يونس: الآية (٣٢).

وذلك لأننا لانجد في القرآن والسنة ما يحرم الأخذ بالظاهر، أو يوجب التأويل الكلامي.

وهذه اللوازم التي يدعونها لاتلزمنا نحن، وإنما تلزم من أخبرنا بهذه الأسماء والصفات، وهو الله ورسوله، فهل يجرءون على رمي الله ورسوله بما يرموننا به، **سبحانك هذا بهتان عظيم!**

٤ - **أن الغلو في الأشخاص** أو في المذاهب يؤدي إلى التعصب والبعد عن الجادة الصحيحة والصراط المستقيم، والعصبية المذهبية ليست بمحمودة، بل هي مذمومة في الدين، والغلو في الأعمال من أكبر عوامل الابتداع في الدين.

٥ - **أن الكوثري رمى غيره - وهم براء - بالوثنية وبما هو فيه؛ فهو** يدعو إلى الخرافات القبورية والبدع الشركية: كالاستعانة بالأموات في استنزال الخيرات واستدفاع الملمات، وأن تلك الأرواح لها آثار في أحوال هذا العالم، فهي المدبرات أمراً، وأن تلك النفوس لما فارقت أبدانها فقد زال الغطاء عنها وانكشف لها عالم الغيب، وما هذا إلا دعوة صريحة إلى الشرك والوثنية. فهو في هذا كله كمن قال رمتني بدائها وانسلت.

٦ - **أن دفاع الكوثري عن الإرجاء ودعوته إلى اعتقاده** قول خطير، إذ أن الإرجاء من أخطر المذاهب لأنه انحراف في الإيمان الذي تبنى عليه الشريعة بأقوالها وأفعالها.

وللأسف كان لدعوة الكوثري وغيره للإرجاء والتعطيل والقبورية أثر ملموس؛ فقد بدأت تتسرب هذه المعتقدات الإرجائية والجهمية والقبورية الفاسدة إلى بعض المجتمعات والتجمعات الإسلامية. ولاسيما المتعصبين من الحنفية كالديوبندية وغيرهم.

ولهذا نقول: إن نداء بعض الدعاة المعاصرين بالسكوت عنها وعدم كشفها، للتفرغ للعدو المشترك الخارجي، مخالف لهدى السلف، فإن السلف كانوا يردون على الأعداء الداخلية من الجهمية والمرجئة والقبورية وغيرهم مع الرد على العدو الخارجي وكل هذا من الجهاد في سبيل الله تعالى.

وادعاء بعضهم أن عقائد المرجئة والجهمية انقرضت في هذا الزمان خلاف الحقيقة ومجانب للصواب لأن هؤلاء الفرق المبتدعة التي كانت في القديم موجودة في عصرنا هذا بكثرة كاثرة بل أشكروا أولئك وأكثر.

فلابد من مقاومة هذه المعتقدات بكشفها للناس والتحذير منها، والرد على أهلها، والله المستعان.

٧ - **تطاول الكوثري على علماء الأمة وأئمة السنة بالإيذاء**، وقد حرم الله سبحانه وتعالى أن يؤذي المؤمن أخاه المؤمن بسب أو شتم أو غيبة أو همز ولمز، فقال تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾[١] فتوعد الله الهماز الذي يعير الناس، ويطعن عليهم بالإشارة، وكذا اللماز الذي يعيبهم بقوله بالويل وهو واد في جهنم يسيل فيه صديد أهل النار وقيحهم، فمن آذى المؤمنين فقد أثم إثماً مبيناً.

قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾[٢]. فالوعيد الشديد والإثم الأكيد في حق من يؤذي أحداً من المؤمنين عموماً بسبب أو شتم ونحو ذلك فكيف بأذية علماء الأمة وأئمة السنة فالإثم أبلغ، والجرم أعظم.

---

(١) سورة الهمزة: الآية (١).

(٢) سورة الأحزاب: الآية (٥٨).

المقارنة بين الإمام أبي حنيفة والكوثري في التوحيد والإيمان أظهرت أنهما مختلفان في غالب مسائل الاعتقاد.

وفي الختام أقول:

إن مقتضى كلام الفلاسفة أن الرب عدم محض ليس له اسم ولاصفة، واتحادية الصوفية جعلوا الرب - عز وجل - عين كل شيء، فهو كل كائن، حتى فرعون، وإبليس هو الله، تعالى الله عما يقولون علوًا كبيراً، وحلولية الصوفية جعلوا الله في كل شيء فهم أخبث من النصارى لأن حلول النصارى مقيد وحلول هؤلاء الزنادقة مطلق.

ومقتضى مقالات أهل الكلام من المعتزلة والماتريدية والأشعرية يعتقدون أن الله تعالى لا داخل العالم ولا خارجه ولا متصل به ولا منفصل عنه ولا فوق العالم ولا تحته ولا أمامه ولا خلفه ولا يمينه ولا شماله فوصفوا الله تعالى بصفات معدوم محض بل بصفات ممتنع بحت ولهذا يسميهم شيخ الإسلام أهل الجحود والانكار وبسبب تناقضهم واضطرابهم يلزمهم أن الرب تارة موجود وتارة معدوم، فبعضهم يثبت له صفات ينفيها آخرون، وتارة يثبت له بعضهم صفات وجود ثم يعود فينفيها، وهكذا فهم مختلفون في مقالاتهم، ومتناقضون، وكلهم يدعي أن صريح العقل معه.

والصواب الذي عليه أهل الحق أن النصوص الشرعية لم تأت بمحالات العقول، إنما أتت بمحارات العقول، فالعقول قد تتحير في تفسير شيء، لكنها لاتحيله، ولايمكن وجود تناقض بين صحيح النقل وصريح العقل، والواجب على العاقل أن يقفل عند حدود ما ورد في القرآن والسنة، ولايزيد عليهما، فذلك هو طريق السلامة والهدى.

ثم لقد آن الأوان أن ينبذ المسلمون علم الكلام وراء ظهورهم، فلم

يتعبدهم الله به، ولم نره يوماً كان سبباً في هداية ضال أو تعليم جاهل، بل هو الجهل والضلال بعينه، وهو خلاف الطريق التي أرشدنا الله إليها ورسوله، وطريقة مبتدعة لتعليم العقيدة، وكذلك لب العقيدة على طريقة المتكلمين مشحون بالضلالات، ولم يتعبدنا رب العباد بمذهب النسفي أو الإيجي أو الآمدي أو الكوثري، بل بما ورد في الكتاب والسنة، آن الأوان لترجع العقيدة غضة طرية كسالف عهدها، حينئذ فقط تنصلح أحوال المسلمين، وما أجدرنا أن ندعو الله حينئذ فيستجيب لنا.

والله أسأل أن يكون هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، ويوفقنا جميعاً للاهتداء بكتابه والسير على سنة رسوله، ﷺ، والله من وراء القصد، وهو حسبنا ونعم الوكيل، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

فهرس الآيات

الآية	السورة	الصفحة
	(طه)	
٥	(الرحمن على العرش استوى)	٢٧٢
	(الأنبياء)	
٢٥	(وما أرسلنا من قبلك من رسول)	٢٦٢
	(الروم)	
٣١-٣٢	(ولاتكونوا من المشركين من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً)	٢٦٢
	(الأحزاب)	
٥٨	(والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات)	٣٠٩
٧٠	(يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديداً)	٢٦١
	(سبأ)	
٤٠	(ثم يقول للملائكة أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون)	٢٦٢
	(فصلت)	
٣٧	(ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر)	٢٦٢
	(النجم)	
١٩-٢٠	(أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى)	٢٦٢
	(الهُمزة)	
١	(ويل لكل همزة لمزة)	٣٠٩

فهرس أطراف الأحاديث

فهرس المصادر والمراجع

١- إتحاف السادة المتقين للزبيدي ط بيروت.

٢- اعتقاد أئمة أهل الحديث للإسماعيلي تحقيق د. محمد عبد الرحمن الخميس.

٣- الأسماء والصفات للبيهقي ط دار إحياء التراث العربي بيروت.

٤- الأعلام للزركلي - الطبعة الخامسة ١٩٨٠ - دار العلم للملايين - بيروت.

٥- البحر الرائق شرح كنز الدقائق لابن نجم المصري ط سعيد كمبني كراتشي.

٦- تأنيب الخطيب للكوثري ط - دار الكتب العلمية - بيروت ١٤٠١.

٧- تاريخ بغداد أو مدينة السلام للحافظ أبي بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي ط - بيروت - الكتاب العربي.

٨- تبديد الظلام المخيم من نونية ابن القيم لمحمد بن زاهد الكوثري وهو تعليقاته - على السلف الصقيل للسبكي ط - الأولى - مطبعة السعادة مصر.

٩- ترجمة الكوثري - لأحمد خيري - مطبوع مع مقدمة مقالات الكوثري.

١٠- الترحيب بنقد التأنيب للكوثري - مطبوع في آخر التأنيب ط - دار الكتاب العربي - بيروت.

١١- التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد للحافظ، ابن عبد البر ط - وزارة الأوقاف الإسلامية المغرب،

١٢- التوحيد للبخاري مع شرحه فتح الباري - ط - المكتبة السلفية.

١٣- تعليقات الكوثري على كتاب الأسماء والصفات ط - دار التراث العربي - بيروت.

١٤- تعليقات الكوثري على كتاب الإنصاف للباقلاني ط - الثاني مؤسسة الخانجي مصر ١٣٨٢هـ.

١٥- تعليقات الكوثري على تبيين كذب المفتري لابن عساكر ط - دار الكتب العلمية - بيروت.

١٦- تعليقات الكوثري على ذيول تذكرة الحفاظ للإمام الذهبي ط - دار التراث العربي بيروت لبنان.

١٧- تعليقات الكوثري على كتاب الفرق بين الفرق ط - القاهرة - مصر.

١٨- الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح لشيخ الإسلام ابن تيمية مطابع المجد.

١٩- حاشية ابن عابدين المسمى رد المحتار - الطبعة الثانية - دار الفكر - بيروت ١٣٩٩هـ.

٢٠- الحجة للتيمي الأصبهاني ط - دار الراية - الرياض - ط الأولى.

٢١- الحموية (الفتاوى الحموية الكبرى لابن تيمية - مطبعة المدني - المؤسسة السعوددية - مصر ١٤٠٣هـ.

٢٢- خطط المقريزي (المواعظ والاعتبار - لذكر الخطط والآثار) لتقي الدين أبي العباس أحمد بن علي المقريزي - دار صادر بيروت.

٢٣- الدر المختار لعلاء الدين الحصكفي ط - دار الفكر - بيروت ١٣٩٩هـ.

٢٤- روح المعاني من تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني للعلامة محمود الآلوسي ط - دار التراث بيروت.

٢٥- الرد على الجهمية للإمام أبي سعيد عثمان بن سعيد الدارمي - الطبعة الرابعة ١٤٠٢ - المكتب الإسلامي - بيروت.

٢٦- الرد على نونية ابن القيم هو تبديد الظلام.

٢٧- سنن الترمذي محمد بن عيسى - تحقيق أحمد شاكر ط - مصطفى البابي الحلبي - مصر.

٢٨- سير أعلام النبلاء تصنيف الإمام شمس الدين محمد الذهبي ط - مؤسسة الرسالة ١٤٠٢.

٢٩- شذرات الذهب في أخبار من ذهب لأبي الفلاح عبد الحي بن العماد الحنبلي - دار المسيرة - بيروت.

٣٠- شرح الأمالي للقارىء - ط - دار السعادة تركيا.

٣١- شرح السنة للإمام أبي محمد الحسين بن مسعود البغوي ط - المكتب الإسلامي ١٣٩.

٣٢- شرح العقيدة الطحاوية ط - دار البيان - دمشق ١٤٠٥هـ وكذلك أحلت إلى ط - المكتب الإسلامي - بيروت.

٣٣- شرح الوصية لملا حسين الإسكندر ضمن الرسائل السبعة ط - دائرة المعارف العثمانية حيدر آباد - الهند ١٤٠٠هـ.

٣٤- الشريعة للآجري ط - دار الكتب العلمية - بيروت ١٤٠٣هـ.

٣٥- صحيح مسلم للإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري - نشر وتوزيع إدارة البحوث العلمية والإفتاء ١٤٠٠هـ.

٣٦- الصواعق المرسلة بن القيم ط - دار العاصمة - مصر - الرياض - الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ.

٣٧- الضوء اللامع لأهل القرن التاسع للسخاوي شمس الدين محمد عبد الرحمن ط - مكتبة الحياة بيروت.

٣٨- عقيدة السلف أصحاب الحديث ط - الدار السلفية - الكويت.

٣٩- العرش - لابن شيبة ط - الكويت.
٤٠- العقائد السلفية لابن حجر آل بوطامي -قطر.
٤١- فتح الباري لابن حجر العسقلاني ط - دار السلفية - مصر.
٤٢- الفتاوي الهندية المعروفة بالفتاوي عالمكيرية ط - الثالثة - إحياء دار التراث بيروت.
٤٣- الفرق بين الفرق - ط - مصر.
٤٤- الفقه الأبسط للإمام أبي حنيفة تحقيق الكوثري ط - مطبعة الأنوار القاهرة ١٣٦٨هـ.
٤٥- الفقه الأكبر للإمام أبي حنيفة مع شرحه للقارىء ط - دار الكتب العلمية - بيروت.
٤٦- مجموع فتاوي ابن تيمية - جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد بن قاسم - نشر الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء ١٣٩٨.
٤٧- مقالات الكوثري ط - مطبعة الأنوار القاهرة ١٣٨٨.
٤٨- مكانة أهل الحديث للدكتور - ربيع بن هادي المدخلي ط - مصر.
٤٩- مناقب الإمام أحمد لابن الجوزي ط - مكتبة الخانجي - القاهرة - الطبعة الأولى.
٥٠- المنهاج في شعب الإيمان للحليمي - ط - دار الفكر بيروت.
٥١- نقص المنطق لشيخ الإسلام ابن تيمية ط - مكتبة السنة المحمدية - القاهرة.

الفصل الثاني:

العقد الفريد
في التعقبات على جوهرة التوحيد
وشرحها تحفة المريد

تأليف

د. محمد بن عبدالرحمن الخميس

١ - ص ٣٠ زعمه أن الله أحيا أبوي النبي ﷺ ثم أسلما.

أقول هذا باطل من وجوه:

الأول: أن هذا قول بلا علم وقد قال تعالى **﴿ولا تقف ما ليس لك به علم﴾** (الإسراء: ٣٦).

الثاني: أن هذا من خرافات الصوفية ومن تجهم المتكلمة لأنهم قالوا: ثبت ذلك بالكشف[١].

الثالث: أن هذا بنى على حديث باطل موضوع، وهو ضعيف حتى باعترافهم[٢].

الرابع: أن العجب من هؤلاء المعطلين: أنهم لا يأخذون بنصوص الكتاب والسنة بحجة أنها ظنية وأنها أخبار آحاد ولكنهم يقبلون الأحاديث الموضوعة عدة أبواب مهمة في مسائل العقيدة.

نعوذ بالله من هذا التناقض الواضح الفاضح؟؟.

الخامس: أن هذا مصادم لحديث صحيح: «إن أبي وأباك في النار» رواه مسلم.

ص ٣٣ - ٣٤. الطعن في صحة إيمان المقلد.

أقول: القول بعدم صحة إيمان المقلد. أو الطعن في صحة إيمانه - كل ذلك من وساوس المتكلمين:

(١) انظر تحفة المريد ٣٠

(٢) انظر تحفة المريد ٣

ولذلك أوجبوا على الناس النظر والاستدلال.

مع أن الله تعالى ورسوله ﷺ لم يوجبا ذلك على الناس.

والحق صحة إيمان المقلد، وأن أول واجب في الإسلام هو:

شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله.

كما هو في حديث معاذ حين أرسله إلى اليمن.

وقد صرح شيخ الإسلام بأن النبي ﷺ لم يدع أحد إلى النظر والاستدلال على وجود الصالح.

بل دعاهم إلى الشهادتين، وأن هذا مما اتفق عليه أئمة الدين.

وأن القرآن ليس فيه أن النظر أول الواجبات ولا فيه إيجاب النظر على أحد وإنما فيه الأمر بالنظر لمن لم يحصل له الإيمان إلا به وهذا أصح الأقوال فقول هؤلاء المتكلمة بأن أول واجب هو القصد إلى النظر هو في الأصل كلام المعتزلة. فهذا مخالف لما أجمع عليه أئمة الدين ولما تواتر عن سيد المرسلين وعلم بالاضطرار من دين الإسلام[١].

٣ - ص ٣٦/ ٣٧ ذكر أن أول واجب هو المعرفة أي معرفة الله.

أقول: ذكر الشارح اثنا عشر قولاً في ما هو أول واجب وافتاء أن أول واجب مقصداً هو المعرفة، ووسيلته هو النظر والقصد إليه. انظر ص ٣٧ - ٣٨.

(١) درء التعارض ٨/٦ - ١.

وكل هذه الأقوال باطلة.

لأن الله تعالى لم يبعث أحدا من رسله وأنبيائه بهذا.

وإنما بعثهم بتوحيد الألوهية وشهادة أن لا إله إلا الله.

وقد ورد في حديث معاذ قوله ﷺ:

(فليكن أول ما تدعوهم إليهم عبادة الله)[1].

وقد صرح كثير من الفضلاء بأن أول واجب هو شهادة أن لا إله إلا الله، لا النظر ولا لقصد إلى النظر ولا شك كما هي مزاعم أهل الكلام المذموم)[2].

٤ - ص ٤٠ ذكر قول الغزالي:

(ليس في الإمكان أبدع مما كان).

أقول: هذا باطل من وساوس أهل الكلام؛ فإن فيه شائبة نسبة العجز إلى الله تعالى مع أن الله تعالى لا يعجزه شيء وهو على كل شيء قدير.

ولم يكن الغزالي وغيره في حاجة إلى أن يتكلم بمثل هذا الكلام الذي لا فائدة فيه؛

بل هو من مفاتيح الشر والوساوس. فالصواب أن يقال: إن الله حكيم لا يخلو فعله من الحكمة، فهذا العالم الموجود بالنسبة إلى حكمة الله تعالى ووضع كل شيء في موضعه أبدع شيء،

---

(١) البخاري ٢/ ٥٢٩ ومسلم ١/ ٥١.

(٢) انظر مجموع الفتاوي ٢/ ١٢ - ١٤ ودرء التعارض ٨/ ٥ - ١٥ وعمدة القارى ٨/ ٢٣٥ وشرح الطحاوية ١٥ - ١٧ وشرح الفقه الأكبر للقاري ١٥ - ١٧.

مع اعترافنا وعقيدتنا بأن الله تعالى لا يعجزه شيء، وأنه على كل شيء قدير.

٥ - في ص ٤٩: قال: إن الإيمان مخلوق.

أقول: هذا من بدع أهل الكلام ومن كلماتهم المجملة التي لم يتفوه بها سلفنا الصالح.

والحكم في مثل هذه الكلمات عدم الحكم عليها نفيا أو اثباتا بل لابد من التفصيل فيها وبعد تبين مراد قائلها.

وبعد ذلك يرى إن كان المراد حقا قبل وإلا رد مع أن التقييد بالكلمات المأثورة هو المنهج[١] كقول كثير من أهل الكلام: إن الله لا مكان له ولا محدود ولا هو في جهة ولا يتبعض ولا يتجزأ ولا يحل فيه الحوادث ولا فيه الانفعال ونحو ذلك من المصطلحات التي هي تمهيد لتعطيل كثير من الصفات، وهذه الكلمات المجملة هي أصل بلاد هؤلاء المتكلمين المعطلين.

قال الإمام ابن القيم:

يا قوم أهل بلائكم اسماءكم	ينزل بها الرحمن في سلطان
والذنب ذنبكم قبلتم لفظها	في غير تفصيل ولا فرقان
وهي التي اشتملت على أمرين من	حق وأمر واضح البطلان
سميتم، عرش المهيمن حيّزا	والاستواء تحيزا بمكان

إلى آخر ما قاله ابن القيم[٢].

---

(١) انظر التدمرية ٦٥ - ٦٨ ومجموع الفتاوى ٣/٤١-٤٢ وشرح الطحاوية ٢٢٢-٢٢٦.

(٢) انظر النونية ١٦١.

وبناء على هذه القاعدة:

نقول: القول بالإيمان مخلوق أو غير مخلوق من بدع أهل الكلام؛ لأنه كلام مجمل لا يدرى منه قصد القائل.

فإن قصد القائل أن المؤمن به - وهو القرآن - مخلوق - أو أسماء الله وصفاته مخلوقة.

فهذا كفر؛ لأن المصدر قد يراد به المعقول، كاللفظ بمعنى الملفوظ والخلق بمعنى المخلوق وإن قصد القائل أن المراد في الإيمان - هو فعل العبد (المعنى المصدري) فهو حق؛

لأن العبد لجميع أجزائه وأفعاله وصفاته مخلوق.

٨ - في ص ٥١:

قوله (فتحصل أن المعتمد أن الإيمان هو التصديق فقط؛ وأن النطق شرط في إجراء الأحكام الدنيوية).

أقول: هذا باطل:

لأن يستلزم: أن من صدق بقلبه ولم يقر بلسانه طول حياته.

ولا يصلي ولا يصوم، ولا يقول: لا إله إلا الله، ولا يقول: محمد رسول الله - يكون مؤمنا عندالله ناجيا في الآخرة، ولا يكون مخلدا في النار ويعد من المؤمنين، ويكون من أهل الجنة.

وهذا اللازم باطل؛ فالملزوم مثله في البطلان، كما أنه يلزم أن يكون أمثال هرقل وأبا طالب -

مؤمنين ناجين يوم القيامة. لأنهم كانوا مصدقين بقلوبهم. غير أنهم لم يقروا بالشهادتين.

٩ - قوله في ص ٧١ - في تعريف الكلام:

(فقال أهل السنة: [«كلام الله»] صفة أزلية قائمة بذاته تعالى ليست بحرف ولا صوت.

منزه عن التقدم والتأخر والإعراب والبناء، ومنزه عن السكوت النفسي بأن لا يدبر في نفسه الكلام مع القدرة عليه، ومُنزه عن الآفة الباطنية، بأن لا يقدر على ذلك كما في حال الخرس والطفولية.

وقالت الحشوية وطائفة سموا أنفسهم بالحنابلة.

كلامه تعالى هو الحروف والأصوات المتوالية المترتبة..).

أقول: على هذه العبارة مؤاخذات:

الأولى: أن تعريف الكلام بأنه نفسي بدون حرف ولا صوت إلى آخره - ظاهر البطلان.

لأن الشيء الذي ليس بحرف ولا صوت -

لا يسمى كلاما لا في اللغة ولا في الشرع ولا في العقل ولا في العرف.

فهذا القول باطل عقلا ونقلا ولغة وعرفاً.

الثانية: أن أول من عرف الكلام بهذا التعريف هو ابن كلاب (٢٤٢)هـ. فلم يعرفه قبله أحد من بني آدم على الاطلاق.

الثالثة: أنه قد كان التنازع بين أهل السنة وبين أهل البدع في هذا القرآن العربي فكان أهل السنة يقولون: هذا القرآن العربي هو بعينه من كلام الله تعالى حقيقة بحرف وصوت وأنه غير مخلوق.

وكان أهل البدعة يقولون: هذا القرآن العربي مخلوق وأنه ليس كلام الله على الحقيقة وإن سمي كلام الله لأن الله تعالى قد خلقه نحو بيت الله وناقة الله وروح الله.

فلما جاء ابن كلاب أحدث بدعة أخرى وهو القول بالكلام النفسي فتوجه لرد عليه هاتان الطائفتان أهل السنة وأهل البدعة جميعا لأنه قد خرج على إجماع الفريقين فرموه عن قوس واحد.

الرابعة: أن القائلين بالكلام النفسي متفقون مع القائلين بخلق القرآن على أن هذا القرآن العربي مخلوق، فهم كلهم معطلة، وقد كان السلف يكفرون القائلين بخلق القرآن مع كون النزاع في هذا القرآن العربي كما سبق.

الخامسة: أن القائلين بالكلام النفسي أخس حالا من القائلين بخلق القرآن.

لأنهم أحدثو بدعة أخرى - هي القول بالكلام النفسي - مع البدعة السابقة الجهمية - وهي القول بخلق القرآن -.

السادسة: أن الكلام النفسي غير منافٍ للسكوت والخرس والطفولة.

فإن الساكت والأخرس والطفل لهم كلام نفسي، لأن «الأخرس ليس له كلام لفظي لعدم قدرته على الكلام اللفظي.

السابعة: أن القول بالكلام النفسي ليس قولا لأهل السنة إطلاقاً.

بل هو قول ابن كلاب فهو أول من أحدثه. فكيف يقول: إن هذا قول أهل السنة. بل هذا قول أهل البدعة بلا ريب.

الثامنة: رمى أهل الحديث والسنة والأثر من الحنابلة وغيرهم من أصحاب الحديث الطائفة المنصورة الفرقة الناجية، بأنهم حشوية.

وهذه جرأة عظيمة جدا.

بل هذا من علامات أهل البدع عامة والجهمية والزنادقة خاصة، فإن أهل البدع قديما وحديثا يسمون أهل الحديث حشوية ونابتة ومشبهة وغيرها من الألقاب الشنيعة ظلما وعدوانا وزورا وبهتانا.

قال الإمام أبو حاتم الرازي (٢٧٧هـ):

علامة أهل البدع الوقيعة في أهل الأثر، وعلامة الزنادقة تسميتهم أهل الأثر «حشوية» يريدون بذلك إبطال الأثر، وعلامة الجهمية تسميتهم أهل السنة «مشبهة»[(١)].

وقال أحمد بن سنان القطان: ليس في الدنيا مبتدع إلا وهو يبغض أهل الحديث[(٢)].

التاسعة: أن قوله: (الكلام النفسي هو مذهب أهل السنة) كذب محض تقول بهت على السلف أهل السنة فإن أئمة السنة قد صرحوا بأن هذا القرآن العربي وهذه الآيات العربية كآية الكرسي ونحوها - هو بعينه كلام الله تعالى، وأنه غير مخلوق. وإليكم نصوص بعض أئمة الإسلام على ذلك:

١-٤- قال الطحاوي عن الأئمة الثلاثة أبي حنيفة وأبي يوسف ومحمد رحمهم الله: (إن القرآن كلام الله انه بدا بلا كيفية قولا... بالحقيقة)[(٣)].

٥- وقال ابن المبارك: (من قال: «إنني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني» مخلوق فهو كافر)[(٤)].

---

(١) اصل السنة ٤١، روى عنه اللالكائي في شرح اصول الاعتقاد ٢/ ١٧٩، والصابوني في عقيدة السلف ٥-١، وذكره الذهبي في العلو ١٣٩.

(٢) رواه الصالح في عقيدة السلف ١٠٢، والخطيب في شرف أصحاب الحديث ٧٣، وانظر تذكرة الحفاظ ٢/ ٥٢١، والسير ٢/ ٢٤٥، والطبقات للسبكي ٢/ ٦.

(٣) الطحاوية مع شرحها ١٧٩.

(٤) رواه الدارمي في الرد على الجهمية (١) وأبو داود في مسائله ٢٦٧ وعبد الله بن أحمد في السنة ١/ ١١٠-١١١ وذكره البخاري تعليقا في خلق أفعال العباد ١٤-١٥، وانظر درء التعارض ٥/ ٣٠٥.

٦- وذكر للإمام يحيى بن سعيد القطاني (١٩٨هـ):

أن قوما يقولون القرآن مخلوق.

فقال: (كيف يصنعون بـ «قل هو الله أحد»، كيف يصنعون بقوله: «إنني أنا الله لا إله إلا أنا» يكون مخلوقاً)؟[١].

٧- قال الإمام أبو يوسف:

(ناظرت أبا حنيفة ستة أشهر فاتفق رأينا على أن من قال: القرآن مخلوق - فهو كافر)[٢].

أقول هذا النص صريح في هذا القرآن العربي المؤلف من السور والآيات التي هي بحرف وصوت.

وأما حمله على الكلام النفسي فباطل وتحريف وتقوّل، لأن القول بخلق القرآن لم يكن موجودا بعد في زمن هؤلاء الأئمة وأول من أحدثه في الدنيا هو ابن كلاب (٢٤٢هـ).

الحاصل أن هذا التعريف للكلام الذي ذكره صاحب الجوهرة وشارحها وغيره من الماتريدية والأشعرية باطل بالمرة.

وأن القول بالكلام النفسي من أبطل الباطل وأن هؤلاء الماتريدية والأشعرية بما فيهم صاحب الجوهرة وصاحب التحفة - مبتدعة جهمية معطلة محرفة بدليل المؤاخذة الآتية.

---

(١) رواه عبدالله بن أحمد في السنة ١/١٥٩ وأبو حاتم الرازي كما في العلو للذهبي ١١٤ وذكره البخاري معلقا جزما محتجا به في خلف أفعال العباد ١٨.

(٢) رواه ابن ابي حاتم كما في العلو للذهبي ١١٢ وانظر كنز الوصول ٣-٤ وشرحه كشف الأسرار للبخاري ١/٩ وإكفار الملحدين للكشميري ٣٩-٤٠.

العاشرة: أن صاحب الجوهرة وشارحها صاحب التحفة من أجهر القائلين بخلق القرآن بدون حياء جهارا دون إسرار.

لأن صاحب التحفة قال في ص ٧٣:

(وقد أضيف له تعالى كلام لفظي كالقرآن، فإنه كلام الله قطعا، بمعنى أنه خلقه في اللوح المحفوظ).

مع قوله في حكاية مذهب المعتزلة في ص٧١: (وقالت المعتزلة: كلامه هو الحروف والأصوات الحادثة وهي غير قائمة بذاته، فمعنى كونه متكلما عندهم: أنه خالق للكلام في بعض الأجسام).

أقول: أنت ترى أيها المنصف طالب الحق أنه لافرق بين مذهب المعتزلة وبين مذهب الأشعرية والماتريدية في القرآن فكلهم يعتقدون ان هذا القرآن العربي مخلوق قد خلقه الله تعالى في اللوح المحفوظ أو في جسم آخر وأنه ليس كلام الله على الحقيقة.

غير أن المعتزلة يقولون:

إن هذا القرآن هو كلام الله ولكنه مجازا كبيت الله وناقة الله وروح الله ولا يقرون بالكلام النفسي وأما الأشعرية والماتريدية فهم يعتقدون أن هذا القرآن العربي مخلوق وأنه ليس كلام الله على الحقيقة وأنه كلام الله مجازا لأنه دال على كلام الله الحقيقي وهو الكلام النفسي فامتاز الماتريدية والأشعرية عن المعتزلة ببدعة القول بالكلام النفسي.

وأما القول بأن القرآن مخلوق وأنه ليس كلام الله على الحقيقة فهم جميعا قائلون بذلك والله المستعان على ما يصفه الجهمية المعطلة قديما وحديثا.

١٠- وقال في ص٧٢:

(ومع كون اللفظ الذي نقرؤه حادثا لا يجوز أن يقال: القرآن حادث وإلا في مقام التعليم. . .).

أقول: اعلم أيها المسلم: أن قول القائل القرآن حادث، أو غير حادث - من ألفاظ أهل الكلام المذموم وهي ألفاظ مجملة تحتمل حقا وباطلا، فلا يجوز قبولها ولا ردها قبل إبانة قصد قائلها فإن كلمة «الحادث» تطلق في مصطلح أهل الكلام بمعنى المخلوق فمعنى قولهم: «القرآن حادث»: أي مخلوق، لأن كل حادث عندهم - مخلوق.

و«الحادث» يطلق أيضا على أثر متجدد، والتجدد أعم من المخلوق، فكل مخلوق متجدد حادث وعكسي، لأنه يجوز أن يكون حادثا -بمعنى أنه متجدد - ولا يكون مخلوقا كأفراد كلام الله تعالى، فكلام الله تعالى نوعه قديم، ولكن أفراده حادث بمعنى أنه متجدد، لأن الله تعالى لم يزل متكلما ولا يزال متكلما.

مع أن كلامه تعالى بنوعه وأفراده. كله غير مخلوق وأنه من صفات الله تعالى. فبناء على هذا الاصطلاح يجوز أن يقال: «القرآن حادث» أي «متجدد».

لأن القرآن ليس كل كلام الله تعالى، بل هو بعض كلام الله تعالى وكلام الله تعالى كلا وبعضا من صفات الله تعالى، وصفات الله تعالى غير مخلوقة، كما أنه تعالى غير مخلوق فالله سبحانه بذاته وصفاته غير مخلوق.

وما سوى الله تعالى من الكون كله مخلوق بذاته وصفاته.

١١- قوله في ص٩١:

- (وكل نص أوهم التشبيه أوله أو فوض)

مع قوله: مذهب السلف والخلف أن المتشابه معروف عن ظاهره.

أقول: هذا الكلام فيه عدة أباطيل جهمية وطامات للمعطلة الأشعرية والماتريدية، وهو بيت القصيد للمبتدعة.

الباطل الأول: جَعْلُ نصوص الكتاب والسنة نصوصاً توهم تشبيه الله تعالى بخلقه.

وهذا في الحقيقة كفر في نفسه، لأن الله تعالى لم يرسل الرسل ولم ينزل الكتب إلا للإرشاد والتبيين ولمعرفة الله تعالى ولمعرفة توحيده وحقوقه سبحانه وتعالى، فكيف يتصور أن نصوص الكتاب والسنة توقع الناس في التشبيه الذي هو كفر في نفسه. فلو كانت نصوص الكتاب والسنة موهمة للتشبيه لكان ترك الناس بلا رسالة خيرا من إرسال الرسل وإنزال الكتب التي نصوصها توهم التشبيه[١].

الباطل الثاني: الدعوة إلى تأويل نصوص الصفات بقوله: «أوله».

فإن مقالة التأويل في الحقيقة مقالة الجهمية المعطلة، وليست هي مقالة سلف هذه الأمة البتة، فإن سلف هذه الأمة لم يسلكوا مقالة التأويل بل أثبتوا الله تعالى ما دلت عليه نصوص الكتاب والسنة من أسماء الله تعالى وصفاته.

على أن التأويل في الحقيقة تحريف للنصوص. غير أنهم سموا التحريف تأويلا لتنفق سلعتهم بهذه التسمية[٢].

---

(١) انظر الحموية ٢٠-٢٣ ومجموع الفتاوى ٥/ ١٥-٢٠، ومجموعة الرسائل الكبرى ١/ ٤٣٢-٤٣٥.

(٢) انظر عقيدة السلف للصابوني ٤ والحموية ١٤ ومجموع الفتاوى ٥/ ٩-١٠ والصواعق المرسلة ١/ ٢٩٦-٣٠٩، وشرح الطحاوية ٢٣٢، ٢٠٤.

الباطل الثالث: الدعوة إلى بدعة «التفويض» التبدع الكلامي.

فإن التفويض من هؤلاء المبتدعة - هو التفويض في المعنى والكيف جميعا.

وهذا التفويض باطل بالمرة، وهناك تفويض آخر وهو تفويض سني سلفي، وهو التفويض في الكيف ودون المعنى.

وهذا هو مذهب السلف. وأما التفويض في المعنى والكيف جميعا هو مذهب المفوضة الكلامية الجهمية المعطلة.

وهذا التفويض باطل من وجوه:

الأول: أنه كذب على السلف وتقول عليهم فإن السلف لم يكونوا مفوضة على هذا المعنى. بل هم كانوا يعرفون معاني نصوص الصفات، وإنما كانوا يفوضون في الكيف فقط.

كما قال امام دارة الهجرة: الاستواء معلوم والكيف مجهول.

الثاني: أن المفوض جاهل بصفات الله تعالى. والمطلوب أن نعرف الله تعالى بأسمائه وصفاته. فكيف يعقل أن يكون المرء المسلم جاهلا بالله وبأسمائه وصفاته.

الثالث: أن المفوض مجهل للسلف، لأنه يعتقد أن السلف جهلة بالله وبأسمائه وصفاته على أن السلف كانوا من أعلم الناس بالله وصفاته تعالى.

الرابع: أن المفوض معطل نافٍ للصفة غير مثبت لها فهو خليط لعامة المعطلة المؤولة.

فالمفوض أخو المؤول في عدم اثبات ما دل عليه النص من صفات الله تعالى.

غير أن المفوض لا يثبت معنى آخر للنفي ولا للصفة لأنه يعتقد أن المعنى الذي يدل عليه النص غير مراد، لأنه يستلزم التشبيه.

فالمؤول مشبه أولا ومعطل ثانيا ومحرف ثالثا ومشبه رابعا.

أما المفوض فهو مشبه أولاً لأنه يظن أن ظاهر النص تشبيه، ومعطل ثانيا لأنه ينفي ما دل عليه النص من الصفة لاعتقاده أنه غير مراد، فهو نافٍ ومعطل للمعنى لا مثبت. ولكنه غير مؤول فليس بمحرف للنص لأنه لا يثبت معنى آخر، لأنه يفوض في المعنى والكيف جميعا فيقع في الجهل بصفات الله تعالى كما أنه يقع في تجهيل السلف لظنه أن هذا هو مذهب السلف، وهو كاذب عليهم.

ولكن المفوض أيضا يقع في التشبيه آخرا لأنه لا يصف الله تعالى بما وصف به نفسه أو وصف به رسوله ﷺ فلا يثبت له العلم ولا الكلام، فيشبه الله تعالى بالعجماوات والجمادات التي لا تتكلم.

فيقع المفوض في أقبح التشبيه.

الباطل الرابع: هو جعل مذهب المفوضة المبتدعة مذهبا للسلف وهذا في الحقيقة كذب صريح عليهم وتقول محض عليهم وتجهيل لهم لأن هذا التفويض المبتدع ليس من مذهب السلف في شيء.

الباطل الخامس: هو جعل نصوص الكتاب والسنة المحكمات الواضحات والصريحات المبينات الدالة على صفات الله تعالى - متشابهات.

مع أن هذا النوع من النصوص في غاية الوضوح والتبيان والإحكام والصراحة.

فهي لا تحتمل المعنى الباطل فلا تحتمل إلا المعنى الحق، وليس فيها ما يدل على تشبيه الله تعالى بخلقه.

وليست هي متشابهات البتة لا في اللفظ ولا في المعنى.

الباطل السادس: هو قوله:

(إن المتشابه مصروف عن ظاهره).

فهذا القول في غاية البطلان،

لأنه حرف اللفظ عن ظاهره المتبادر إلى الأذهان تحريف محض، وتبديل النص عن معناه الذي دل عليه النص لغة وعرفا وشرعاً.

إلى معنى آخر بعين - تحريف وتخريف،

بل هذا فتح للباب بمصراعيه إلى الزندقة والالحاد والباطنية.

إذ ليس للتأويل ولا للعرف حد محدود يوقف عنده فكل من أراد أن يؤول النص إلى مايريد يستطيع أن يؤوله حسب مزاعمه وهذا إبطال للتخاطب والتفاهم.

الباطل: السابع: أن تأويل صفة إلى صفة أخرى نحو تأويل «اليد» إلى «القدرة».

تعطيل محض وإبطال الصفة إليه، وهو عين مذهب الجهمية المعطلة.

لأن «اليد» صفة لله تعالى بلا كيف، و«القدرة» صفة أخرى له تعالى بلا كيف فتغير صفة «اليد» لصفة «القدرة» إبطال لصفة «اليد» وتعطيل لها.

ولهذا قال الإمام أبو حنيفة رحمه الله:

«ولايقال يده قدرته فإن فيه إبطال الصفة، وهو مذهب أهل القدرة والاعتزال»[١].

١٢ - قوله في ص ٩٢:

مذهب السلف في الفوقية أنهم يقولون فوقية لانعلمها.

أقول هذا باطل وزور في القول وتقول على السلف. وكذب عليهم وافتراء

---

(١) انظر الفقه الأكبر بشرح القاري.

فإن السلف لم يقولوا: لانعلم فوقية الله تعالى.

بل قالوا: نعلم فوقية الله تعالى، وأنه سبحانه فوق عباده عال على العرش بائن عن خلقه، ولكن لانعلم كيفية ذلك.

كما قال الإمام مالك: الاستواء معلوم والكيف مجهول.

فدل هذا على أن صفة الاستواء معلوم في اللغة والعرف والشرع وهو الارتفاع والصعود، والاستقرار على العرش كما فسره بذلك أئمة التفسير من السلف كمجاهد وأبي العالية.

ولكن لاندري كيفية ذلك.

فالمعنى معلوم ولكن الكيف مجهول.

فهذه قاعدة مطردة في باب الصفات كلها فكذلك الفوقية.

فهي معلومة لغة وهي الارتفاع والعلو ولكنها مجهولة الكيف.

ولأئمة السلف نصوص محكمة صريحة دالة على أنهم كانوا يعرفون معنى الفوقية لله تعالى.

وأنهم كانوا يعتقدون أن الله تعالى فوق عرشه عال على الكون بائن من خلقه.

وإليكم بعض نصوصهم على ذلك:

أ - قال الأوزاعي: كنا والتابعون متوافرون نقول إن الله تعالى فوق عرشه[(١)].

ب - وقال مالك: الله في السماء وعلمه في كل مكان[(٢)].

---

(١) انظر الماتريدية ٢/ ٢٢٠.

(٢) انظر الماتريدية ٢/ ٥٦٣ - ٥٦٥.

ج - وقال حماد بن زيد: إن الجهمية يحاولون أن يقولوا ليس في السماء اله[1].

أ - وقال ابن المبارك:

نعرف ربنا فوق سبع سموات على العرش استوى بائن من خلقه،

ولا نقول كما قال الجهمية إن ههنا في الأرض، بل [نقول إنه] على العرش[2].

هـ - وقال عبد الرحمن بن مهدي:

إن الجهمية أرادوا أن ينفوا أن يكون الله قد كلم موسى وأن يكون على العرش. أرى أن يستتابوا فإن تابوا وإلا ضربت أعناقهم[3].

و - لقد حبس هشام الرازي أحد أئمة الحنفية رجلاً في تهمة التجهم،

فجيء به إليه ليمتحنه فقال له:

أتشهد أن الله على عرشه بائن من خلقه؟

قال: لا أدري ما بائن من خلقه؟

فقال هشام ردوه إلى الحبس فإنه لم يتب.[4].

ز - ولقد سئل الإمام علي بن المديني سيد الحفاظ.

لما قيل له: ما قول أهل السنة والجماعة؟

---

(١) انظر الماتريدية ٢/٥٦٥.
(٢) انظر الماتريدية ٢/٤٧٧.
(٣) انظر الماتريدية ٢/٤٧٨.
(٤) انظر الماتريدية ٢/٤٧٩.

فقال: (يؤمنون بالرؤية وبالكلام وأن الله عز وجل فوق السماوات على عرشه استوى)[1].

ح - وقال قتيبة بن سعيد:

هذا قول الأئمة في الإسلام والسنة والجماعة.

نعرف ربنا في السماء السابعة وعلمه في كل مكان.[2].

ط - ومثله قول أحمد بن حنبل[3].

وأقوال أخرى كثيرة لأئمة الاسلام كلها تدل دلالة قاطعة لاتحتمل النقيض:

أنهم كانوا يعرفون الفوقية ومعناها ويجهلون كيفيتها.

وكانوا يعتقدون أن الله فوق العالم بائن من خلقه فكيف يصح أن يقال إن السلف لايعرفون الفوقية.

١٣ - قوله في ص ٩٢:

(فالسلف يقولون: استواء لانعلمه).

أقول: هذا الكلام منكر في القول وزور وتقول على السلف افتراء عليهم فإن السلف لم يكونوا جاهلين بصفة استوائه تعالى على عرشه،

فكان الإستواء معلوم المعنى والمراد عندهم

---

(١) انظر الماتريدية ٢/ ٤٧٩.

(٢) انظر الماتريدية ٢/ ٤٧٩.

(٣) انظر الماتريدية ٢/ ٤٨٠.

غير أن كيفيه كان مجهولا عندهم.

والعجب عن هذا الرجل (صاحب تحفة المريد: البيجوري)

أنه قد ذكر قول الإمام مالك:

«الاستواء غير مجهول والكيف غير معقول».

فكيف يمكن له أن يقول:

«السلف يقولون: استواء لانعلمه»؟!؟

نعوذ بالله من هذا التناقض الواضح!!

بل الحق الذي لايحتمل النقيض أن الاستواء كان معلوما عند السلف وكانوا يعرفون معناه وكانوا يفسرون الاستواء بعدة تفاسير.

كالعلو، والصعود والارتفاع والاستواء ونحوها.

وكل هذه المعاني تتضمن علو الله تعالى على عرشه وفوقيته على خلقه أجمعين.

وفيما يلي بعض نصوص السلف في تفسير الاستواء ومعانيه:

أ - قال أبو العالية:

استوى: ارتفع[1].

ب - وهكذا فسره الربيع بن أنس: ارتفع[2].

---

(١) صحيح البخاري ٦/٢٦٩٨، وانظر عمدة القاري ٢٥/١١١، وفتح الباري ١٣/٤٠٥.

(٢) تفسير ابن جرير ١/١٩١.

ج - وقال أبو عبدة: ظهر على العرش وعلا عليه[1].

د - استدل البخاري بقول مجاهد وأبي العالية: أن المراد علا وارتفع[2].

هـ - وأقره الحافظ[3].

و - والبدر العيني[4].

ز - قال ابن جرير وأولى المعاني: علا عليهن وارتفع[5].

ح - وهكذا قال ابن عبد البر[6].

ط - وقال البغوي: قال ابن عباس وأكثر مفسري السلف ارتفع[7].

أقول: لقد ثبت بهذه النصوص لهؤلاء السلف أنهم كانوا يعرفون الاستواء ويفهمون معناه وأن معناه العلو والاستواء والصعود والاستقرار.

فكيف يقول هؤلاء الاشعرية الجهمية:

إن السلف لم يكونوا يعرفون معنى الاستواء اللهم إن هذا لبهتان عظيم.

ولهذا قال الإمام ابن القيم:

فلهم عبادات عليها أربع   قد حصلت للفارس الطعان

---

(١) مجاز القرآن ١/ ٢٧٣، ٢/ ١٥، ٥٧.

(٢) صحيح البخاري ٦/ ٢٦٩٨.

(٣) فتح الباري ١٣/ ٤٠٥.

(٤) عمدة القاري ٢٥/ ١١٢.

(٥) تفسير ابن جرير ١/ ١٩٢.

(٦) التمهيد ٧/ ١٣١ - ١٣٢.

(٧) معالم التنزيل ١/ ٥٩، ٢/ ١٦٥.

وهي استقر وقد علا وكذلك ار تفع استوى ما فيه من نكران
وكذلك قد صعد الذي هو رابع وأبو عبيدة صاحب الشيباني
يختار هذا القول في تفسير أدرى من الجهمي بالقرآن[1]

فهل يستطيع أحد بعد هذا أن يقول: إن السلف لا يعرفون الاستواء ولا يفهمون معناه؟!؟

١٤ - قوله في ص ٩١.

(طريقة السلف أسلم، وطريقة الخلف أعلم وأحكم.

أقول: هذا القول باطل أشد البطلان.

لأنه لا يمكن أن يكون الخلف المنهوكين الحيارى أعلم وأحكم من السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار.

والحقيقة أن هذه سخرية واستهزاء بأصحاب رسول الله ﷺ يعنى لهم بإحسان الذين عرفوا الدين وقاموا به وقام لهم والذين هم كانوا أعلم بالله من هؤلاء الحيارى والذين هم كانوا أحق بالهدى، والذين هم كانوا أحكم إيمانا وإذعانا ويقينا عن هؤلاء الشكاكة أهل الكلام المذموم.

فقول هؤلاء الشكاكة في الحقيقة طعن فاحش في السلف وتجهيل لهم[2].

قال الحافظ ابن حجر عن بعض أهل العلم ولعله شيخ الإسلام[2].

---

(١) وراجع النونية ٦٧ - ٦٨. وانظر مجاز القرآن ١/ ٢٧٣، ٢/ ١٥.

(٢) لأن هذا النص الذي ذكره الحافظ سنتبينه بنص شيخ الإسلام في الحموية ١٣ - ١٦، وضمن لمجموع الفتاوي ٥/ ٨ - ١٢.

قول من قال: «طريقة السلف أسلم وطريقة الخلف أحكم».

ليس بمستقيم.

لأنه ظن أن طريقة السلف مجرد الإيمان بألفاظ القرآن والحدث من غير فقه في ذلك.

وأن طريقة الخلف هي استخراج معاني النصوص المعروفة عن حقائقها بأنواع المجازات.

جمع هذا القائل بين الجهل بطريقة السلف والدعوى في طريقة الخلف؛ وليس الأمر كما ظن بل السلف (كانوا) في غاية المعرفة بما يليق بالله تعالى وفي غاية التعظيم له والخضوع لأمره والتسليم لمراده وليس من سلك طريقة الخلف واثقا بأن الذي يتأوله هو المراد.

ولا يمكنه القطع بصحة تأويله)[1].

١٥ - قال في ص ٩٣:

(ومما يوهم الجسمية قوله تعالى: ﴿**وجاء ربك**﴾

فالسلف يقولون مجيء لا نعلمه، والخلف يقولون المراد وجاء عذاب ربك أو أمر ربك الشامل للعذاب).

أقول: هذا الكلام في طيه طامات كبرى عديدة وإليكم بيانها:

الطامة الأولى: قوله: إن هذه الآية توهم الجسمية.

---

(١) فتح الباري ١٣/٣٥٢.

وهو قول من لا يؤمن بالله ورسله ولا يقدر قدر كتابه فإن الله تعالى لم ينزل كتابه إلا للإرشاد لا للغواية وهذا الإيهام مناف للإرشاد.

فليس في الآية إيهام التشبيه.

بل في الآية: أن الله تعالى يجيء يوم القيامة كما هو يليق بشأنه.

فهؤلاء الماتريدية والأشعرية وسلفهم من المعطلة الجهمية لم يعرفوا حقيقة التشبه. فإثبات الصفات عندهم تشبيه.

مع أن سلف هذه الأمة أمثال أحمد بن حنبل واسحق بن راهويه والترمذي والحافظ بن حجر وغيرهم صرحوا بأن التشبيه أن يقال يد الله كيد خلقه وسمعه كسمع خلقه وقدمه كقدم خلقه.

وأما إذا قال لله يد وسمع لا كسمع خلقه فهذا ليس بتشبيه[1].

الطامة الثانية: تقول على السلف حيث قال:

إن السلف لم يكونوا يعرفون مجيىء الله ولا يفهمون معناه.

وهذا منكر في القول وشهادة الزور على السلف، فإن السلف كانوا أعلم هذه الأمة بكتاب الله تعالى وبمعانيه ولم يكونوا جاهلين بمراد الله تعالى وأيضاً لا يعقل أن يخاطب الله تعالى بتلك الآيات الكثرة التي لا يفهمها أحد ولا يعرف أحد معانيها.

قال الإمام المفسر محمود الألوسي وابنه نعمان الألوسي:

(وقيل إن السلف بعد نفي ما يتوهم من التشبيه. يقولون: لا ندري ما معنى ذلك أو الله أعلم بمراده.

---

(١) انظر سنن الترمذي ٣/ ٤٢ والفتح ١٣/ ٤٠٧، ودرء التعارض ٢/ ٣٢.

واعترض (عليه) بأن الآيات والأخبار المشتملة على نحو ذلك (الصفات) كثيرة جداً ويبعد غاية البعد أن يخاطب الله تعالى ورسوله العباد فيما يرجع إلى الاعتقاد بما لا يدرى معناه)[1].

الطامة الثالثة: تحريف قوله تعالى: ﴿وجاء ربك﴾

بأن المراد منه:

مجيء العذاب أو الأمر على حذف المضاف فالله لا يأتي وإنما الآتي هو العذاب أو الأمر.

وهذا باطل بالمرة؛ لأنه مخالف لعقيدة السلف في اتيان الله تعالى يوم القيامة على ما يليق بشأنه سبحانه وتعالى«: وإليكم مثالا واحداً من نصوص السلف في ذلك:

قال الإمام أبو عثمان الصابوني رحمه الله المعروف بشيخ الإسلام (٤٤٩)هـ (قرأت لأبي عبدالله بن أبي حفص البخارى وكان شيخ بخارى في عصره بلا مدافعة.

وأبو حفص كان في كبار أصحاب محمد بن الحسن الشيباني، قال أبو عبدالله - اعنى ابن أبي حفص هذا:

سمعت محمد محمد بن الحسن الشيباني يقول قال حماد بن أبي حنيفة.

قلنا لهؤلاء (الجهمية). أرأيتم قول الله عز وجل: **﴿وجاء ربك والملك صفا صفا﴾**.

---

(١) روح المعاني ١٥٩/١٦ وجلاء العينين ٣٧٢.

قالوا: أما الملائكة فيجيئون صفا صفا،

وأما الرب فإن «ندري ما عني بذلك!

ولا ندري كيف مجيئه.

فقلت لهم: إنا لم نكلفكم أن تعلموا كيف جيئته؟ ولكن نكلفكم أن تؤمنوا بمجيئه، أرأيتم من أنكر أن الملك يجيىء صفا صفا ما هو عندكم؟

قالوا: كافر يكذب

قلت: فكذلك إن أنكر أن الله سبحانه يجيىء[1].

فهو كافر مكذب)[2].

١٦ - قوله: في ص ٩٣:

(ومما يوهم الجسمية حديث الصحيحين).

«ينزل ربنا كل ليلة إلى سماء الدنيا..).

فالسلف يقولون نزول لا نعلمه، والخلف يقولون: المراد ينزل ملك ربنا).

أقول: هذا الكلام في طيه عدة أباطيل وبيانها كما يلي:

الباطل الأول: زعمه أن حديث النزول يوهم الجسمية.

---

(١) في الأصفهاني: «لا يجيء» وهو غلط تصحيف متعمد للمعنى.

(٢) عقيدة السلف أصحاب الحديث للصابوني ٤٩ وضمن مجموعة الرسائل المنيرية ١/١١٨.

وهو كلام باطل؛ لأن الأحاديث الصحيحة المشتملة على صفات الله تعالى تدل على كمالاته سبحانه وتعالى ولا توهم الجسمية إطلاقاً.

لأن صفة كل شيء ما يناسبه.

فنزول الخلق ما يناسب الخلق ونزول الله تعالى ما يناسبه شأن وجلاله سبحانه تعالى.

والجهمية قديماً وحديثا يزعمون أن أحاديث النزول وغيرها تشبيه ولهذا أنكروها[1].

الباطل الثاني: زعمه أن السلف: لا يعرفون النزول ولا يعلمون معناه وهذا الزعم فاسد بالمرة لما تقدم مراد أن السلف لم يكونوا جاهلين بالله وبصفاته.

لأن الله تعالى لم يخاطب عباده بما لا يفهمون.

وإلا لم يكن كتاب الله تعالى هدى وبيانا وإرشاداً.

وفيما يلي بعض نصوص السلف التي تدل على أن السلف كانوا يعرفون صفة النزول لله تعالى ولكنهم لا يعرفون كيفيتها.

١- قال أبو حنيفة رحمه الله:

«ينزل بلا كيف»[2].

---

(١) انظر سنن الترمذي ٣/ ٤١- ٤٢، والأسماء والصفات للبيهقي ٤٥ وحجة الله ١/ ٦٣.

(٢) ذكره الصابوني في عقيدة السلف ٤٢ والبيهقي في الأسماء ٤٥٦، وابن أبي العز في شرح الطحاوية ٢٤٥، والملا على القارى في شرح الفقه الأكبر ٦٠.

٢- قال عبد الله بن المبارك:

(ينزل كيف يشاء)[١].

٣- قال فضيل بن عياض:

إذا قال لك الجهمي أنا أكفر برب ينزل.

فقل: أنا أؤمن برب يفعل ما يريد)[٢].

٤- وقال ابن معين: إذا قال لك الجهمي كيف ينزل

فقل له: كيف يصعد؟!؟[٣].

وعلق عليه الذهبي بقوله:

الكيف في الحالين منفى عن الله تعالى[٤].

الباطل الثالث:

زعمه: أن المراد نزول الملك، لا نزول الله تعالى.

وهذا باطل بالمرة.

لأن أحاديث النزول صريحة في أن المتكلم هو الله تعالى لا الملك وأن الله تعالى هو القائل من يستغفرني فأغفر له إلى آخر ذلك (الحديث القدسي).

---

(١) انظر الاسماء والصفات للبيهقي ٤٥٣ وعقيدة السلف للصابوني ٢.

(٢) اللالكائي في شرح اصول الاعتقاد ٣/٤٥٣. وانظر شرح حديث النزول ٤٢ ومجموع الفتاوي ٥/٣٧٧.

(٣) رواه ابن بطه في الإبانة كما في الاجتماع ١٤١.

(٤) العلو ١٢٩، ومختصره ١٨٨.

١٧ - في ص ٩٣:

قوله:

(ومما يوهم الجوارح قوله تعالى: «ويبقى وجه ربك».

فالسلف يقولون لله وجه لا نعلمه، والخلف يقولون: المراد من الوجه: (الذات).

أقول: هذا الكلام فيه عدة أباطيل كما يلي:

الباطل الأول: قوله أن نصوص «الوجه» توهم الجوارح لله تعالى:

وهذا باطل نهائيا؛ لأن لسلف كانوا يقرؤون هذه النصوص ولا يفهمون منها الجوارح لله تعالى. ولا يفهمون منها تشبيه وجه الله بوجوه خلقه.

فوجه الله ما هو اللائق بالله ووجه المخلوق ما هو اللائق بالمخلوق.

الباطل الثاني: زعمه أن السلف لم يكونوا يعرفون الوجه. وهو باطل زور تقول عليهم.

لأن السلف كانوا يقرؤون هذه النصوص ولم يقل أحد منهم أنه لا يفهم معناه بل السلف كانوا يفهمون معنى الوجه ولا يعرفون كيفيته.

الباطل الثالث: زعمه أن المراد من الوجه: الذات. وهذا باطل: لأن الوجه ليس معناه الذات لا لغة ولا شرعا.

نعم قد يطلق الوجه ويراد به الذات بدون شك، على عدم نفي الوجه.

وقد صرح سلف هذه الأمة أن «الوجه» صفة لله تعالى بلا كيف، لا يجوز تأويلها، فمن أولها فقد إبطال صفة الله تعالى وعطلها.

قال الإمام أبو حنيفة رحمه الله:

وله تعالى وجه ويد فالوجه واليد صفتان من صفاته تعالى بلاكيف ولا يقال يده قدرته فإن فيه إبطال الصفة، وهو مذهب أهل القدر والاعتزال.

أقول: هذه قاعدة شريفة نبه عليها سلف هذه الأمة ومنهم الإمام أبو حنيفة. وهي: أنه يجب إثبات ما جاء في الكتاب والسنة من صفات الله تعالى والايمان بها من غير تمثيل ولا تعطيل: وانه لا يجوز تأويل صفة وتفسيرها بصفة أخرى فإن هذا إبطال وتعطيل للصفة فمن أول صفة اليد بصفة القدرة، فقد أبطل صفة اليد، والواجب إثبات صفة القدرة جميعا.

فمن أول صفة الوجه بالذات ونحوها فهو معطل ومبطل مثل من أول صفة العلم بصفة الحياة مثلا، أو مثل من فسر صفة القدرة بصفة الإرادة مثلا.

١٨ قوله في ص ٩٣:

(ومما يوهم الجوارح قوله تعالى:

«يد الله فوق أيديهم».

فالسلف يقولون لله يد نعلمها، والخلف يقولون: المراد في «اليد»: القدرة.

أقول: هذا الكلام بعيد عن الحق بمراحل:

المرحلة الأولى: زعمه أن نصوص «اليد» توهم الجوارح وهذا باطل،

لأن السلف لم يفهموا منها الجوارح بل فهموا منها أن «اليد» صفة من صفات الله تعالى فالسلف كما لم يفهموا من نصوص «العلم» و«السمع» و«البصر» ونحوها - انها عواض، كذلك السلف لم يفهموا من نصوص الوجه واليدين والأصابع والقدم والساق: أنها جوارح وأعضاء.

فبطل زعم هؤلاء الجهمية أن هذه النصوص توهم الجوارح والجسمية.

المرحلة الثانية: زعمه أن السلف لم يفهموا معنى اليد. وهذا من أبطل الباطل كما سبق مرارا، فإن السلف من أعظم الناس فهما وعلما بكلام الله تعالى ومراده سبحانه وتعالى.

وكانوا أعلم الناس بالله تعالى وبصفاته، فكيف يصح أن يقال: إن السلف لم يكونوا يفهمون معاني اليد والوجه والأصابع ونحوها من الصفات، وهذا طعن في السلف وتجهيلهم وتسفيه لأحلامهم من جهة، ومن جهة أخرى طعن في الله تعالى وفي كتابه، فإنه كيف يصح أن ينزل الله تعالى كتابا لا يفهمه سلف هذه الأمة الذين هم أعلم هذه الأمة بالإطلاق.

المرحلة الثالثة: زعمه أن المراد من «اليد» القدرة، وهذا باطل أوضح البطلان فإنه عين مذهب المعطلة الجهمية.

قال الإمام أبو حنيفة رحمه الله:

وله تعالى يد ووجه فالوجه واليد صفتان من صفاته تعالى،

ولا يقال (يده) فإن فيه إبطال الصفة، وهو مذهب أهل القدر والاعتزال.[1]

---

(١) الفقه الأكبر ص٣٠٢.

أقول: انظر أخي المسلم صاحب الحق والانصاف الى هذا النص الذي يمثل مذهب السلف ويقطع دابر المعطلة!

فقد صرح الإمام أن تفسير «اليد» بالقدرة تعطيل وإبطال لصفة اليد وهو مذهب الجهمية. القدرية الاعتزالية، لأن «القدرة» صفة مستقلة من صفاته تعالى يجب الإيمان بها وإثباتها لله تعالى بلا كيف.

وأما «اليد» فهي صفة أخرى مستقلة لله تعالى يجب الإيمان بها وإثباتها لله تعالى بلا كيف.

فلا يجوز تفسير صفة بصفة أخرى بل يجب الإيمان بها جميعا واثباتها جميعا لله تعالى بلا تمثيل ولا تعطيل.

١٩- قوله في ص ٩٣:

ومما يوهم الجوارح حديث: «إن قلوب بني آدم كلها كقلب واحد بين اصبعين من أصابع الرحمن»[١].

فالسلف يقولون: لله أصابع لا نعلمها.

والخلف يقولون: المراد من قوله «بين اصبعين من أصابع الرحمن»: بين صفتين من صفاته، والمراد من هاتين الصفتين: القدرة والإرادة.

أقول: هذا الكلام فيه مفاسد متعددة:

المفسدة الأولى: زعمه أن نصوص «الأصابع» توهم الجوارح وهو باطل كما سبق غير مرة.

---

(١) أخرجه مسلم (٢٤٦٥) وغيره.

والمفسدة الثانية: زعمه أن السلف لا يفهمون معنى الأصابع، وقد سبق تقرير فساده غير مرة.

والمفسدة الثالثة: قوله: إن المراد من «الاصبعين» الصفتان، وهما «القدرة والإرادة».

وهذا في الحقيقة تحريف شنيع وتخريف فظيع، لأن تفسير الاصبعين بالصفتين غير صحيح شرعا ولغة وعرفا فلم يرد الشرع ولا اللغة والعرف على أن الاصبعين هما القدرة والإرادة.

ولو كان المراد من الاصبعين هو القدرة والإرادة لما كان لتخصيص قلوب بني آدم وجه، فإن العالم كله تحت قدرة الله وإرادته.

٢٠- قوله في ص٩٤:

إن مذهب أهل السنة أن القرآن بمعنى الكلام النفسي كلام الله تعالى غير مخلوق، وأن القرآن بمعنى الكلام اللفظي مخلوق ليس بكلام الله.

أقول: هذا الكلام باطل من وجهين:

الوجه الأول: هذا باطل وكذب وتقول على السلف وافتراء لأن مقالة السلف هي أن القرآن كلام الله غير مخلوق والمراد بها هذا القرآن العربي اللفظي، ولم يخطر ببالهم القول بالكلام اللفظي، لأن القول بالكلام النفسي لم يقله أحد قبل ابن كلاب فكيف يحمل قول السلف إن القرآن كلام الله غير مخلوق، على الكلام النفسي.

بل الحق أن المراد في قول السلف: «القرآن كلام الله غير مخلوق» أمران:

الأول: أن هذا القرآن العربي هو بعينه كلام الله.

والثاني: أن هذا القرآن اللفظي العربي غير ملخوق.

وكلا هذين الأمرين رد على الجهمية المعطلة.

الوجه الثاني: أنه لا فرق بين قول هؤلاء الأشعرية والماتريدية، وبين قول الجهمية الأولى: لأنهم جميعا قائلون بخلق القرآن.

غير أن الماتريدية والأشعرية أحدثوا بدعة القول بالكلام النفسي فمقالتهم مركبة من بدعتين:

الأولى: القول بخلق القرآن.

والثانية: القول بالكلام النفسي.

بخلاف مقالة الجهمية الأولى:

فإنها مشتملة على بدعة واحدة وهي القول بخلق القرآن.

الحاصل: أن القول بالكلام النفسي قول مبتدع في الإسلام، وكل من قال به فهو قائل بخلق القرآن التزاماً لا لزوما وإلزاما.

فلا فرق بين المعتزلة ومن يتبجح بالقول بخلق القرآن إلا في مسألة الكلام النفسي، والكلام النفسي شيء باطل لا وجود له.

٢١- قوله في ص ١٠٤ - ١٠٥:

إن العبد له كسب في الأفعال ولكنه بدون أي تأثير وبالجملة فليس للعبد تأثير ما فهو مجبور باطنا، مختار ظاهرا.

أقول: هذا مذهب عامة الأشعرية.

وهو كما ترى قول بالجبر ومذهب الجبرية، ولكن الأشعرية غيروا التعبير، فكسب الأشعرية ليس إلا جبر الجبرية لا غير. غير أن الأشعرية لا يصرحون كتصريح الجبرية.

وإذا علمت هذا فاعلم أن مذهب الأشعرية في الكسب باطل، لأنه جبر محض كمذهب الجبرية.

فالصواب أن يقال: إن الله تعالى خالق للعبد وخالق لأفعاله الاختيارية والاضطرارية كلها، ولكن الله تعالى أعطى العبد قدرة مؤثرة في اكتساب أفعاله الاختيارية باختياره، وليس العبد في ذلك مجبورا لا ظاهرا ولا باطنا، وبهذه القدرة التي أعطاها الله العبد يحاسب الله تعالى عبده فيثيبه بأفعاله الحسنة ويعذبه بأفعاله السيئة، لأنها تصدر منه باختياره وقدرته فالأفعال خلق لله ومقدورة للعبد، وهذا هو مذهب أهل السنة، وأما ما ذكره الأشعرية فهو في الحقيقة قول الجبرية وهو قول مبتدع، وجبر متطور.

٢٢- قوله في ص ١١٤:

إن النبي ﷺ قد رأى ربه في الدنيا.

أقول: هذا باطل.

فقد قالت عائشة رضي الله عنها من حدثك بأن النبي ﷺ رأى ربه فقد أعظم على الله الفرية[١]، وهي كانت أعلم بحال النبي ﷺ من غيره.

وقد قال رسول الله ﷺ: (نور أنّى أراه)[٢].

فالحق أن النبي ﷺ لم ير ربه في الدنيا.

---

(١) أخرجه مسلم (١٧٧) وغيره.

(٢) أخرجه مسلم (١٧٨) وغيره.

٢٣- قوله في ص١١٥ :

إن المؤمنين سيرون ربهم في الآخرة بأبصارهم ولكن بدون مقابلة جهة وتحيز وغير ذلك.

أقول: لقد قال الأشعرية هذا الكلام فرارا عن إلزام المعتزلة حيث ألزمهم أنكم تقولون برؤية المؤمنين ربهم، فيلزم الرؤية أن يكون الله تعالى على جهة مقابلة للرائي، فهرب هؤلاء الأشعرية في إلزام المعتزلة وقالوا:

إن المؤمنين يرون ربهم ولكن بدون مقابلة ولا جهة.

فأضحكوا على أنفسهم العقلاء، كما أضحكوا على أنفسهم المعتزلة.

لأن القول بالرؤية بعيون الرؤوس مع نفي المقابلة قول بالمحال، ولا سفه أوضح من هذه السفاهة.

هذا من الجهة العقلية. أما من الجهة النقلية:

فإن الأحاديث صريحة بأن المؤمنين يرون ربهم من فوقهم ويطلع الله عليهم فيرفعون أبصارهم اليه فيرونه سبحانه فيفوزوا بأعظم نعمة وأكبر لذة.

فبطل زعم هؤلاء الأشعرية أن المؤمنين يرون ربهم ولكن بدون المقابلة والجهة.

وههنا جهة ثالثة تبين بطلان زعمهم:

وهي أن قول الأشعرية هذه متضمن للنفي علو الله تعالى، فقصدهم بقولهم إن الله لا يكون في مقابلة ولا جهة علو: أنه تعالى لا يكون في جهة فوق أيضا.

وهذا قول مخالف للنقل والعقل والفطرة وإجماع بني آدم ما خلا الجهمية والمعطلة ومنهم الأشعرية النافين لعلو الله تعالى.

وههنا جهة رابعة دليل على بطلان قول الأشعرية هذا:

وهذا أنهم بسبب هذه القيود والشروط جعلوا رؤية المؤمنين لربهم مستحيلة[1].

وجعلوها رؤية علمية قلبية لا رؤية بصرية.

لأن الرؤية التي لا تكون بمقابلة ولا في جهة لا تكون رؤية بصرية بل تكون رؤية علمية قلبية كما هو مذهب المعتزلة ولذلك قالوا:

يجوز للأعمى في الصين أن يرى بقة في الأندلس[2].

ولا شك أن هذه الرؤية رؤية علمية قلبية لا بصرية. ولذلك اعترف كبار الأشعرية والماتريدية بأن الخلاف بيننا وبين المعتزلة في مسألة الرؤية خلاف لفظي.

فكل على أن المراد من الرؤية رؤية علمية قلبية.

---

(١) انظر بيان تلبس الجن «٧٢-٧٨» ومجموع الفتاوى ٥/ ١٧٥ ومنهاج السنة ٢/ ٥ ط القديمة، ٣/ ٣٤٠ ط محققة.

(٢) انظر المسايرة مع المسامرة ٤١/ ٦٩.

الفصل الثالث:

نقضُ قَوْل
من تبع الفلاسفة في دعواهم
أنَّ الله لا داخل العالم ولا خارجه

بقلم:

د. محمد بن عبدالرحمن الخميّس

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين والذين اتبعوهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فلقد وقفت على كتيب للمدعو: سعيد فوده سماه: حسن المحاججة في بيان أن الله تعالى لا داخل العالم ولا خارجه.

أحيا بذلك عقيدة الفلاسفة والمعطلة الجهمية والمعتزلة والماتريدية والأشعرية وبذل جهده في إثبات أن الله تعالى لا داخل العالم ولا خارجه ولا فوقه وحاول إبطال علو الله تعالى وإنكار هذه الصفة العظيمة فأردت نقض هذه العقيدة الجهمية بإثبات علو الله تعالى على خلقه وفوقيته على عباده واستوائه على عرشه، وبينونته عن العالم من غير تكييف ولا تمثيل ومن غير تحريف ولا تعطيل وسميت هذا النقض **(نقض قول من تبع الفلاسفة في دعواهم إن الله لا داخل العالم ولا خارجه)**.

وهذا النقض يشتمل على المباحث الآتية:

المبحث الأول: في البراهين النقلية على علو الله تعالى على خلقه وأنه فوق عباده وأنه بائن عن هذا العالم.

المبحث الثاني: في إجماع بني آدم على علو الله تعالى.

المبحث الثالث: في إقامة الدليل الفطري على علو الله تعالى على خلقه وفوقيته على عباده وأنه بائن من خلقه.

المبحث الرابع: في إبطال قول الفلاسفة والمعطلة إن الله لا داخل العالم ولا خارجه.

المبحث الخامس: في نقض شبهات صاحب كتاب حسن المحاججة وزعمه أن الله لا داخل العالم ولا خارجه.

والله المستعان وعليه التكلان والله من وراء القصد وهو حسبنا ونعم الوكيل.

المبحث الأول

في البراهين النقلية على علو الله تعالى على خلقه وأنه فوق عباده وأنه بائن عن هذا العالم

لقد تواترت النصوص على علو الله تعالى في الكتاب والسنة وتنوعت ألفاظها وتوافقت على أنه سبحانه فوق عباده وذكرها أئمة السنة على أساس أنها عقيدة أهل السنة والجماعة الفرقة الناجية الطائفة المنصورة ولكني ههنا أذكر أهمها:

النوع الأول: نصوص تثبت علو الله تعالى حيث دلت على أن الله سبحانه وتعالى هو ﴿ٱلْعَلِيُّ﴾[1].

وهو ﴿ٱلْأَعْلَى﴾[2].

وهو ﴿ٱلْمُتَعَالِ﴾[3].

ولا ريب أن هذه الأسماء تدل على مطلب عظيم وهو علوه سبحانه وتعالى العلو المطلق ذاتا ورتبة وقهرا.

فهو سبحانه وتعالى عالٍ على خلقه فوق عباده ويلزم منه: أنه بائن عن هذا العالم، وإلا لم يكن فوقه. لكن التالي باطل فالمقدم مثله.

---

(١) انظر سور: البقرة (٢٥٥) والنساء (٣٤) والحج (٦٢) ولقمان (٣٠) وسبأ (٢٣، ١٢)، والشورى (٤، ٥١).

(٢) سورة الأعلى (١).

(٣) سورة الرعد ١٩.

النوع الثاني: نصوص فوقيته سبحانه وتعالى على عباده كقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ﴾[1].

أقول: هذه الآية تدل على مطلبين:

الأول: فوقية القهر والغلبة لله تعالى، دل عليه «القاهر».

والثاني: فوقية الذات لله سبحانه، دل عليه «فوق».

فحمل «الفوقية» في هذه الآية على فوقية القهر باطل، لا يخفى على من يعي ما يقول[2].

وقوله تعالى: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ﴾[3].

وهذه الآية لا احتمال فيها لأي مجاز وتأويل بوجه من الوجوه لوجود كلمة «مِنْ» المعينة للفوقية الذاتية الحقيقية[4].

النوع الثالث: نصوص كونه سبحانه في السماء. والمراد من «السماء» العلو[5].

النوع الرابع: نصوص استوائه تعالى على عرشه.

النوع الخامس: نصوص العروج إليه سبحانه وتعالى.

النوع السادس: نصوص الصعود إليه تعالى.

النوع السابع: نصوص الرفع إليه تعالى.

---

(١) سورة الأنعام (١٨).

(٢) راجع مختصر الصواعق ٢/ ٢٠٥.

(٣) سورة النحل الآية (٥٠).

(٤) راجع مختصر الصواعق ٢/ ٢٠٥، ٢٠٧.

(٥) انظر إبانة الأشعري ٢/١٠٧ والأسماء والصفات للبيهقي ٤١٠-٤١١.

النوع الثامن: أحاديث نزول الله تعالى إلى السماء الدنيا.

النوع التاسع: أحاديث معراجه ﷺ إلى ربه.

النوع العاشر: أحاديث إشارته ﷺ إلى ربه.

والدالة على أن الله تعالى فوق هذا الكون.

ومنها حديث حجة الوداع[١].

الحادي عشر: سؤال النبي ﷺ الجارية عن الله تعالى بقوله: «أين الله».

وجوابها: «في السماء».

وإقرار النبي ﷺ إياها وشهادته على إيمانها[٢].

---

(١) رواه مسلم ٢/ ٨٩٠.

(٢) رواه مسلم ١/ ٣٨١-٣٨٢، ومالك ٢/ ٧٧٦-٧٧٨ وأبو داود ١/ ٥٧٠-٥٧٢، ٣/ ٥٨٧-٥٨٨ والنسائي ٣/ ١٤-١٨ وغيرهم.

المبحث الثاني

في إجماع بني آدم على علو الله تعالى على العالم وأنه بائن عن الكون

لقد أجمعت رسل الله تعالى واتفقت كتبه المنزلة[1] بل العرب والعجم[2].

والآدميون عربهم وعجمهم مؤمنهم وكافرهم[3].

واتفقت بذلك كلمة المسلمين والكافرين[4]، على أن الله تعالى فوق هذا العالم عالٍ على عباده[5].

ولم يخالف في ذلك أحد من بني آدم إلا شرذمة من الفلاسفة والجهمية المعطلة والأشعرية والماتريدية[6].

فكلهم يشهدون بألسنتهم وفطرهم على أن الله فوق العالم وعليه فطرة المسلمين علمائهم وجهالهم وأحرارهم ومماليكهم وذكرانهم وإناثهم وأطفالهم وكل من دعا الله تعالى[7].

---

(١) غنية الطالبين ١/ ٦٣، الصواعق عن المرسلة ٤/ ١٢٧٩ ومختصر الصواعق ٢/ ٢٠٥.

(٢) تأويل مختلف الحديث ١٧٢ والتمهيد لابن عبدالبر ٧/ ١٣٤.

(٣) انظر مجموع الفتاوى ٥/ ٣٢٠، واجتماع الجيوش ٢٨٤.

(٤) رد الدارمي على بشر المريسي ٢٥.

(٥) راجع درء التعارض ٦/ ٢٠٨، ونقض المنطق ٥٢، ومجموع الفتاوى ٤/ ٦١ و٥/ ٢٧٥، والرد على الجهمية للدارمي ٢٠-٢١.

(٦) انظر إثبات العلو لابن قدامة ١٣١ ودرء التعارض ٦/ ٢٠٩، ٢٦٦ والحموية ٢٤ ومجموع الفتاوى ٥/ ٢٠، ٢٧١، وبيان تلبيس الجهمية ١/ ١٢٧، وشرح الطحاوية ٣٢٧.

(٧) التوحيد لابن خزيمة ١/ ٢٥٤ وانظر الفتاوى ٥/ ٢٧٥.

المبحث الثالث

في إقامة الدليل الفطري على أن الله تعالى فوق العالم

لقد شهدت قلوب بني آدم أن الله تعالى فوق العالم كله. ولأجل هذه الفطرة السليمة، ولأجل هذه الضرورة التي يحسونها في قلوبهم تراهم يرفعون أيديهم عند الدعاء والتضرع إلى الفوق وهكذا تتوجه قلوبهم إلى العلو لاعتقادهم وشهادة قلوبهم بأن الله تعالى فوق العالم عال على خلقه أجمعين.

وأول من صرح بهذا الدليل الفطري واستدل به على علو الله تعالى على خلقه وفوقيته على عباده:

الإمام أبو حنيفة رحمه الله[١].

كما استدل بهذا الدليل غيره من أئمة الإسلام.

كالإمام يزيد بن هارون[٢].

وابن كلاب[٣].

وابن قتيبة[٤].

والدارمي[٥].

---

(١) انظر الفقه الأبسط بشرح السمرقندي ١٦-٢٠، والفقه الأبسط بتحقيق الكوثري ٤٩-٥٢.

(٢) روى نصه أبو داود في مسائله ٢٦٢، وعبدالله بن أحمد في السنة ١١٩-١٢٠.

(٣) نقل عنه شيخ الإسلام في درء التعارض ٦/ ١٩٤.

(٤) انظر نصه في تأويل مختلف الحديث ٢٧١-٢٧٢.

(٥) انظر الرد على الجهمية له ٢٠-٢١.

وابن خزيمة[1].

والأشعري[2].

والخطابي[3].

والباقلاني[4].

وابن فورك[5].

وابن عبدالبر[6].

وغيرهم من أئمة الإسلام قبلهم وبعدهم.

فكلهم قد استدلوا على علو الله تعالى وأنه فوق العالم - بأن بني آدم يرفعون أيديهم وتتجه قلوبهم إلى جهة الفوق عند الدعاء.

فدل ذلك على أن الله تعالى فوق العالم بائن عن هذا الكون.

---

(١) انظر كتاب التوحيد له ١/ ٢٥٤.

(٢) انظر الإبانة ٢/ ١٠٧.

(٣) انظر بيان تلبيس الجهمية ٢/ ٤٣٦-٤٣٧، عن كتاب شعار الدين للخطابي.

(٤) انظر نصه في التمهيد له ٢٦٠-٢٦٢.

(٥) انظر تفسير سورة الأعلى ضمن دقائق التفسير ٥/ ٣٩، وضمن مجموع الفتاوى ٦/ ٩٠ عن كتاب ابن فورك الذي صنفه في أصول الدين.

(٦) انظر نصه في التمهيد له ٧/ ١٣٤-١٣٥.

المبحث الرابع

في إبطال زعم مصنف كتاب حسن المحاججة وقوله إن الله لا داخل العالم ولا خارجه ولا متصل بالعالم ولا منفصل عنه ولا فوقه ولا تحته ولا يمينه ولا شماله ولا أمامه ولا خلفه

اعلم أرشدك الله تعالى إلى الحق: أن قول مصنف كتاب (حسن المحاججة) بأن الله تعالى لا داخل العالم ولا خارجه ولا متصل بالعالم ولا منفصل عنه ولا فوق العالم ولا تحته ولا يمين العالم ولا شماله ولا أمام العالم ولا خلفه.

قول باطل من وجوه:

الأول: أنه مصادم لنصوص الكتاب والسنة الصحيحة، فقد تقدم أن نصوص الكتاب والسنة تواترت على أن الله تعالى فوق العالم عالٍ على خلقه فوق عباده مستوٍ على عرشه.

فلو كانت هذه العقيدة من العقائد الإسلامية - لجاء النص عليها في كتاب الله أو سنة رسول الله ﷺ بل نرى نصوصا لا تعد ولا تحصى ضد هذه العقيدة فكيف تجعل هذه العقيدة هي العقيدة الصحيحة؟!

ولم يأت نص واحد لا في الكتب السماوية ولا في أحاديث الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام. على أن الله تعالى لا داخل العالم ولا خارجه إلى آخر ذلك الهذيان.

الوجه الثاني:

أن هذه العقيدة مخالفة لعقيدة جميع الأنبياء والمرسلين وعقيدة الصحابة والتابعين وعقيدة أئمة هذا الدين، فقد تقدم أن بني آدم كلهم أجمعوا على أن الله تعالى فوق العالم وأنه عال على عرشه وأن هذه هي عقيدة أهل السنة والجماعة الطائفة المنصورة الفرقة الناجية أصحاب الحديث في القديم والحديث ولم يخالف في ذلك إلا الفلاسفة والجهمية المعطلة فكيف تعد هذه العقيدة عقيدة لأهل السنة والجماعة؟ بل هي من أعظم عقائد أهل البدع والتعطيل والتحريف.

الوجه الثالث:

أن قول صاحب كتاب (حسن المحاجة) «إن الله لا داخل العالم ولا خارجه ولا متصل به ولا منفصل عنه، ولا فوقه ولا تحته..».

مصادم لعقيدة جميع أئمة الإسلام ونصوص أعلام هذا الدين فقد صرح أئمة الإسلام بأن الله تعالى فوق عرشه عالٍ على خلقه بائن عن العالم.

وفيما يلي نماذج من نصوص بعض هؤلاء الأئمة الأعلام:

١- الإمام أبو حنيفة (١٥٠هـ)

فقد قال رحمه الله: «من قال لا أعرف ربي في السماء أو في الأرض فقد كفر وكذا من قال إنه على العرش ولا أدري العرش أفي السماء أو في الأرض. والله يدعى من أعلى لا من أسفل. لأن الأسفل ليس من وصف الربوبية والألوهية في شيء وعليه ما روى في الحديث:

«أن رجلا أتى النبي ﷺ بأمة سوداء فقال وجب علي عتق رقبة مؤمنة

أفتجزىء هذه، فقال لها النبي ﷺ: «أمؤمنة أنت؟» فقالت نعم فقال: «أين الله؟» فأشارت إلى السماء.

فقال: «أعتقها فإنها مؤمنة»[1].

أقول: تدبر أيها المسلم في نص هذا الإمام نجد فيه ما يلي:

١- تكفير الإمام أبي حنيفة لمن شك في فوقية الله تعالى على عرشه.

٢- جواز السؤال عن الله تعالى بأين.

٣- جواز الجواب عنه بأنه في السماء.

٢- إمام أهل الشام الأوزاعي (١٥٧هـ)

لقد حكى إجماع أئمة الإسلام عن الصحابة والتابعين على أن الله تعالى فوق عرشه حيث يقول: «كنا - والتابعون متوافرون - نقول: «إن الله تعالى ذكره فوق عرشه ونؤمن بما وردت السنة به من صفاته جل وعلا»[2].

٣- الإمام مالك إمام دار الهجرة (١٧٩هـ)

فقد قال: «الله في السماء وعلمه في كل مكان»[3].

---

(١) الفقه الأبسط رواية أبي مطيع البلخي بتحقيق الكوثري ٤٩-٥٢، ومع شرحه للسمرقندي ١٧. والحديث سبق تخريجه.

(٢) رواه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة ٤/ ٤٠١، وذكره البخاري معلقا في خلق أفعال العباد ٢٤، ٥.

(٣) رواه عبدالله بن أحمد في السنة ١/ ١١١، ٣٠٧، والدارمي في الرد على الجهمية ٣٣ وفي الرد على المريسي ٢٤، ١٠٣، والبيهقي في الأسماء والصفات ٤٢٧، ورواه الصابوني في عقيدة السلف أصحاب الحديث وابن قدامة في العلو ١١٧-١١٨، والذهبي في العلو ١١٠، وذكره البخاري مستدلا به على علو الله تعالى وعلى أنه في عقيدة أهل السنة والجماعة انظر خلق أفعال العباد ١٥، وصححه شيخ الإسلام في الحموية ٥٦ وضمن مجموعة الفتاوى ٥/ ١٨٤.

٤- الإمام شيخ الإسلام أحد أعلام السنة والحديث والزهد عبدالله بن المبارك (١٨١هـ)

فقد قال رحمه الله تعالى مبيناً عقيدة أهل السنة والجماعة «نعرف ربنا فوق سبع سماوات على العرش استوى بائن من خلقه، ولا نقول كما قالت الجهمية:

إنه ههنا في الأرض، بل على العرش استوى»[1].

٥- الإمام عبدالرحمن بن مهدي (١٩٨)هـ

فقد قال:

(إن الجهمية أرادوا أن ينفوا أن يكون الله قد كلم موسى وأن يكون على العرش، أرى أن يستتابوا فإن تابوا وإلا ضربت أعناقهم»[1].

٦- عالم الرى وإمام الحنفية في وقته:

هشام بن عبدالله الرازي (٢٢١هـ)

فقد حبس رجلاً في تهمة التجهم فتاب فجيء به إليه يمتحنه، فقال له:

«أتشهد أن الله على عرشه بائن من خلقه»؟

فقال ذلك الجهمي المسجون:

---

(١) رواه أبو داود في مسائله ٢٦٢ وعبدالله بن أحمد في السنن ١/١١٩-١٢٠، وصححه الذهبي وابن القيم والألباني انظر العلو ١١٨ واجتماع الجيوش ٢١٤-٢١٥ ومختصر العلو ١٦٩-١٧١، وقال شيخ الإسلام (رواه ابن أبي حاتم وغيره بأسانيد ثابتة) انظر المراكشية ٢٢ ومجموع الفتاوى ١٨٤/٥.

لا أدري ما بائن من خلقه؟

فقال هشام:

«ردوه إلى الحبس فإنه لم يثب»[1].

٧- الإمام علي بن عبدالله المديني وشيخ البخاري (٢٣٤هـ)

فقد سئل هذا الإمام:

«ما قول أهل السنة والجماعة»؟

فأجاب - رحمه الله تعالى - قائلا:

«يؤمنون بالرؤية وبالكلام، وأن الله عز وجل فوق السماوات على عرشه استوى»[2].

٨- الإمام قتيبة بن سعيد أحد أعلام الإسلام (٢٤٠هـ)

فقد قال رحمه الله تعالى مبينا عقيدة أهل السنة والجماعة:

«هذا قول الأئمة في الإسلام والسنة والجماعة: نعرف ربنا في السماء السابعة على عرشه، وعلمه في كل مكان»[3].

أقول: هذا النص من هذا الإمام في غاية من الوضوح والصراحة في

---

(١) رواه ابن أبي حاتم كما في درء التعارض ٦/ ٢٦٥ والحموية ٥٣ ومجموع الفتاوى ٥/ ٤٩ والعلو للذهبي ١٢٣ ومختصره ١٨١، ورواه الهروي في ذم الكلام (ق١٢٠/أ) كما في مختصر العلو للألباني ١٨١.

(٢) اجتماع الجيوش الإسلامية والعلو.

(٣) راجع بيان تلبيس الجهمية ٢/ ٣٨ والعلو للذهبي ١٢٨، واجتماع الجيوش ٢٣١.

بيان عقيدة أهل السنة والجماعة، وتوضيح عقيدة أن الله تعالى فوق العالم خارج عنه.

٩-١٠- الإمامان الجليلان:

أبو حاتم وأبو زرعة الرازيان:

فقد قالا: أجمع أئمة الإسلام في جميع الأمصار في الحجاز والعراق ومصر وغيرهما على إثبات صفات الله تعالى وأنه تعالى على عرشه بائن من خلقه وعلمه في كل مكان ومن قال غير هذا فعليه لعنة الله[1].

١١- إمام الأئمة محمد بن إسحاق بن خزيمة صاحب الصحيح والتوحيد (٣١١)هـ فقد قال:

(من لم يقر بأن الله تعالى على عرشه قد استوى فوق سبع سماواته بائن من خلقه) فهو كافر يجب أن يستتاب، فإن تاب وإلا ضربت عنقه، وألقي على بعض المزابل حيث لا يتأذى المسلمون والمعاهدون بنتن ريح جيفته، وكان ماله فيئا لا يرثه أحد من المسلمين، إذ المسلم لا يرث الكافر»[2].

---

(١) رواه ابن أبي حاتم في أصل السنة واعتقاد الدين ١٦٦/أ-١٦٩ مخطوط الظاهرية بدمشق مجموع رقم (١١) والمطبوع في مجلة الجامعة السلفية ببنارس في الهند سنة (١٤٠٣هـ) وأصل السنة ٣٧-٤٣ ط. دار الفرقان، ورواه من طريقه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة ١/ ١٧٦-١٨٢ وعن طريقه ابن قدامة في العلو ١٢٥-١٢٦ والذهبي في العلو ١٣٧-١٣٨، وقال شيخ الإسلام: (هذا مشهور عن الإمام عبدالرحمن بن أبي حاتم في معتقده) انظر بيان تلبيس الجهمية ٤١/٢ وانظر تهذيب السنن لابن القيم ١١٤/٧.

(٢) رواه الحاكم في معرفة علوم الحديث ٨٤ وفي تاريخ نيسابور كما قال الصابوني في عقيدة السلف أصحاب الحديث ٢٠، ورواه الصابوني عنه في عقيدة السلف أصحاب الحديث ٢٠-٢١، والهروي في ذم الكلام (٦/ ١٢٤/ ٢) كما قاله الألباني في مختصر العلو ٢٢٦ ورواه ابن قدامة في العلو، وصححه شيخ الإسلام في الحموية ٥٦ ومجموع الفتاوى ٥٢/٥، وانظر درء التعارض ٢٦٤/٦.

الحاصل: أن كثيراً من أئمة الإسلام قد كفروا الجهمية لأجل إنكارهم علو الله تعالى على عرشه وفوقيته على عباده، وقد تبين من هذه النصوص التي سقناها عن هؤلاء الأئمة الأعلام: أن العقيدة الصحيحة الإسلامية السنية: هي أن الله تعالى على عرشه فوق الخلق عال على الكون بائن عن العالم.

الوجه الرابع:

أن قول صاحب كتاب حسن المحاججة: «إن الله تعالى لا داخل العالم ولا خارجه ولا متصل بالعالم ولا منفصل عنه ولا فوق العالم ولا تحته..».

قول مستلزم لأن يكون الله تعالى معدوما بل ممتنعا، لأن بداهة العقول تشهد شهادة لا تقبل النقيض أن أي شيء يكون هذا صفته - فهو معدوم بل ممتنع البتة.

لأن أي موجود إما أن يكون داخلاً في هذا العالم أو خارجا عنه أو متصلاً بالعالم أو منفصلاً عنه أو فوق العالم أو تحته، ولا يمكن أن يكون شيء موجوداً متصلاً بالعالم ولا منفصلاً عنه ولا داخلا في العالم ولا خارجا عنه ولا فوق العالم ولا تحته.

فإن يكن هذا: فلا يكون شيئاً معدوماً بل ممتنعا.

هكذا صرح كثير من أئمة الإسلام على هؤلاء الجهمية أن قولهم مستلزم لكون الله تعالى معدوما بل ممتنعا، وإليكم نماذج من نصوص بعض أئمة الإسلام لتكون فيها عبرة.

١- قول كثير من أهل العلم في هؤلاء المعطلة والممثلة لعلو الله تعالى ولكلامه:

«المعطل يعبد عدماً والممثل يعبد صنماً، والمعطل أعمى، والممثل أعشى، ودين الله بين الغالي فيه والجافي عنه».

٢- الإمام محمد بن الحسن الشيباني (١٨٩هـ) فقد قال: (. . . ،فمن قال بقول الجهم فقد فارق الجماعة، لأنه قد وصفه بصفة لا شيء)[(١)].

٣- إمام أهل السنة أحمد بن حنبل (٢٤١هـ)

فقد قال في شرح عقيدة من أنكر علو الله تعالى: «فعند ذلك يتبين للناس أنهم لا يؤمنون بشيء»[(٢)].

٤- الإمام عبدالعزيز الكناني (٢٤٠هـ):

قال: (قال [لي أحد الجهمية]: «أقول: إن الله في كل مكان لا كالشيء في الشيء ولا كالشيء على الشيء ولا كالشيء خارجا عن الشيء ولا مباينا للشيء». [فقلت]: فقد دللت بالقياس والمعقول على أنك لا تعبد شيئاً. .»[(٣)]).

٥- أقول: لقد ذكر شيخ الإسلام هذا النص عن الكناني ثم علق عليه بقوله:

(فهذا عبدالعزيز يبين أن القياس والمعقول يوجب أن ما لا يكون في الشيء ولا خارجاً عنه - فإنه لا يكون شيئاً، وأن ذلك صفة معدوم)[(٤)].

٦- وقال الإمام ابن كلاب إمام الكلابية والأشعرية جميعا (٢٤٠هـ) في الرد على المعطلة:

---

(١) رواه اللالكائي في شرح أصول الاعتقاد ٣/ ٤٣٢-٤٣٣، وانظر الحموية ٥٤ ومجموع الفتاوى ٥/ ٥٠.

(٢) انظر الرد على الجهمية للإمام أحمد ١٠٥-١٠٦.

(٣،٤) درء التعارض ٦/ ١١٨-١١٩، ومجموع الفتاوى ٥/ ٣١٧ وبيان تلبيس الجهمية.

(وأخرج[1] من النظر والخبر قول من قال: «[إن الله] لا في العالم ولا خارج منه»، فنفاه نفيا مستويا،

لأنه لو قيل له: «صفه بالعدم» - ما قدر أن يقول فيه أكثر منه. . . ،

فإن قالوا: «لا فوق ولا تحت» - أعدموه.

لأن ما كان لا تحت ولا فوق فعدم.

فإذا قيل لهم:

«فهو لا مماس [للعالم] ولا مباثن [للعالم] - قيل لهم:

«فهو بصفة المحال. . . » قيل لهم:

«فأخبرونا عن معبودكم؟ مماس هو أم مباثن؟».

فإذا قالوا: «لا يوصف بهما».

قيل لهم:

«فصفة إثبات خالقنا كصفة عدم المخلوق، فلم لا تقولون [صريحا: إن الله] عدم». . .)[2].

أقول: نص هذا الإمام صريح في أن من قال:

إن الله لا داخل العالم ولا خارجه ولا متصل به ولا منفصل عنه، ولا فوقه ولا تحته -

فقد وصف الله بصفة العدم والامتناع.

---

(١) هكذا في الأصول، ولعل الصواب: «وخرج» من اللازم لا من المتعدي.

(٢) درء التعارض ٦/١١٩-١٢١، ومجموع الفتاوى ٥/٣١٧-٣١٩ والصواعق المرسلة ٤/١٢٤١، واجتماع الجيوش ٢٨٢-٢٨٣ من كتاب «المجرد» لابن فورك.

٧- السلطان العادل كاسر الأصنام محمود بن سبكتكين (٤٢١هـ) لما سمع ابن فورك الأشعري: ينفي فوقية الله على خلقه قال له:

«فلو أردت أن تصف المعدوم كيف تصفه بأكثر من هذا؟».

وقال هذا السلطان في الرد على ابن فورك أيضاً:

«فرق لي بين هذا «الرب» الذي تصفه وبين «المعدوم»»[١].

٨- حافظ المغرب الإمام ابن عبدالعبر (٤٦٣هـ):

قال:

«وهم [أي المعطلة][٢] نافون للمعبود [يلاشون أي يقولون: لا شيء][٣].

والحق فيما قاله القائلون بما نطق به كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وهم أئمة الجماعة»[٤].

٩- شيخ الإسلام ابن تيمية (٧٢٨هـ)

فقد رفع إليه هذا السؤال في حق الأشعرية والماتريدية والجهمية:

يا منكراً أن الإله مبائن ... للخلق يا مفتون بل يا فاتن

هب قد ضللت فأين أنت فإن تكن ... أنت المباين فهو أيضا بائن

أو قلت: لست مبائنا قلنا إذن ... بالاتحاد أو الحلول تشاحن

---

(١) مجموع الفتاوى ٣/٣٧ درء التعارض ٦/٢٥٣، والصواعق المرسلة ٤/١٢٨٧.

(٢) الزيادة مني للإيضاح.

(٣) الزيادة من الصواعق المرسلة ٤/١٢٨٩، ولم أجدها في التمهيد المطبوع.

(٤) التمهيد لابن عبدالبر ٧/١٤٥.

أو قلت: ما هو داخلٌ أو خارج هـذا يـدل بـأن مـا هـو كـائـن
إذ قـد جمعت نـقـائصـا ووصفته عدما بها هل أنت عنها ضاعن[1]
فارجع وتب من قال مثلك إنه لمعطل والكفر فيه كامن[2]

فأجاب شيخ الإسلام:

أن الذي يقول: إن الله لا داخل العالم ولا خارجه ولا فوق ولا تحت ولا مبائن عنه ولا متصل به - فقد جعل الله تعالى معدوما بل ممتنعا، وهذا اللازم لا محيد له منه.

١٠- الإمام الذهبي (٧٤٨هـ) فقد قال:

(مقالة السلف وأئمة السنة بل الصحابة والله ورسوله ﷺ والمؤمنين: وأن الله فوق سماواته..،

ومقالة الجهمية [الأولى] أنه في جميع الأمكنة، ومقالة متأخري المتكلمين [من المعتزلة والماتريدية والأشعرية] أن الله تعالى ليس في السماء ولا على العرش ولا على السماوات ولا في الأرض ولا داخل العالم ولا خارج العالم ولا هو بائن عن خلقه ولا هو متصل بهم..، قال لهم أهل السنة والأثر..:

فإن هذه السلوب نعوت المعدوم تعالى الله جل جلاله عن العدم،

---

(١) هكذا في الأصل ولم أجد مادة «ضعن» في اللغة، بالضاد المعجمة والعين المهملة ولعله: «ظاعن» بالظاء المعجمة والعين المهملة، بمعنى «السير» أو «ضاغن» بالضاد والغين. المعجمتين، بمعنى الميل راجع القاموس ١٥٦٤، ١٥٦٦.

(٢) انظر مجموع الفتاوى ٥/٢٦٧-٣٢٠.

بل هو متميز عن خلقه موصوف بما وصف به نفسه في أنه فوق العرش بلا كيف)[1].

أقول: أرجو أن يتدبر كلام هذا الإمام.

فقد ذكر في مسألة علو الله تعالى ثلاثة مذاهب:

الأول: مذهب أهل السنة والجماعة أصحاب الحديث: وهو أن الله فوق العالم بائن من خلقه عال على العرش وأن هذا هو قول الله ورسوله ﷺ وجميع المؤمنين.

والثاني: قول أصحاب جهم بن صفوان وهو أن الله تعالى في كل مكان، وهو قول الحلولية الصوفية أيضا.

والثالث: قول المعطلة كالمعتزلة والماتريدية والأشعرية وهو أن الله تعالى لا فوق العالم ولا تحته ولا داخل العالم ولا خارجه ولا متصل بالعالم ولا منفصل عنه وهو قول الفلاسفة أمثال ابن سينا والفارابي والطوسي وغيرهم من الملاحدة الزنادقة.

فقول صاحب كتاب حسن المحاجة إن الله لا داخل العالم ولا خارجه ولا فوق العالم ولا تحته ولا متصل بالعالم ولا منفصل عنه هو بعينه قول هؤلاء الفلاسفة ومن سائرهم من المعتزلة والأشعرية والماتريدية.

١١- الإمام ابن القيم رحمه الله (٧٥١هـ):

فقد قال:

فاحكم على من قال ليس بخارج   عنها ولا فيها بحكم بيان

---

(١) العلو ١٠٧، ١٩٥ مختصر العلو ١٤٦-١٤٧، ٢٨٧.

بخلافه الوجهين والإجماع والـ　　عقل الصريح وفطرة الرحمن
فعليه أوقع حد معدوم وذا　　حد المحال بغير ما فرقان
يا للعقول إذا نفيتم مخبراً　　ونقيضه؟ هل ذاك في إمكان
إذا كان نفي دخوله وخروجه　　لا يصدقان معا لذي الإمكان
إلا على عدم صريح نفيه　　متحقق ببداهة الإنسان[1]

١٢-١٥- وهكذا نرى الإمام ابن أبي العز الحنفي (٧٩٢هـ) والشوكاني (١٢٥٠هـ) ومحمود الآلوسي (١٢٧٠هـ) وحفيده محمود شكري (١٣٤٢هـ).

قد صرحوا بأن عقيدة هؤلاء المعطلة من قولهم: إن الله لا داخل العالم ولا خارجه.

مستلزمة لكون الله تعالى معدوما بل ممتنعاً.

والحاصل: أنه ثبت أن صاحب (كتاب حسن المحاجة) مخالف لعقيدة أئمة الإسلام.

الوجه الخامس:

تبين أن قول صاحب كتاب (حسن المحاجة) بأن الله لا داخل العالم ولا خارجه ليس قوله أهل الإسلام أهل السنة والجماعة بل هو قول المعطلة والفلاسفة من الذين تفلسفوا في الإسلام ولعبوا به كما لعب بولس بالنصرانية، أمثال ابن سينا (٤٢٨هـ):

---

(١) النونية ٥٥ وشرحها توضيح المقاصد ١/٣٨٦-٣٨٩، وشرحها للهراس ١/١٧٦-١٧٧، وتوضيح الكافية الشافية للسعدي ٥٨.

فقد قال:

(...، إن التحقيق الذي ينبغي أن يرجع إليه في صحة التوحيد عن الإقرار بالصانع موحدا عقد ساعي الكم والكيف والأين والمتى والوضع والتغير، حتى يعبر الاعتقاد به أنه ذات واحدة لا يمكن لها شريك في النوع أو يكون لها جزء وجودي كمي أو معنوي، ولا يمكن أن تكون خارجة عن العالم أو داخلة فيه، ولا بحيث تصح الإشارة إليه أنه هناك.

ممتنع إلقاؤه إلى الجمهور)[1].

أقول: الشاهد في كلام ابن سينا هذا هو قوله:

«أنه ذات واحدة لا يمكن أن تكون خارجة عن العالم أو داخلة فيه، ولا بحيث تصح الإشارة إليه أنه هناك».

الوجه السادس:

أن قول صاحب كتاب حسن المحاجة إن الله لا داخل العالم ولا خارجه ولا فوقه ولا تحته ولا متصل به ولا منفصل عنه رفع للنقيضين، ورفع النقيضين باطل بإجماع العقلاء.

ولقد صرح كثير من أئمة الإسلام أن قول المتكلمين: إن الله لا داخل

---

(١) الرسالة الأضحوية في أمر المعاد ٤٤-٥١ تحقيق الدكتور سليمان دنياط دار الفكر العربي بالقاهرة، مطبعة الاعتماد بمصر (١٣٦٨هـ/١٩٤٩م) الطبعة الأولى، والرسالة الأضحوية ٩٧-١٠٣، تحقيق حسن عامي ط. الموسعة الجامعية للدراسات بيروت الطبعة الثانية (١٤٠٧هـ/١٩٨٧م)، وانظر نص ابن سينا هذا في درء التعارض ٥/ ١٠-١٨، والصواعق المرسلة ٣/ ١٠٩٧-١١٠٥، ومختصر الصواعق ١/ ١٥٤-١٥٦.

العالم ولا خارجه ولا فوقه ولا تحته ولا متصل به ولا منفصل عنه» قول برفع النقيضين[1].

الوجه السابع:

أن قول صاحب كتاب حسن المحاججة: «إن الله لا داخل العالم ولا خارجه ولا متصل به ولا منفصل عنه ولا فوق العالم ولا تحته» -

قول مخالف لبداهة العقول، كما أنه مخالف للعقل الصحيح والفطرة السليمة والإجماع إجماع أهل السنة والجماعة.

لأن الله تعالى لما خلق هذا العالم هل خلقه داخل ذاته أم خلقه خارجا عنه.

فإن قالوا خلقه في داخل ذاته فقد كفروا وإن قالوا قد خلقه خارج ذاته فقد اعترفوا بالحق الذين أنكروه.

وهو أن الله خارج عن هذا العالم وفوقه ولأن الله تعالى موجود في الخارج.

والموجود في الخارج لا بد إما أن يكون داخلا في هذا الكون أو أن يكون خارجاً عنه وكذا إما أن يكون متصلا بالعالم أو منفصلا عنه.

وأما أن يكون بحيث لا يكون لا داخل في العالم ولا خارجا عنه فهذا شيء مخالف لبداهة العقول بل هو معدوم محض بل ممتنع بحت[2].

---

(١) مجموع الفتاوى ٣/ ٣٩-٤٠ ونقض المنطق ٥١، ومجموع الفتاوى ٤/ ٦٠-٦١، والقصيدة النونية ٥٥، وتوضيح المقاصد ١/ ٣٨٦-٣٨٩، وتوضيح الكافية ٥٨-٥٩، وشرح الهراس للنونية ١/ ١٧٦-١٧٧.

(٢) انظر الصواعق المرسلة ٤/ ١٢٧٩-١٤٠٠. وانظر الرد على الجهمية للإمام أحمد ١٣٨-١٣٩، ومجموع الفتاوى ٥/ ٢٦٧، ٣٢٠، والصواعق المرسلة ٤/ ١٢٤١-١٤٢٢، ١٢٧٩-١٣٠٩، ٣٣٩، والقصيدة النونية، ٥٤-٥٥، ٥٦، ٥٧، د وتوضيح المقاصد ١/ ٣٨٥-٣٨٦، وشرحها للهراس ١/ ١٧٣-١٧٦.

والتحقيق أن قول صاحب كتاب حسن المحاججة مخالف لبداهة العقل الصريح - يقول الإمام ابن القيم:

وسل المعطل عن مسائل خمسة ... ترى قواعده من الأركان

قل للمعطل هل الهنا الـ ... معبود حقا خارج الأذهان

فإذا نفى هذا فذاك معطل ... للرب حقا بالغ الكفران

وإذا أقر به فسله ثانيا ... أتراه غير جميع ذي الأكوان

فإذا نفى هذا وقال بأنه ... هو عينها ما ههنا غيران

فقد ارتدى بالاتحاد مصرحا ... بالكفر جاحد ربه الرحمن

حاشا النصارى أن يكونوا مثله ... وهم الحمير وعابدو الصلبان

هم خصصوه بالمسيح وأمه ... وأولاء ما صانوه عن حيوان

وإذا أقر بأنه غير الورى ... عبد ومعبود هما شيئان

فاسأله هل هذا الورى في ذاته ... أم ذاته فيه هنا أمران

وإذا أقر بواحد من ذينك الـ ... أمرين قبل خده النصراني

ويقول أهلا بالذي هو مثلنا ... خشداشنا وحبيبنا الحقاني

وإذا نفى الأمرين فاسأله إذا ... هل ذاته استغنت عن الأكوان

فلذاك قام بنفسه أم قام بالـ ... أعيان كالأعراض والأكوان

فإذا أقر وقال: بل هو قائم ... بالنفس فاسأله وقل ذاتان

إلى آخر كلامه القيم رحمه الله تعالى[1].

---

(١) القصيدة النونية ٥٦-٥٧ وشرحها توضيح المقاصد ١/ ٣٩٣-٣٩٦ وشرح النونية للهراس ١/ ١٨١-١٨٤.

فيقال لصاحب كتاب حسن المحاججة وأمثاله.

هل الله تعالى عندكم موجود ذهني أم موجود خارجي؟

فإن قلتم إنه موجود ذهني فقط فقد كفرتم كفرا بواحاً حيث أنكرتم وجود ربكم.

وإن قلتم هو موجود وبوجود خارجي. نقول لكم هل الله تعالى عين هذا الكون أم غيره.

فإن قلتم: هو عين هذا الكون.

فقد بحتم بعقيدة الاتحادية.

وإن قلتم: هو غير هذه الأكوان.

نقول لكم:

هل الله تعالى في هذه الأكوان أم الأكوان في الله تعالى أم الله تعالى خارج عن هذه الأكوان؟

فإن قلتم إن الله في هذه الأكوان: فقد قلتم بعقيدة الحلولية، الذين هم أكفر من النصارى واليهود.

وإن قلتم إن الأكوان في الله تعالى: فقد ارتكبتم كفراً آخر حيث جعلتم الله محلا للمخلوقات وظرفا لها.

وإن قلتم إن الله تعالى خارج عن هذه الأكوان فقد اعترفتم بالحق وهدمتم بنيانكم.

وإن قلتم إن الله تعالى لا داخل العالم ولا خارجه – فقد كابرتم بداهة العقول وخالفتم العقل والنقل والإجماع والفطرة في آن واحد.

وجعلتم الله تعالى معدوماً محضاً بل ممتنعاً بحتاً.

والله المستعان وعليه التكلان.

هذا: وللإمام ابن أبي العز الحنفي (٧٩٢هـ).

والمفسر الألوسي (١٢٧٠هـ).

وابنه نعمان الألوسي (١٣١٧هـ).

وحفيده محمود شكري الألوسي (١٣٤٢هـ).

كلام قيم متين مهم إلى الغاية في إبطال قول القائلين بأن الله لا داخل العالم ولا خارجه وقطع دابرهم وبيان أنهم مناقضون للنقل والعقل وأن قولهم هذا مخالف لبداهة العقول الضرورية، وأنه (قد علم العقلاء كلهم بالضرورة: أن ماكان وجود كذلك [أي خارج الأذهان في الواقع].

فهو إما داخل العالم وإما خارج عنه، وإنكار ذلك إنكار ما هو أجلى وأظهر من الأمور البديهيات الضرورية بلا ريب)[١].

(١) شرح الطحاوية ٣١٨-٣١٩، ٣٢٥ وروح المعاني ٧/ ١١٥ وجلاء العينين ٣٥٦-٣٥٧، ٣٨٧، ٣٨٨ وغاية الأماني ١/ ٤٤٥.

المبحث الخامس

في نقض شبهات صاحب كتاب حسن المحاجة

الشبهة الأولى:

«لقد تمسك صاحب كتاب حسن المحاجة لإثبات زعمه أن الله لا داخل العالم ولا خارجه.

بقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ﴾[1].

الجواب: أن نقول أولاً:

إن صاحب كتاب حسن المحاجة إنما نقل هذه الشبهة عن ابن مرزوق عن أبي عبدالله بن جلال[2].

مع أن ابن مرزوق رجل معطل.

وأما ابن جلال فهو من المبتدعة الضلال أهل المنطق والفلسفة والكلام.

والحاصل: أنهما ليسا من أئمة الإسلام ولا من أئمة السنة والتفسير والحديث، فكيف يقبل تحريفهما لهذه الآية؟

ثانيا: أنه ليس المراد من قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ﴾: أن الله لا داخل العالم ولا خارجه، بل المراد من هذه الآية أن الله لا تشبه ذاته ذوات خلقه كما لا تشبه صفاته صفات خلقه.

---

(١) سورة الشورى، الآية: (١١).

(٢) انظر حسن المحاجة ص٤.

فالله له علم وقدرة وكلام ويدان ووجه وقدم ونزول، ولكن لا كعلم خلقه ولا كقدرتهم ولا ككلامهم ولا كأيديهم ولا كوجوههم ولا كأقدامهم ولا كنزولهم.

ولم يفهم أحد من السلف من هذه الآية ما فهمه المعطلة:

فلم يقل أحد من السلف:

إن الله لا داخل العالم ولا خارجه.

بل السلف قاطبة على أن الله تعالى فوق العالم بائن من خلقه.

الشبهات الثانية إلى الرابعة:

زعم صاحب كتاب حسن المحاججة أن الله تعالى لو كان فوق العالم خارجا عنه - لزم أن يكون محدوداً وأن يكون في جهة ومكان[1].

والجواب: أن أئمة السنة قد قالوا في مثل هذه الشبهات: إن هذه الشبهات هي شبهات المعطلة قديما وحديثا.

والجواب عنها من وجهين:

الأول: جواب إجمالي:

وهو أن هذه الألفاظ - كلمات مجملة واصطلاحات كلامية محدثة - لا يجوز قبولها ولا ردها قبل بيان تفسيرها، ولكن إذا فسرت وعلمنا مراد قائلها، فإن كان المراد حقا قبلناه وإلا رددناه، وهذه هي القاعدة السلفية في جميع الكلمات الكلامية والمصطلحات الإجمالية، وقد صرح بها أئمة السنة[2].

---

(١) انظر حسن المحاججة ص٦.

(٢) انظر منهاج السنة ٢٤٩/١ والتدمرية ٦٥-٦٦ ومجموع الفتاوى ٤١/٣-٤٢، وشرح الطحاوية ٢٣٨-٢٣٩ وجلاء العينين ٣٨٦.

والثاني جواب تفصيلي:

وهو أن نقول:

ما المراد من قولهم: «الحد» و«المحدود»؟

فإن كنتم تعنون أن المراد من الحد أو المحدود:

أن يكون الله تعالى محبوسا محاطا، فهذا منفي عن الله تعالى بلا ريب ولكن لا يلزم من قولنا:

«إن الله فوق العالم بائن عنه»

أن الله محدود محبوس محاط.

فإن الله تعالى هو المدبر وهو الرب الخالق للخلق والكون.

وعلى هذا المعنى يحمل قول من نفى «الحد» عن الله تعالى من بعض السلف[١].

وإن كنتم تعنون بالحد والمحدود: أن الله تعالى متميز عن الخلق بائن عنه.

فالحد بهذا المعنى صحيح، ولا يلزم من هذا المعنى أي محذور، لأن الله فوق العالم عال على العرش.

وعلى هذا المعنى يحمل قول من أثبت الحد لله تعالى من بعض السلف كعبدالله بن المبارك والدارمي، وهو رواية عن الإمام أحمد[٢].

---

(١) كالثوري والحمادين وشريك وأبي عوانة والطيالسي والطحاوي وهو رواية عن الإمام أحمد.
انظر شرح الطحاوية ٢٣٨-٢٣٩، ودرء التعارض ٢/ ٢٩-٣٢، والسنة لأحمد رواية الاصطخري ٢٤.

(٢) انظر التمهيد لابن عبدالبر ٧/ ١٤٢ ورد الدارمي على المريسي ٢٣-٢٥، ودرء التعارض ٢/ ٣٤.

أما «الجهة» فإن كان المراد بها جهة مخلوقة - فلا شك في إبطالها، فإن الله ليس في «جهة» بهذا المعنى فإن الله ليس داخلا في شيء من خلقه ولا حالا فيه.

لأن الله تعالى ليس في مخلوق ولا المخلوق في الله تعالى، بل الله تعالى فوق المخلوق كله بائن عن المخلوق.

وإن كان المراد من «الجهة» جهة عدمية غير مخلوقة بمعنى أن الله تعالى فوق هذا العالم ووراء هذا الكون فهذا المعنى صحيح.

لأن وراء هذا الكون ليست جهة مخلوقة حتى تكون ظرفا لله تعالى ولا يلزم أن يكون الله مظروفا فيها.

بل المراد أن الله في العلو أي أن الله فوق هذا العالم بائن عن خلقه.

وهذا هو مراد من أثبت «الجهة» لله تعالى من السلف[1].

فنفي الجهة بهذا المعنى تعطيل للرب تعالى بالكلية، وليس هذا مذهب أهل السنة بل هو طريق أهل البدع من المعطلة.

قلت: إثبات «الجهة» لله تعالى بالمعنى الصحيح،

- وهو الفوقية والعلو - صحيح لا بد منه.

وهو عقيدة الصحابة والتابعين وأئمة هذا الدين من أهل السنة والجماعة أصحاب الحديث الفرقة الناجية الطائفة المنصورة.

---

(١) التدمرية ٦٦-٦٧ ومجموع الفتاوى ٣/ ٤١-٤٢ ونقض المنطق ٥٠، ومجموع الفتاوى ٤/ ٥٨-٥٩، ٥/ ٢٦٢-٢٦٣، ٦/ ٣٨-٤٠، ودرء التعارض ١/ ٢٥٣-٣٥٤، والتسعينية ضمن الفتاوى الكبرى ٥/ ٤-٥، ٢٣، ٢١، ٣١، ٣٧، ومختصر الفتاوى المصرية ٥٨٥، وشرح الطحاوية ٢٤٢-٢٤٤ وروح المعاني ٧/ ١١٦ وجلاء العينين ٣٥٩ وغاية الأماني ١/ ٧٧، ٤٩٣.

وأما إنكار «الجهة» بهذا المعنى - فهو مذهب المعطلة، فلقد صرح القاضي عياض (٥٤٤) والنواوي (٦٧٦هـ) والزبيدي الحنفي (١٢٠٥هـ).

بأن إثبات «الجهة» هو مذهب المحدثين والفقهاء، وأما دهاة المتكلمين فينفون «الجهة»[(١)].

وقال ابن رشد (٥٩٥هـ): (القول بالجهة: وأما هذه الصفة فلم يزل أهل الشريعة في أول الأمر يثبتونها لله سبحانه وتعالى حتى نفتها المعتزلة ثم تبعهم على نفيها متأخرو الأشعرية، . . .، وظواهر الشرع كلها تقتضي إثبات الجهة)[(٢)].

وقال القرطبي (٦٧١هـ) بعد ما ذكر مذهب المعطلة نفاة العلو لله تعالى:

(وقد كان السلف الأول لا يقولون بنفي «الجهة» ولا ينطقون بذلك، بل نطقوا هم والكافة بإثباتها لله، كما نطق كتابه وأخبرت رسله، ولم ينكر أحد من السلف الصالح أنه استوى على عرشه حقيقة. .، وإنما جهلوا كيفية الاستواء)[(٣)].

وأما «المكان».

فإن قصد به أنه في شيء مخلوق وأن الله تعالى مظروف لظرف مخلوق

---

(١) انظر شرح صحيح مسلم للنووي ٥/ ٢٤-٢٥ وشرح الإحياء للزبيدي ٢/ ١٠٥.

(٢) مناهج الأدلة ١٧٦-١٨٢.

(٣) الجامع لأحكام القرآن ٧/ ٢١٩-٢٢٠، وانظر درء التعارض ٦/ ٢٥٩-٢٦٠ وتلبيس الجهمية ٢/ ٣٧، والعلو للذهبي ١٩٤-١٩٥، والصواعق المرسلة ٤/ ١٢٩٣-١٢٩٤، واجتماع الجيوش ٢٦٣-٢٨١.

- فهذا المعنى باطل، ولكن لا يلزم من قولنا: «**إن الله فوق العالم بائن من خلقه**» - أنه تعالى مظروف في شيء مخلوق.

وإن كان المراد من «المكان» ما فوق العالم فهذا المعنى صحيح.

لأن الله تعالى فوق العالم بائن من خلقه وهذا هو معنى علو الله تعالى على خلقه، ولكن الجهمية المعطلة يعنون بقولهم: «ولا له مكان»:

أن الله تعالى لا فوق العالم ولا خارج العالم، وأنه لا فوق العالم إله يعبد ولا رب يدعى ويسأل، ولا وراء هذا الكون خالق خلق هذا الكون ولا عرج بالنبي ﷺ إلى ربه أصلاً هذا هو مقصود هؤلاء المعطلة[1].

الشبهة الخامسة:

قول صاحب كتاب حسن المحاججة:

(هل كان الله تعالى في هذه الحال [أي قبل خلق هذا الكون] من جهة وغيرها، إن قالوا نعم كفروا وتناقضوا)[2].

الجواب: إن لله تعالى «علوا مطلقا»، وهو صفة ذاتية له أزلية أبدية، فالله تعالى كان له «العلو المطلق» قبل خلق هذا الكون وبعده أزلا وأبدا.

وليس في إثبات علو الله تعالى كفر ولا تناقض، بل عقيدة علو الله تعالى بعينها إيمان، فقد سبق أن عقيدة العلو لله تعالى وأن الله تعالى بائن من خلقه هي عقيدة أهل السنة والجماعة قاطبة.

ولم يخالف في ذلك إلا المعطلة لصفات الله تعالى.

---

(١) نقض المنطق ٥٠، ومجموع الفتاوى ٤/٥٨-٥٩.

(٢) حسن المحاججة ص٦.

الشبهة السادسة:

قول صاحب كتاب حسن المحاججة:

(نسألكم هل أدركتم حقيقة الله تعالى فعلمتم أنه في جهة الفوق؟)[1].

الجواب: أن الله تعالى أخبرنا أنه فوق العالم عالٍ على عرشه، فعلمنا أنه سبحانه فوق عباده عال على الكون بائن في خلقه.

فقد سبق عدة نصوص في الكتاب والسنة وأقوال سلف هذه الأمة.

على أن الله تعالى فوق العالم بائن في خلقه. فإنا قد أدركنا هذه الحقيقة بإخبار الله تعالى وبإخبار رسله وأنبيائه وأوليائه من الصحابة والتابعين ومن بعدهم من أئمة هذا الدين.

الشبهات السابعة إلى العاشرة:

أنه قد عرف أن قول صاحب كتاب حسن المحاججة: «إن الله لا داخل العالم ولا خارجه ولا فوق ولا تحت».

مخالف لبداهة العقول.

لأنه لا يمكن موجودان خارج الأذهان أحدهما لا داخل في الآخر ولا خارج عنه، فأراد الخروج من هذا المضيق فزعم أن هذا يجوز عقلاً، ثم ضرب لذلك أمثلة مقنعة في زعمه:

الأول: أن الحب والكراهية يجدهما الإنسان في نفسه وهما موجودان مع أن أحدهما ليس في جهة من الآخر.

---

(١) حسن المحاججة ص٦.

الثاني: أن الإنسان قبل أن ينجب لا يكون أبا فإذا أنجب يكون أبا.

فالأبوة وجودية والإنسان موجود ومع ذلك ليس أحدهما في جهة من الآخر.

الثالث: الأعداد: الواحد والاثنان والثلاث لها وجود فأين جهة الواحد مثلا.

الرابع: أن الإنسان عنده علمان:

علم بوجود العالم وعلم بوجود المطر، فهذان علمان موجودان مع أن أحد العلمين ليس في جهة من الآخر، فهكذا يجوز لنا أن نقول:

إن الله لا داخل العالم ولا خارجه ولا متصل به ولا منفصل عنه، ولا هو في جهة لا فوق العالم ولا تحت العالم ولا بين العالم وخلف العالم ولا شمال العالم، إلى آخر هذيانه.

الجواب: أن نقول:

هذه الأمثلة كلها مبنية على التلبيس والتدليس والمغالطة المكشوفة، لأن كلامنا في موجودين خارجين عن الذهن واقعين في الخارج عن الأذهان عينين من الأعيان، لا معنيين من المعاني والأوصاف والأعراض.

فإذا وجد موجودان عينان في الخارج لا بد أن يكون أحدهما في جهة من الآخر، لأنه إما أن يكون أحدهما حالا في الآخر داخلا فيه أو خارجا عنه ولابد.

فالله تعالى موجود وذات واجب الوجود قائم بنفسه سبحانه وتعالى.

والعالم موجود وذات مخلوق خلقه الله تعالى، فلا يمكن أن يكون الله تعالى داخلاً في العالم حالاً فيه جزءاً منه لأن هذا مذهب النصارى.

ولا يمكن أن يكون الله تعالى عين العالم لأن هذا مذهب الاتحادية من الصوفية الكفرة.

بل لا بد أن يكون الله تعالى غيراً لهذا العالم خارجا منه فوقه بائناً من خلقه وهذا هو مذهب السلف.

وأما ما ذكره هذا المعطل من الأمثلة فكله خداع ومغالطة، وبيان ذلك ما يلي:

أما المثال الأول: وهو الحب والكراهية، فلا شك أنهما موجودان. ولكنهما ليسا من الأعيان الموجودة في الخارج بل هما معنيان من المعاني، ومن الصفات القائمة بالنفس فهذا المثال خارج عن موضوعنا؛ فإن كلامنا في الأعيان الموجودة في الخارج لا في المعاني ولا أعرض في الصفات.

وأما المثال الثاني: وهو الأبوة والإنسان، فهذا أوضح في الخداع والمكر والتلبيس والمغالطة.

لأن الإنسان لا شك أنه موجود خارجي وعين من الأعيان ولكن الأبوة صفة قائمة به. وليست شيئا منفصلا عنه إذ ليست شيئا موجودا في الخارج.

وأما المثال الثالث: وهو الأعداد الواحد والاثنان والثلاثة.

فأقول: إن الأعداد مراتب للمعدودات، فليست هي من قبيل الأعيان الموجودات الخارجية الواقعة في الخارج فهي خارجة عن مسألتنا هذه لأنها صفات للمعدودات. لكن المعدودات الخارجية لابد أن يكون بعضها في جهة من بعض.

وأما المثال الرابع: وهو العلمان للإنسان بوجود العالم وبوجود المطر.

فهذا أوضح مكرا وخداعا ومغالطة وتلبيساً، لأن هذين العلمين من الصفات والأعراض القائمة بالإنسان.

وليسا من قبيل الأعيان الموجودات الخارجية حتى يكون أحدهما في جهة من الآخر.

الشبهة الحادية عشرة:

قول صاحب كتاب حسن المحاججة:

إنكم تقولون: إن الله تعالى قائم بالنفس وكل قائم بنفسه في جهة، على أن «القائم بنفسه» أمر مشترك بين الله وبين الأجسام فأنتم صرتم مشبهة[1].

الجواب: أن هذه مغالطة مكشوفة من هذا المعطل.

فإن معنى «القائم بنفسه» أنه غني عن الغير غير محتاج إلى الغير، قائم بذاته، غير قائم بالغير كالأعراض والمعاني والأوصاف.

فإن الله تعالى خالق لهذا الكون موجود خارجي ذات واجب الوجود غني عن العالمين غير محتاج إلى أحد.

بل هو الحي القيوم مدبر السماوات والأرض رب العالمين فهذه الصفة صفة كمال، بل هي هذه الصفة من أعظم صفات الله تعالى، وبهذا المعنى لا شركة فيها بين الله وبين خلقه فإن غنى الله تعالى وقيوميته على ما هو لائق به فالمخلوق وإن كان قائما بنفسه فهو مع ذلك يكون محتاجا فقير إلى الله تعالى.

وأما الله سبحانه وتعالى فهو غني عن العالمين.

---

(١) حسن المحاججة ص١٠.

فأين الشركة في هذه الصفة بين الله تعالى وخلقه؟

فكيف صرنا مشبهة أيها المعطل؟ وأزيدك إيضاحا لتفهم ولتقلع عن ضلالك وجهلك:

إن الله تعالى حيّ وبعض المخلوق حي أيضا.

إن الله تعالى عالم، وبعض المخلوق أيضا عالم.

إن الله تعالى مريد، وبعض المخلوق أيضا مريد.

ولكن حياة الله تعالى وعلمه وإرادته - غير حياة المخلوق وعلمه وإرادته.

فهل يصح أن يقال: إن للمخلوق شركة مع الله تعالى في الحياة والعلم والإرادة؟!

فهكذا «القيام» بالنفس والغنى ونحو ذلك من الصفات لأن صفة كل موصوف تناسب ذلك الموصوف، فلا شركة للمخلوق في صفات الله تعالى البتة.

فكيف يقال إنه إذا كان الله قائما بالنفس يلزم مشابهته للمخلوق ويلزم أنكم مشبهة؟!

الشبهة الثانية عشرة:

قول: صاحب كتاب حسن المحاجحة: إنهم يقولون إن الله فوق العرش-

فهل العرش تحت الله تعالى؟!

مع أن السلف لم يقولوا:

إننا تحت الله والله فوقنا[1].

أقول: هذه مغالطة مكشوفة وذلك من وجوه:

الأول: أننا لم نقل من عند أنفسنا: إن الله فوق العرش.

بل قد قال ذلك الله تعالى والرسل والأنبياء عليهم السلام ورسوله ﷺ والصحابة رضي الله عنهم والتابعون لهم بإحسان وأئمة هذا الدين، وهو قول السلف قاطبة وهو مذهب أهل السنة والجماعة أصحاب الحديث الطائفة المنصورة الفرقة الناجية.

فكلهم قالوا: إن الله فوق العرش فوق عباده عال على خلقه بائن عن الخلق، كما سبق نصوصهم وتصريحاتهم.

الثاني: أن القول المخالف للقول الأول، وعقيدة أن الله ليس فوق العرش، وأن الله لا داخل العالم ولا خارجه ولا متصل بالعالم ولا منفصل عنه ولا فوق العالم ولا تحته ولا كذا ولا كذا - إلى آخر ذلك الهذيان - ليس إلا قول المعطلة والفلاسفة والمعتزلة وأفراخهم من الماتريدية والأشعرية.

فلم يقل أحد من سلف هذه الأمة: إن الله ليس فوق العرش، أو إنه ليس فوق العالم ولم يقل أحد من السلف أيضا:

إن الله لا داخل العالم ولا خارجه.

ولم يقل أحد من السلف أيضا: إن الله تعالى لا متصل بالعالم ولا منفصل عنه.

فهل قال أحد من السلف هذا الهذيان؟

---

(١) انظر حسن المحاجة ص١٣.

فهل قال ذلك أحد من الأنبياء والمرسلين أو أحد من الصحابة والتابعين أو أحد من أئمة هذا الدين؟

اسأل أبا حنيفة ومالكاً والشافعي وأحمد، والسفيانين والحمادين وعبدالرزاق الصنعاني والأوزاعي وإسحاق بن راهوية والبخاري ومسلماً والترمذي وأبا داود والنسائي وابن ماجة وغيرهم من أئمة الإسلام الذين لهم لسان صدق في الآخرين والذين قام الدين بهم وهم قاموا بهذا الدين، بل الحقيقة أن القول بأن الله ليس فوق العرش وأنه ليس داخل العالم ولا خارجه إلى آخر ذلك الهذيان.

إنما هو قول الفلاسفة المعطلة والجهمية والمعتزلة والأشعرية والماتريدية وعلماء المتكلمين ولذلك لم يستطع صاحب كتاب حسن المحاججة أن ينقل حرفا واحدا من هذا الهذيان عن أحد من سلف هذه الأمة.

وإنما ينقل عن أمثال حامد بن مرزوق صاحب كتاب براءة الأشعريين ذلكم المنكر المجهول أو ابن جلال المتكلم فهو ليس إماما من أئمة أهل الإسلام[1].

أو الفاسي الذي لم يعرف العقيدة السلفية ولم يقدرها.

فأئمة صاحب كتاب حسن المحاججة إما عوير وإما كسير أو ثالث ما فيه خير.

وإننا نتحداه أن ينقل هذه العقيدة عن أمثال أبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد والبخاري وأبي داود، والترمذي وغيرهم من أئمة الإسلام من الصحابة والتابعين ومن بعدهم من أئمة هذا الدين.

---

(١) حسن المحاججة ص١٥.

لأن أئمة الإسلام كلهم أوهم عن آخرهم على عقيدة الفوقية لله تعالى وأن الله على العرش فوق العالم بائن من خلقه ليس كمثله شيء وهو السميع العليم.

الثالث: إذا قلنا: إن الله تعالى فوق العالم فوق العرش عال على خلقه.

فلاشك أن الكون كله تحت خالق هذا الكون دل عليه نصوص صفة العلو لله ولا سيما حديث الرؤية ففيه أنهم يرون ربهم من فوقهم وحديث الفردوس وفيه (فوقه عرش الرحمن) ولكن السلف لم يخوضوا في تفاصيل هذه الأمور فينبغي لنا أن لا نخوض أيضا خشية الدخول في الكيف أو في الغيب ولكن إذا خاصمنا ملحد معطل وقال لنا:

هب أن الله فوق العالم - فهل الكون تحت الله تعالى؟!

فنقول لازم الحق حق، إن لزم عن فوقية الله تعالى أن يكون الكون تحت خالق هذا الكون -

فهذا اللازم حق، لأن لازم الحق حق ولكن لا ينبغي الخوض فيما لم يخض فيه السلف.

الشبهة الثالثة عشرة:

قول صاحب كتاب حسن المحاججة:

إذا كان الله تعالى - عندكم - فوق العالم بائنا منه خارجا منه فهو - إذاً - إما أن يكون مماساً للعالم أو منفصلاً عنه، فإن قلتم: إنه مماس للعالم فأنتم مبتدعة مجسمة.

وإن قلتم: إنه منفصل عن العالم - فيقال- إذن - توجد المسافة بين العالم وبين الله تعالى فهذه المسافة إن كانت عدمية فصار الله مماسا بالعالم،

وإن كانت وجودية. فهي جزء من العالم، فيلزم أن الله منفصل عن العالم بجزء من العالم[1].

الجواب: هذه الشبهة من جنس الشبهة السابقة فإن السلف قالوا: إن الله تعالى فوق العالم بائن عنه وهذا القدر كاف في العقيدة، ولم يخوضوا في المسافة، هل بين الله وبين العالم مسافة أم لا، وكم مقدار هذه المسافة وهل تلك المسافة جزء من العالم أم لا؟ وذلك لوجهين:

الأول: خشية الدخول في الكيف.

والثاني: خشية الدخول في دائرة الغيب بدون خبرٍ من الله تعالى.

فالواجب على المسلم أن يعتقد أن الله تعالى فوق العرش وقاهر فوق عباده عالٍ على الكون بائن عن خلقه، ولا يدخل في الكيف.

ولكن إذا خاصمنا مبتدع معطل فلا بد أن نقول له بذاته قلعا لشبهاته وقطعا لدابره: إننا نعلم بالاضطرار من دين الإسلام:

إن الموجود موجودان: خالق ومخلوق.

فالله تعالى بذاته وصفاته خالق، وما سواه عالم وهو الكون - وهو مخلوق والله تعالى فوق الكون بائن عن خلقه.

فليس وراء هذا الكون شيء موجود غير الله تعالى لا المسافة ولا غيرها.

فالذي ينكر علو الله تعالى على خلقه بشبهة المسافة.

فهو المشبه في الحقيقة أولا لأنه قد شبه فوقية الله تعالى.

---

(١) حسن المحاججة ص١٤.

بفوقية رجل على سطح بيته، ولذلك دخل في المسافة وكيفيتها.

ثم هو المعطل ثانيا، لأنه عطل صفة علو الله تعالى خشية المسافة.

ثم هو المشبه ثالثا.

لأنه قد وقع في أشنع مما فر منه وهو خوف الوقوع في التشبيه.

لأنه لما عطل صفة علو الله تعالى خشية التشبيه وقال: إن الله «لا داخل العالم ولا خارجه ولا فوقه ولا تحته» - شبه الله تعالى بالمعدوم بل بالممتنع.

الشبهة الرابعة عشرة:

قول صاحب (حسن المحاججة) - ما حاصله:

أن القول بأن الله تعالى لا داخل العالم ولا خارجه - قول صحيح وعقيدة صحيحة، وليس فيه رفع للنقيضين.

لأن رفع النقيضين لا يجوز حينما يتصف المحل بأحدهما وأما إذا لم يتصف المحل بأحدهما -

فحينئذ يجوز رفع النقيضين من ذلك المحل، كقولنا: الحائط لا أعمى ولا بصير.

وذلك: أن الحائط لا يقبل العمى ولا البصر، فيجوز لك أن تنفيهما عن الحائط.

فهكذا يجوز لنا، أن نقول: إن الله تعالى لا داخل العالم ولا خارجه، لأن الله تعالى لا يقبل الدخول في العالم ولا يقبل الخروج عن العالم.

فليس في هذا رفع للنقيضين[1].

الجواب: إن هذه الشبهة في غاية من التلبيس والتدليس، فإن هؤلاء المعطلة - يلوكون مصطلحات أهل المنطق والكلام بأفواههم ولكن لا يفهمون ما يقولون فيهرفون بما لا يعرفون.

ومع ذلك يسفهون أئمة السنة، ويطعنون فيهم بأنهم غير غواصين في هذا المجال.

ويقولون: إن عقولهم تقصر عن إدراك هذه المعاني[2] وإنهم ليس لهم أهلية للخوض في هذا العلم[3].

هكذا تراهم مغرورين مستكبرين طاعنين في أئمة السنة، مع أنهم من أجهل خلق الله بالعلم بحقيقة هذه المصطلحات الكلامية والمنطقية.

كما ترى حالهم ههنا،

فإن العمى والبصر ليسا من النقيضين عند أهل المنطق.

بل هما من قبيل العدم والملكة.

فالمتباينان إذا كانا من قبيل العدم والملكة فحينئذ يجوز رفعهما عن المحل الذي لا يتصف بهما لذلك يجوز أن تقول: هذا الجدار لا أعمى ولا بصير بخلاف المتباينين تباينا منفصلا حقيقيا مانعا للجمع والرفع فحينئذ لا يجوز جمعهما ولا رفعهما إطلاقاً، لعدم الواسطة بينهما كالوجود والعدم والدخول والخروج والانفصال والاتصال ونحوها.

---

(١) حسن المحاجة ص١١.

(٢) حسن المحاجة ص١٦.

(٣) حسن المحاجة ص١٨.

فالدخول والخروج ليسا من قبيل العدم والملكة.

بل هما متباينان تباينا تاما بحيث يكون بينهما انفصال حقيقي فهما من قبيل مانعة الخلو والجمع جميعاً كقولهم:

العدد إما زوج أو فرد، لعدم الواسطة بين الزوج والفرد، فإذا كان زوجا فلا يكون فردا، وبالعكس.

فالنسبة بين الداخل والخارج انفصال حقيقي من قبل مانعة الجمع والخلو معاً.

فلا يجوز جمعهما ولا رفعهما ونفيهما البتة فلا يجوز أن تقول: إن الله لا داخل العالم ولا خارجه، لأن هذا النفي من قبيل مانعة الخلو.

فإذن - لا يجوز قياس الدخول والخروج على العمى والبصر.

لأن هذا القياس قياس مع الفارق، والقياس مع الفارق من أبطل الأقيسة.

فإن العمى والبصر من قبيل العدم والملكة فيجوز رفعهما عن المحل الذي لا يقبلها.

وأما الخروج والدخول، فهما مثل الزوجية والفردية وغيرهما من المتباينين الذين بينهما انفصال حقيقي لا يجوز جمعهما ولا نفيهما.

الشبهة الخامسة عشرة:

قول صاحب كتاب (حسن المحاججة) ما حاصله: إن الداخل والخارج ليسا من النقيضين حتى لا يجوز رفعهما بل هما من المتضادين كالحجر والشجر.

والمتضادان يجوز رفعهما فيجوز لنا أن نقول:

إن الله لا داخل العالم ولا خارجه.

فيجوز نفي الدخول والخروج عن الله تعالى.

كما يجوز أن نقول الإنسان لا حجر ولا شجر، لجواز رفع المتضادين لأن نقيض «الداخل» هو «اللاداخل».

وليس نقيض «الداخل» هو «الخارج».

وكذا نقيض «الخارج» هو اللاخارج».

وليس نقيض «الخارج» هو «الداخل».

لأن الشرط في النقيضين أن يكون أحدهما وجوديا والآخر عدميا، نحو الإنسان واللاإنسان وأما إذا كانا وجوديين نحو الحجر والشجر فهما متضادان وليسا نقيضين[1].

قلت: هذا هو تقرير هذه الشبهة بعبارة واضحة وإن كان سعيد فودة لم يستطع التعبير الجيد عنها.

والجواب: أن نقول:

إن هذه الشبهة باطلة من أصلها وذلك من وجهين:

الوجه الأول - وهو - جواب إنكاري:

---

(١) انظر حسن المحاجة ١٥-١٦.

وهو: أننا لا نسلم أن المتناقضين هما المتباينان. اللذان يكون أحدهما وجوديا والآخر عدميا فإن هذا مجرد اصطلاحكم الباطل، لا نوافقكم على هذا لأنه مخالف للواقع بل المتناقضان هما المتخالفان اللذان لا يجوز اجتماعهما ولا رفعهما عند العقول السليمة سواء كانا وجوديين أو كان أحدهما وجوديا والآخر سلبيا.

بشرط أن لا يمكن جمعهما في محل ولا نفيهما عن محل بل لا بد من إثبات أحدهما وقاعدة ذلك أنه إذا لم يكن بينهما واسطة فحينئذ لا يجوز رفعهما ولا جمعهما نحو الزوج والفرد.

فهما من قبيل المتناقضين لا يجوز رفعهما ولا جمعهما، لعدم الواسطة بينهما فالعدد إما زوج وإما فرد، فلا بد من أحدهما فلا يمكن أن يكون هذا العدد زوجا وفردا معاً لأن هذا جمع للنقيضين، وكما أنه لا يمكن أن تقول هذا العدد لا زوج ولا فرد.

لأن هذا رفع للنقيضين. وهكذا للحياة والموت لا واسطة بينهما فالشيء إما أن يكون حيا وإما أن يكون ميتاً حتى الجمادات وهكذا الدخول والخروج.

فإنه لا واسطة بينهما فهما من المتناقضين لا يجوز جمعهما، ولا نفيهما.

فلا نقول: زيد خارج عن هذا البيت وداخل فيه، لأن هذا جمع للمتناقضين كما أنك لا يمكن لك أن تقول:

زيد لا خارج عن هذا البيت ولا داخل فيه لأن هذا رفع للنقيضين.

فالنقيضان على هذا الاصطلاح أعم منهما على اصطلاحكم أيها المعطلة

تبعا للمتفلسفة المشائية أتباع أرسطو تتذرعون باصطلاحكم هذا إلى جواز سلب النقيضين عن خالق الكون[1]؟!!

الحاصل: أنه قد تحقق أن النقيضين قد يكونان كلاهما وجوديين إذا لم يكن بينهما واسطة كالدخول والخروج، فالداخل نقيض الخارج وكذا العكس، لعدم الواسطة بينهما.

فالشيء إما داخل وإما خارج، فإذا كان داخلاً فلا يمكن أن يكون خارجاً معاً دفعة واحدة وإذا كان خارجا فلا يمكن أن يكون داخلاً في آن واحد في جهة واحدة.

الوجه الثاني: وهو جواب تسلمي. وهو أن نقول: هب أننا سلمنا:

أن النقيضين هما اللذان يكون أحدهما وجوديا والآخر عدميا، وسلمنا أيضا: أن «الداخل» و«الخارج» ليسا من النقيضين بل هما من المتضادين.

ولكن لا نسلم أن منع الجمع ومنع الرفع والنفي - مختصان بالنقيضين، بل منع الجمع ومنع النفي قد يكونان في غير النقيضين أيضاً.

إذا كانا في صورة المتضادين الذين لا واسطة بينهما كالزوج والفرد، والدخول والخروج والحركة والسكون والحياة والموت، والاتصال والانفصال وهذا موافق أيضا لاصطلاحكم في قضية مانعة الجمع والخلو معاً[2].

---

(١) انظر درء التعارض ٥/ ٢٧١-٢٧٤، ٦/ ١٢٣، وانظر أيضا التدمرية ٦١-٦٥ وضمن مجموع الفتاوى ٣/ ٣٢-٤٠، القصيدة النونية ٥٥، وتوضيح المقاصد ١/ ٣٨٦-٢٩٣ وتوضيح الشافية للسعدي ٥٨-٥٩ وشرح النونية للهراس ١٧٧-١٨١.

(٢) قضية مانعة الجمع والخلو ما فيها انفصال حقيقي في جانبي الصدق والكذب نحو العدد إما زوج أو فرد، فأما إذا كان زوجا فليس بفرد وإما أن يكون فردا فليس زوجا ولا يمكن أن يكون العدد زوجا وفردا معا كما لا يمكن أن يكون العدد لا زوجا ولا فردا. انظر إليا غوجي ضمن أمهات المتون ٢٧٤-٢٧٥ وتهذيب مع النطق الجلال والجمال ٩٣ وتعريفات الجرجاني ٢٢٦.

نحو قولكم: العدد إما زوج أو فرد.

فهكذا الدخول والخروج، فالشيء إما داخل وإما خارج، إما إذا كان شيء لا خارج ولا داخل فهذا ليس شيئا موجوداً بل هو شيء معدم بل ممتنع.

فقول صاحب كتاب حسن المحاججة:

«إن الله لا داخل العالم ولا خارجه»، قول باطل وهو في الحقيقة قول برفع النقيضين وهو باطل عند جميع العقلاء خلافا للمعطلة فصاحب كتاب حسن المحاججة يعبد معبودا معدوما بل ممتنعا حيث وصفه بأنه لا داخل العالم ولا خارجه ولا متصل بالعالم ولا منفصل عنه ولا فوق العالم ولا خلف العالم ولا أمامه ولا فوق العرش ولا فوق السماوات ولا على العرش ولا على الكون ولا يكلم الرسل وعباده المؤمنين ولم يكلم ملائكته ولا يكلم أهل الجنة ولا يسمع كلامه أحد من الإنس والجن ولا الأنبياء ولا المرسلون ولا الملائكة المقربون ولا له كلام مسموع بالآذان ولا يراه المؤمنون يوم القيامة ولا في الجنة من فوقهم. أما الأنبياء والمرسلون والصحابة والتابعون والأئمة المتقون أهل السنة والجماعة أصحاب الحديث الطائفة المنصورة الفرقة الناجية.

فهم لا يعرفون معبود صاحب كتاب حسن المحاججة وأمثاله من المعطلة والفلاسفة لأن هذا الوصف هو وصف معبود معدوم ممتنع بل أهل السنة والجماعة أصحاب الحديث الطائفة المنصورة الفرقة الناجية يعبدون المعبود الذي اسمه الله وهو الرحمن الرحيم الحي القيوم الخالق الرازق الرب العظيم الذي هو فوق هذا العالم بائن من خلقه عال على العرش ولم يزل متكلما ولا يزال متكلما وكلامه المسموع بالآذان سمع كلامه جبرائيل وموسى ومحمد ﷺ وكذا يسمع كلامه المؤمنون في القيامة وفي الجنة ويرونه عيانا بعيون أبصارهم من فوقهم.

الخاتمة

الحمد لله الذي وفقني وأعانني على الرد على من أحيا عقيدة الجهمية المعطلة النفاة لصفات الله تعالى كاستوائه على عرشه وعلوه على خلقه وغير ذلك.

وهذا الكتاب الذي رددت عليه دليل على أن هذه العقائد لم تمت كما يظن بعض الناس بل إن هناك من ينادي بها، ويعمل على إحيائها، رغبة في هدم منار الحق، والطعن في عقيدة أهل السنة والجماعة، لذلك لا بد من التعرف على هذه العقائد، ومعرفة الرد عليها.

وقد بذلت وسعي وطاقتي، والله تعالى أرجو أن يجعله في ميزان حسناتي إنه جواد كريم وهو حسبنا ونعم الوكيل.

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين،،،

بقلم:

د. محمد بن عبدالرحمن الخميس

فهرس المصادر والمراجع

١ - اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة الجهمية تحقيق د. عبدالله المعتقد - مطابع الفرزدق - الرياض.

٢ - الإبانة عن أصول الديانة للأشعري ط دار الأنصار وكذا الجامعة الإسلامية.

٣ - بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية لشيخ الإسلام ط مطبعة الحكومة مكة المكرمة.

٤ - تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة ط دار الجيل ١٣٦٣هـ.

٥ - التمهيد لابن عبدالبر ط وزارة الأوقاف المغربية.

٦ - التوحيد لابن خزيمة ط دار الرشد بالرياض ١٤٠٨هـ.

٧ - الحموية «الفتاوى الحموية الكبرى» لشيخ الإسلام ط مطبعة المدني وهي في مجموع الفتاوى ٥/ ١٢١.

٨ - درء تعارض العقل والنقل لشيخ الإسلام الطبعة الأولى جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

٩ - دقائق التفسير لشيخ الإسلام تحقيق د. محمد السيد الجليند ط مؤسسة علوم القرآن دمشق.

١٠ - رد الدارمي على بشر المريسي للإمام الدارمي ط دار الكتب العلمية بيروت.

١١ - شرح الطحاوية لابن أبي العز ط المكتب الإسلامي ١٣٩٩هـ و ط دار البيان دمشق ١٤٠٥هـ.

١٢ - الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة للإمام ابن القيم تحقيق د. علي بن محمد الدخيل الله ط دار العاصمة الرياض ١٤٠٨هـ.

١٣ - غنية الطالبين «الغنية لطالبي طريق الحق» للشيخ عبدالقادر الجيلاني - ط محمد علي صبيح ميدان الأزهر مصر.

١٤ - الفقه الأبسط تحقيق الكوثري مطبعة الأنوار القاهرة.

١٥ - مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام جمع وترتيب عبدالرحمن بن قاسم ط الدار العربية بيروت.

١٦ - مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة لابن القيم - ط دار الكتب العلمية - ط دار الندوة الجديدة بيروت ١٤٠٥هـ.

الفصل الرابع

المنخل
لغربلة خرافات ابن الحاج في المدخل

تأليف

د. محمد بن عبدالرحمن الخميّس

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾[1].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾[2].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾[3].

وبعد:

فإن كتاب **المدخل**، قد ألف في بيان البدع المختلفة في دين الله، ولكن المؤلف - للأسف - وقع[4] في ما حذّر منه، فتراه يجوز الاستغاثة بالأموات ويجوّز التوسل بذات النبي ﷺ ويحتج على ذلك بالآثار الضعيفة

---

(١) سورة آل عمران الآية: ١٠٢.

(٢) سورة النساء، الآية: ١.

(٣) سورة الأحزاب الآيتان: ٧٠-٧١.

(٤) من ذلك وقوعه في التأويل الكلامي البدعي مثل تأويل صفة الإتيان والمجيء بمجيء عذاب الله ونقمته لمن كفر به وألحد وتأويل صفة الضحك بالرضا والإحسان وزعم أن إضافة العرش إلى الله هو إضافة تشريف كما يقال بيت الله وتأول حديث الساق بالشدة وغير ذلك من التأويلات الفاسدة انظر المدخل ٢/١٤٨-١٤٩، ١٥٢.

والموضوعة، مما قد يلبس على الناس أمر دينهم لذا فقد رأيت التنبيه على مواضع الخطأ تلك، ليكون المسلم منها على حذر وليس المقصود الرد بالتفصيل على حجج هؤلاء، فلذلك مظانه من الكتب السلفية وما أكثرها، ولا أدعي أنني أوفيت الموضوع حقه، وإنما هو مجرد تنبيهات كما ذكرت محاولاً كشف عوارها بإيجاز.

والله أسأل القبول، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

كتبه د. محمد بن عبدالرحمن الخميس

الخرافة الأولى

وهي إجمال لما يأتي في تفصيله من الخرافات الآتية.

إن [ابن الحاج][1] قد وفق للرد على كثير من البدع حيث ألف كتابه «المدخل» وفيه فوائد كثيرة في الرد على البدع، ولكنه شحنه ببدع أخرى، ولا سيما بدع القبورية وخرافاتهم وشركياتهم، واستغاثاتهم بالأموات عند إلمام الملمات، والدعوة إلى الخرفات والقبورية العمياء. ولا سيما في باب زيارة القبور، خصوصا زيارة قبر النبي ﷺ[2].

فالناس يظنون أن كتابه مفيد في الرد على البدع فإذا فيه دعوة سافرة إلى القبورية؟!

الخرافة الثانية

قال صاحب المدخل: «إذا نزلت نازلة بالمسلمين - يذهبون إلى القبور ويدعون عندها لزوال ضرها وهذه صفة زيارة القبور»[3].

قلت: هذا باطل محض وبدعة بينة، ودعوة إلى القبورية، قال أحمد الرومي الحنفي «وأما الزيارة البدعية فهي زيارة القبور لأجل الصلاة عندها والطواف بها وتقبيلها واستلامها وتعفير الخدود عليها وأخذ ترابها ودعاء

---

(١) هو محمد بن محمد بن محمد: أبو عبدالله العبدري القبيلي المغربي الفاسي المالكي (٧٣٧هـ).
رد على كثير من البدع، ولكنه وقع في الدعوة إلى القبورية الصريحة.
انظر ترجمته في الديباج المذهب لابن فرحون ٢/ ٣٢١-٣٢٢، والدرر الكامنة ٤/ ٣٥٥-٣٥٦، والأعلام للزركلي ٧/ ٣٥.

(٢) انظر المدخل ١/ ٢٤٨-٢٥٨.

(٣) انظر المدخل ١/ ٢٤٨.

أصحابها والاستغاثة بهم وسؤالهم النصر والرزق والعافية والولد وقضاء الدين وتفريج الكربات وإغاثة اللهفات وغير ذلك من الحاجات التي كان عبّاد الأصنام يسألونها من أصنامهم»[1]. إذ لم يثبت في السنة ولا عن السلف:

أنه إذا نزلت بهم نازلة - يذهبون إلى القبور ويدعون عندها لزوال تلك المصيبة، بل سنة الأنبياء والمرسلين والصحابة والتابعين ومن بعدهم من أئمة هذا الدين أن يستغاث بالله عند النوازل وأن يقنتوا في الوتر والصلوات الخمس المكتوبة.

أما زيارة القبور فللاعتبار والدعاء لأهلها كما اعترف المصنف نفسه بعد ذكر حديث الزيارة حيث قال: «فجعل عليه الصلاة والسلام فائدة زيارة القبور تذكر الموت»[2].

الخرافة الثالثة

قال صاحب المدخل في الترغيب في زيارة القبور لدفع البلاء والتوسل بأصحابها، والتبرك بالأموات: «فإن كان الميت المزور ممن ترجى بركته، فيتوسل إلى الله تعالى به...»[3].

قلت: هذا باطل لوجهين:

الأول: أن التبرك بالأموات والقبور من بدع دعاة القبورية وهو طريق واسع سريع إلى الوثنية.

---

(١) المجالس الأربعة ص٥٩.

(٢) انظر المدخل ١/٢٤٨.

(٣) المدخل ١/٢٤٨.

الثاني: أن زيادة القبور لأجل التوسل بأصحابها لدفع البلاء والتبرك بهم لجلب النافع أيضا من خرافات دعاة القبورية قديما وحديثا، وأيضا هو طريق وباب إلى الشرك بالله عز وجل.

الخرافة الرابعة

قال صاحب المدخل: «بل يبدأ بالتوسل إلى الله تعالى بالنبي ﷺ، إذ هو العمدة في التوسل، والأصل في هذا كله»[1].

قلت: هذا باطل.

لأنه لم يثبت عن الصحابة ولا عن التابعين ولا عن أتباعهم التوسل بذات النبي ﷺ، وإنما الثابت عنهم التوسل الحي الحاضر كما يدل عليه توسل عمر بالعباس، رضي الله عنهما حتى على اعتراف ابن الحاج هذا[2].

فهذا هو التوسل في عرف الصحابة واصطلاحهم، ولكن دعاة القبورية قد حرفوا معنى التوسل فجعلوه توسلا واستغاثة بالأموات. قال شيخ الإسلام: «ومن أراد بالواسطة أنه لا بد من واسطة في جلب المنافع ودفع المضار مثل أن يكون واسطة في رزق العباد ونصرهم وهداهم يسألونه ذلك ويرجون إليه فيه فهذا من أعظم الشرك الذي كفر الله به المشركين حيث اتخذوا من دون الله أولياء يجتلبون المنافع ويجتنبون المضار»[3]. أما السؤال بالنبي ﷺ فقد قال شيخ الإسلام «السؤال به فهذا يجوزه طائفة من الناس

---

(١) المدخل ٢٤٨.

(٢) انظر المدخل ٢٤٨-٢٤٩.

(٣) مجموع الفتاوي (١/١٢٣-١٢٤).

ونُقل في ذلك آثار عن بعض السلف وهو موجود في دعاء كثير من الناس لكن ما روى عن النبي ﷺ في ذلك كله ضعيف بل موضوع»(١).

وقال كذلك «وسؤال الله بالميت والإقسام على الله به واستجباب الدعاء عند تلك البقعة لم يكن هذا من فعل أحد من سلف الأمة لا الصحابة ولا التابعين لهم بإحسان وإنما حدث بعد ذلك»(٢).

الخرافة الخامسة

قال صاحب المدخل: «فيتوسل به ﷺ ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين»(٣).

قلت: قد سبق أن التوسل بالصالحين الذي قد ورد به الشرع، واصطلاح عليه السلف - هو التوسل بدعاء الحي الحاضر.

بحيث يطلب من الحي الحاضر الدعاء والشفاعة عند الله فيدعو وليشفع. كما طلب عمر من العباس رضي الله عنهما الدعاء والشفاعة والعباس استجاب لطلبه فدعا الله تعالى وشفع لهم(٤) فأين في النصوص توسل دعاة القبورية؟!

---

(١) قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة ص١١٤.

(٢) الاستغاثة ص٢٣٢.

(٣) المدخل ١/٢٤٨.

(٤) أخرجه البخاري في كتاب الاستسقاء باب سؤال الناس الإمام الاستسقاء إذا قحطوا (٢/٤٩٤) ح(١٠١٠) وابن سعد في الطبقات الكبرى (٤/٢٨، ٢٩) كلاهما من طريق ثمامة بن عبدالله عن أنس بن مالك.

الخرافة السادسة

قال صاحب المدخل: «ثم يتوسل بأهل تلك المقابر: أعني بالصالحين منهم في قضاء حوائجه، ومغفرة ذنوبه...»[1].

قلت: زيارة القبور لأجل التوسل بأهل المقابر والاستغاثة بهم في قضاء الحوائج وغفران الذنوب هي عين الوثنية الجاهلية - ولا يمت ذلك بأي صلة للشرع السماوي ودين التوحيد.

والرسل قد بعثوا لقمع هذه التوسلات.

الخرافة السابعة

هي قول صاحب كتاب المدخل: «ويكثر التوسل بهم إلى الله تعالى، ...»[2].

قلت: هذا باطل، فإن الإكثار من هذا النوع من التوسل - إكثار من وسائل الشرك وأسبابه وزيارة القبور إنما شرعت للاعتبار والدعاء للميت ولم تشرع للتبرك والدعاء بالميت والتوسل به، وإنما كان ذلك في شرع دعاة القبورية.

الخرافة الثامنة

وهي احتجاجه بحجة أهل الجاهلية حيث يقول:

---

(١) المدخل ١/٢٤٩.

(٢) المدخل ١/٢٤٩.

«لأن الله تعالى اجتباهم وشرفهم وكرمهم، فكما نفع بهم في الدنيا ففي الآخرة أكثر»[1].

قلت: هذه بعينها حجة المشركين يعني السابقين ووثنيتهم؛ فإنهم كانوا يقولون: نحن مذنبون بعيدون عن الله تعالى وهؤلاء الأولياء مقربون عند الله تعالى ولهم مكانة عنده فقد اجتباهم وشرفهم وكرمهم.

فنحن نتوسل إلى الله بهم ليشفعوا لنا عند الله، ويقربونا إلى الله زلفى. فقولهم هو مقالة أصحاب الوثنية الأولى حذو النعل بالنعل والقذة بالقذة ولاشك أن الله تعالى قد شرف عباده الصالحين ولكن هذا لا يقتضي أن نستغيث بهم بل يجب محبتهم والتأسي بهم فقط.

الخرافة التاسعة

قال المصنف:

فمن أراد حاجة فليذهب إليهم، ويتوسل بهم، فإنهم الواسطة بين الله تعالى، وخلقه»[2].

قلت: هذا شرك صراح لوجهين:

الأول: هذه الواسطة بعينها عقيدة المشركين الأولين في الواسطة فإنهم أيضاً كانوا يعتقدون في الأنبياء والأولياء أنهم وسائط إلى الله، وأنهم يقربونهم عند الله زلفى وأنهم يشفعون لهم عند الله، وأنهم الواسطة بينهم وبين الله.

---

(١) المدخل ١/ ٢٤٩.
(٢) المدخل ١/ ٢٤٨.

وأنهم هم الواسطة بينهم وبين الله تعالى؛ وكانوا يقيسون الله تعالى وهؤلاء الأولياء، على ملوك الدنيا وأمرائهم ووزرائهم، فكما أن الرعية لايمكن لأحدهم الوصول إلى الملوك إلا بواسطة الأمراء والوزراء.

كذلك الله تعالى - في زعمهم - لايمكن الوصول إليه - إلا بواسطة هؤلاء الأولياء المقربين عند الله تعالى وقد صرح ببيان عقيدة المشركين هذه كثير من العلماء[1].

فدل هذا على أن دعاة القبورية هم على طريقة المشركين السابقين في هذه الواسطة، وأن هذه الواسطة مأخوذة عنهم.

الوجه الثاني: أن دعاة القبورية في تشبثهم بكلمة «الواسطة» ملبسون ومدلسون، وخالطون بين الحق والباطل؛ فإن كون الأنبياء والأولياء والعلماء واسطة بين الله وبين خلقه. يحتمل معنيين: معنى حقا ومعنى باطلاً؛ فمن أراد أنهم واسطة في تبليغ دين الله تعالى في أوامره ونواهيه وشرح شرعه وتوضيح مايحبه الله وما يكرهه.

فهذا معنى حق وصواب يجب الاعتقاد به، ولكن دعاة القبورية لايقصدون هذا المعنى في هذا الصدد، في باب الاستغاثة بأهل القبور.

ومن أراد أنهم واسطة بين الله وبين العباد في جلب المنافع ودفع المضار يستغاث بهم عنه إلمام الملمات وكشف المضرات.

---

(١) انظر التفسير الكبير (مفتاح الغيب) للرازي وشرح الطحاوية ٢١ ط. دار البيان و ٧٩ط. الكتب الإسلامي.
وحجة الله البالغة ١/ ٦١، ١/ ١٧٧ - ١٧٨، ١٨٢ - ١٨٤.
والبدور البازغة ١٦٥ - ١٦٦ ط، الجديدة، والتفهمات الإلهية ٢/ ٦٣ - ٦٤ والفوز الكبير ٥ - ٦ كلاهما للشاه ولي الله الدهلوي.

فهذا من أعظم الشرك الذي كفّر الله به المشركين الأولين فمن اعتقد هذا فهو كافر بدين الله ومشرك بالله؛ يجب أن يستتاب؛ فإن تاب فبها ونعمت؛ وإلا فهو مرتد عن دين الله تعالى خارج عن الإسلام مشرك كافر حلال الدم يجب أن يقتل قتل المرتد؛ فإن من أصل دين المشركين عباد الأوثان والأصنام، ولقد صرح بهذا كثير من علماء الإسلام[1].

الخرافة العاشرة

خرافة التبرك بزيارة القبور حيث قال: «ومازال الناس من العلماء والأكابر كابرا عن كابر مشرقا ومغرباً، يتبركون بزيارة القبور»[2].

أقول: هذه الخرافة فيها طامتان:

الأولى: طامة التبرك بزيارة القبور؛ وهي بدعة محضة وقد تكون شركا أو وسيلة إليه، قال عبد الرحمن بن حسن في (فتح المجيد) «فالتبرك بقبور الصالحين - كاللات - وبالأشجار والأحجار - كالعزى ومناة من فعل جملة أولئك المشركين مع تلك الأوثان فمن فعل مثل ذلك أو اعتقد في قبر أو حجر أو شجر فقد ضاهي عبّاد هذه الأوثان فيما يفعلونه معها من هذا الشرك» وقال: «إن ما يفعله من يعتقد في الأشجار والقبور والأحجار من التبرك بها والعكوف عندها والذبح لها هو الشرك ولايغتر بالعوام والطغام»[3]. أقول: لم تشرع زيارة القبور إلا للاعتبار والاتعاظ وتذكر

---

(١) انظر الواسطة بين الحق والخلق لشيخ الإسلام ١٠ - ١٢، وصيانة الإنسان ١٧٧، ١٧٩، ١٨٢، ١٨٣، ١٨٤، ١٨٥، ١٨٦، وفتح المنان ٤٨٦ - ٤٨٧، ٥٠٢، ٥٠٤ - ٥٠٥، ٥٠٩ وغاية الأماني ١/٢٧٧، ٢/٩ - ١٠، ٣٩، ٣٥٣.

(٢) المدخل ١/٢٤٩.

(٣) (١/٢٥٨).

الموت والبلى والزهد في الدنيا والرغبة في الآخرة والدعاء للميت والاستغفار له.

والثانية: الاستدلال على هذه الطامة التبركية البدعية الشركية - بالإِجماع.

مع أن الإجماع الذي ذكر - هو إجماع أهل البدع الذين تسربت القبورية منهم إلى عوام المسلمين قال العلاّمة عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ: «فليس إجماع هؤلاء حجة وليسوا من أهل الإِجماع الذي يحتج به في الأحكام لمخالفتهم ماجاءت به الرسل من توحيد الله ومابُعث به خاتم النبيين محمد ﷺ من النهي عن الشرك.. وهذا الذي ذكره هذا العراقي من أن الاستشفاع بالأموات مجمع عليه ليس في شريعة أحد من الأنبياء جوازه، وأما شريعة النبي ﷺ ففي الكتاب وفي السنة من النهي عن ذلك وأنه هو الشرك الذي كان يفعله أهل الجاهلية ومن قبلهم من الأمم المكذبة للرسل.

ومما يدل على فساد هذا الإِجماع الذي حكاه، ما رواه الدارمي في مسنده: قال حدثنا سعيد بن منصور حدثنا أبو عوانة عن بيان هو ابن بشر الأحمسي عن قيس عن مرداس الأسلمي قال قال قال رسول الله ﷺ «يذهب الصالحون أسلافا ويبقى حثالة كحثالة الشعير»(١).

وقد أخبر العلماء - رحمهم الله تعالى - كالصرصري كما تقدم شعره وغيره من العلماء أن ذلك وقع في زمنهم وهم كانوا في القرن السادس قبله وبعده: إن الصالحين مضوا وذهبوا وبقيت الحثالة التي اشتدت بها غربة الإِسلام وعاد المعروف منكراً والمنكر معروفاً والسنة بدعة والبدعة سنة نشأ

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الرقاق باب ذهاب الصالحين ح(٦٤٣٤).

على هذا الصغير وهرم عليه الكبير وهؤلاء هم الذين ذكر العراقي إجماعهم وبهم اشتدت غربة الإِسلام» إلى أن قال: «وقد أخطأ في هذا الأمر أناس قبلهم لهم ذكاء ومصنفات ظهر فيها خطؤهم كالفخر الرازي وأبي معشر البلخي وابن الأخنائي وابن البكري والمفيد محمد بن النعمان ذكره شيخ الإِسلام وقبلهم الغزالي وغيره من أكثر المتكلمين كأبي بكر الباقلاني وإمام الحرمين وغيرهم من المتكلمين وقد اشتدت بهم غربة الإِسلام لإِعراضهم عن الوحيين كما لايخفى على من عرف أحوالهم وماذكروه في مصنفاتهم وخالفوا أهل السنة في توحيد الأسماء والصفات وأيضاً فإذا كان الخطأ في أمر التوحيد الذي بعث الله به رسله وأنزل به كتبه قد أخطأ في معرفته من هو أفضل من هؤلاء المتأخرين الذين هم حثالة الحثالة فكيف يحتج بهم؟ وقد قال ابن عباس: «كل يؤخذ من قوله ويترك إلا رسول الله ﷺ» وقال الأئمة كذلك فلا حجة في قول أحد ولا فعله ممن يجوز عليه الخطأ فكيف إذا تبين خطؤه ومخالفته للكتاب والسنة في هذا الأصل العظيم»[1].

فإجماع أمثال هؤلاء. مثل إجماع الفسقة والفجرة على الفسق والفجور فإذا كان في الدنيا إجماع فاسد باطل كاسد عاطل - فهو هذا الإِجماع.

فهنيئاً لابن الحاج وأمثاله أن يستدلوا لدعم خرافاتهم بإجماع دعاة القبورية؟!

الخرافة الحادية عشرة

قال صاحب المدخل نقلا عن ابن النعمان:

(١) كشف ما ألقاه إبليس ص ٣٤١، ٣٤٧، ٣٤٨.

(تحقق لذوي البصائر والاعتبار: أن زيارة قبور الصالحين محبوبة لأجل التبرك مع الاعتبار: فإن بركة الصالحين جارية بعد مماتهم، كما كانت في حياتهم.

والدعاء عند قبور الصالحين، والتشفع بهم - معمول به عند علمائنا المحققين من أئمة الدين»[1].

أقول: هذه الخرافة تتضمن ست طامات:

الأولى: نقله عن ابن النعمان الوثني:

وهو أبو عبدالله شمس الدين محمد بن محمد بن موسى المراكشي الهنتاني التلمساني الفاسي ثم المصري الصوفي أحد كبار دعاة عباد القبور القدامى (٣٨٣)[2].

الذي ألف كتابا سماه: «مصباح الظلام في المستغيثين بخير الأنام في اليقظة والمنام»[3].

وإذا عرفت أنه من دعاة القبورية فلا عبرة بكلامه.

ولايشرب من مستنقعاته إلا دعاة عبادة القبور[4].

وقد ذكر هذا البدعي في سبب تأليف كتابه هذا ما نصه: «إن كثيراً من أئمة الإسلام قد صنفوا في الاستغاثة بالله وحده فأردت أن أؤلف في الاستغاثة برسول الله ﷺ والالتجاء اليه».

---

(١) المدخل ١/٢٤٩.

(٢) ترجمته في النجوم الزاهرة ٧/٢٦٣، وكشف الظنون ٢/١٧٠٦، وايضاح المكنون ٢/٦٨٨، وهدية العارفين ٢/١٣٤، والأعلام ٧/١١٨، والمعجم ١٢/٦٨.

(٣) لم يطبع ومنه نسخة في شستر بيتي برقم ٣٦٧٧، كما في الأعلام للزركلي ٧/١١٧، ونسخة في دار الكتب المصرية، كما في مقالات الكوثري ٣٩٧.

(٤) انظر المدخل لابن الحاج ١/٢٤٩، والمواهب اللدنية للقسطلاني ٤/٥٩٣، والجوهر للهيتمي وشرح المواهب للزرقاني ٨/٣١٧، وصلح الأخوان ٩١ ومقالات الكوثري ٣٩٧، والأنوار للنبهاني ٦٠٥، والبراهين للقضاعي ٤٢٠.

فصنف كتابه «مصباح الظلام في المستغيثين بخير الأنام في اليقطة والمنام»[1].

انظر أيها الموحد إلى هذا المفرط في الدعوة إلى القبورية!!

كيف يعارض أئمة الإِسلام؟

فهم يؤلفون كتبهم في الاستغاثة بالله تعالى والالتجاء إليه؛ ولكن هذا المبتدع «ابن النعمان» - يؤلف كتابه في الاستغاثة بغير الله فالإِناء الفاسد لاينضح إلا بالفاسد؛ بدليل ما قيل:

فحسبكم هذا التفاوت بيننا

وكل إناء بالذي فيه ينضح

ولقد وصل هذا المبتدع إلى حد:

أنه قد حج إلى قبر النبي ﷺ وكان هذا منتهى قصده؛ ولم يحج إلى بيت الله تعالى.

ومع هذا الغلو والمروق ترى أحد الغلاة وهو البكري الشافعي[2] عد هذا المروق من حسنات ابن النعمان ومناقبه[3].

---

(١) انظر كشف الظنون ٢/١٧٠٦ - ١٧٠٧.

(٢) هو نور الدين أبو الحسن علي بن يعقوب بن جبريل القاهري الشافعي أحد دعاة عبادة القبور، وكان من ألد الأعداء لشيخ الإِسلام ألف شيخ الإِسلام في كشف هفواته كتاب الرد على البكري طبع المختصر بعنوان مختصر كتاب الاستغاثة قال الحافظ ابن كثير (٧٧٤)هـ رحمه الله تعالى: (كان البكري في جملة من ينكر على شيخ الإِسلام ابن تيمية، وما مثاله إلا مثال ساقية ضعيفة كدرة لاطمت بحراً عظيماً صافياً.

أو رملة أرادت زوال جبل.

وقد أضحك العقلاء عليه. انظر البداية والنهاية ١٤/١٨٨، وانظر ترجمته في الدرر الكامنة ٣/ ٢١٤ - ٢١٥.

(٣) انظر الرد على البكري ٢٩٤.

تنبيه: هناك ابن النعمان آخر غير هذا المبتدع وهو أبو عبدالله محمد بن محمد بن النعمان البغدادي أحد كبار أئمة الرافضة المعروف بابن المعلم والملقب بالمفيد(٤١٣هـ)[١].

ومن وثنياته السافرة ومروقه من الدين - دين التوحيد - كتابه: «مناسك حج المشاهد». صرح به شيخ الإسلام رحمه الله تعالى[٢].

فهؤلاء المبتدعة هم المصادر لأمثال ابن الحاج وغيره من دعاة القبورية!

الطامة الثانية:

جعله زيارة القبور محبوبة للتبرك؛ وهذه بدعة محضة وسبيل إلى الشرك كما سبق بيانه.

الطامة الثالثة:

زعمه: أن بركة الصالحين بعد موتهم كما كانت في حياتهم، وهذا لون آخر من الخرافة؛ فإن التبرك لايجوز بالحي فكيف بالميت؟ لأن التبرك لم يشرع إلا فيما ورد به النص.

الطامة الرابعة:

زعمه أن الدعاء عند قبور الصالحين معمول به عند العلماء أئمة الدين.

---

(١) ترجمته في تاريخ بغداد ٣/ ٢٣١، والمنتظم ١٥/ ١٥٧، ١/ ٢٤٦، والسير ١٧/ ٣٤٤، والميزان ٤/ ٢٦، ٣٠، واللسان ٥/ ٣٦٨، والنجوم الزاهرة ٤/ ٢٥٨، وأعيان الشيعة ٦/ ٢٠ - ٢٦، ١٠/ ١٣٣.

(٢) انظر الرد علي البكري ٢٩٤.

وهذا كذب محض؛ فإنه لم يرد في الشرع ولا عن السلف.

توخي القبور وزيارتها لأجل الدعاء عندها، أو دعاء أصحابها، وإنما شرعت الزيارة للاعتبار والاتعاظ، والاستغفار للميت.

الطامة الخامسة:

زعمه أن التشفع بأهل القبور معمول به عند العلماء أئمة هذا الدين؛ فإن هذا كذب مكشوف، وهو طريق إلى الشرك، ولم يرد ذلك عن أحد من أئمة هذا الدين؛ وإنما يفعله الدعاة إلى القبورية وهؤلاء ليسوا بأئمة هذا الدين دين التوحيد والسنة؛ وإنما هم أئمة دين البدعة والقبورية.

الطامة السادسة:

زعمه: أن زيارة القبور للتبرك والتشفع معمول بها عند العلماء المحققين أئمة هذا الدين، كأنه يزعم أن هذا إجماع شرعي صحيح، على أن هذا افتراء محض على سلف هذه الأمة وأئمة السنة وليس ذلك من دأب العلماء المحققين الذين عرفوا توحيد الأنبياء والمرسلين.

الذي أنزلت لتحقيقه الكتب السماوية، وأرسلت للدفاع عنه الرسل الإلهية؛ فإجماع الأنبياء والمرسلين والصحابة والتابعين بعدهم من أئمة هذا الدين.

على نقيض ما يقوله ابن الحاج وخلطاؤه فهذا النوع من الاجماع هو الاجماع الصحيح.

وأما ما ذكره ابن الحاج من ذلكم الإجماع - على جواز الشرك ووسائله - فهو إجماع باطل - لأنه إجماع أهل البدع، فمثل هذا الإجماع لايكون حجة

شرعية؛ وإنما هو حجة عند دعاة القبورية فهنيئاً لابن الحاج وغيره من أمثاله هذا النوع من الإِجماع.

الخرافة الثانية عشرة

نقله عن الغزالي (٥٠٥هـ) كلاماً في الدعوة إلى القبورية ما نصه: «وقد قال الإمام الجليل أبو حامد في كتاب آداب السفر في كتاب الإحياء له ما هذا نصه:

«القسم الثاني: وهو أن يسافر لأجل العبادة: إما بالجهاد أو حج».

إلى أن قال: «ويدخل في جملته زيارة قبور الأنبياء، وقبور الصحابة والتابعين وسائر العلماء والأولياء، وكل من يتبرك بمشاهدته في حياته يتبرك بزيارته بعد وفاته»[1].

أقول: هذا الكلام عليه مؤاخذات خمس:

المؤاخذة الأولى: أن الغزالي ليس بحجة في العقيدة؛ بل هو معطل، صوفي من دعاة القبورية، وذلك لوجوه.

الأول: أنه قد وصل به عقله إلى أنه كان يشك في المشاهدات المحسوسات والعقليات الأوليات حتى باعترافه وبيانه وشهادته على نفسه بقلمه وبنانه[2].

فهل يعتمد في باب العقيدة عليه؟.

(١) انظر المدخل ٢٤٩١ - ٢٥٠، وراجع إحياء علوم الدين للغزالي.
(٢) انظر المنقذ من الضلال ٧ - ١٠

الثاني: أنه قد اعترف أيضا أنه قد جرب طرق المتكلمين من الأشعرية وغيرهم والباطنية والفلاسفة وطلب منها الحق ولكنه لم يجد فيها الحق؛

إلى أن انتهى أمره إلى طريق الصوفية وأن الحق في المكاشفة والرياضة وأن هذه الطريقة هي الموصلة إلى الحق[١].

فكيف يقبل قوله هذا في العقيدة؟

الثالث: أنه قد صرح بأن اعتقاد العوام كالطواد الشامخ في الثبات لا تحركه الدواهي والصواعق، وأما عقيدة المتكلم فكخيط مرسل في الهواء كهيئة الرياح مرة هكذا ومرة هكذا[٢].

فكيف يقبل قول من عقيدته كخيط مرسل في الهواء؟

الرابع: أنه قال: إن أكثر الناس شكا عند الموت أهل الكلام[٣] ومعلوم أن الخرافات القبورية مأخوذة من أهل الكلام.

الخامس: أن الغزالي قد انتهى به التعطيل إلى حد أنه قد نزه الله تعالى عن صفة الوحدانية[٤].

الخامس: أن من طامات الغزالي، أنه تابع أمثال ابن سينا من الملاحدة والزنادقة في زعمهم:

أن الكتب السماوية والرسل جاءت بإثبات العلو لله تعالى استدراجا

---

(١) المنقذ في الضلال ١٢ - ١٦، ٢٤، ٤٤، وقواعد العقائد ٧٦، ١٠١، وإحياء العلوم ١/ ٩٤، ٩٧.

(٢) انظر قواعد العقائد ٧٨، وإحياء علوم الدين ١/ ٩٤، وانظر شرح الإحياء للزبيدي ٢/ ٤٥.

(٣) انظر نقض المنطق ٢٥، ومجموع الفتاوي ٤/ ٢٨ عن الغزالي.

(٤) انظر مشكاة الأنوار ٩١ - ٩٢، وانظر مقدمة الدكتور أبي العلا عفيفي لمشكاة الأنوار ٢٨.

للعوام وجلبا لهم إلى الإسلام، لا أن عقيدة إثبات العلو لله - هي العقيدة الصحيحة[1].

فقد زعم أن الرسل قد كذبوا وأن الكتب السماوية جاءت بالكذب والتزوير لمصلحة الدعوة؟!

فهل يعتمد على مثله في باب العقيدة؟!

السابع: أن الغزالي له خرافات صوفية غريبة على البيئة الإسلامية[2].

فهل يصلح أن يؤخذ عنه العقيدة!

الثامن: أن الغزالي قد وصل في صوفيته إلى أن يصرح بالاتحاد الصريح والإلحاد القبيح[3].

المؤاخذة الثانية: أن نقله من كتاب إحياء علوم الدين للغزالي في باب العقيدة.

دليل على فساد عقيدة ابن الحاج؛ فإن العقيدة لا تتلقى من مثل كتاب إحياء العلوم فإن هذا الكتاب مليء بالعقائد المبتدعة.

وللإمام الطرطوشي كلام مهم حول كتاب «الإحياء للغزالي؛ حقق فيه أن الانتفاع بسمومه القاتلة ونصرة الإسلام بالآراء المنطقية - كمن يغسل الماء بالبول[4].

---

(١) انظر إلجام العوام ١٠٢ - ١٤، والميزان ١٧٣.

(٢) راجع كتاب «أبو حامد الغزالي والتصوف» لعبدالرحمن دمشقية.

(٣) انظر معارج القدس ٢١٧، ٢٢٨، و٢٢.

(٤) انظر المعيار المعرب للونشريسي ١٢/١٨٦ - ١٨٧.

ولشيخ الإسلام كلام على إحياء الغزالي حقق فيه: أن مثال سمومه للمسلمين بمنزلة من أخذ عدوا للمسلمين وألبسه ثياب المسلمين[1].

المؤاخذة الثالثة: أن قياس السفر إلى زيارة القبور على السفر إلى الجهاد والحج - من أبطل الأقيسة وأفسدها؛ لأن هذا القياس في معرض النص؛ وقياس مع الفارق والنص ينهى نهيا باتا عن السفر إلى القبور وهو حديث شد الرحال.

وأما السفر إلى الجهاد والحج - فثابت بالأدلة القرآنية والسنة النبوية، ولا يوجد دليل ولا شبه دليل على جواز السفر إلى القبور والحج إليها.

بل هذا من دين المشركين الذي دان به الروافض ثم سائر أهل البدع من أهل المذاهب.

المؤاخذة الرابعة:

أن كُلِيَّة الإمام الغزالي: «كل من يتبرك به في حياته يتبرك به بعد مماته» - كلية فاسدة باطلة منقوضة.

بدليل أن النبي ﷺ كان يتبرك به في حياته ولكن الصحابة رضي الله عنهم لم يتبركوا بقبره، وكانوا يتوسلون بدعائه في حياته - ولكنهم لم يتوسلوا به ﷺ ولا بدعائه ولا بشفاعته بعد موته.

ولم يأت أحد منهم إلى النبي ﷺ بعد موته ليطلب منه الدعاء أو الشفاعة في كربة تنزلت به أو بلية طرأت عليه.

بل الصواب أن التبرك لا يجوز إلا بشيء ثبت بالكتاب والسنة وإلا فلا.

---

(١) الفتاوي الكبرى ٢/ ١٩٤ط. ومجموع الفتاوي ١٠/ ٥٥١ - ٥٥٢.

المؤاخذة الخامسة:

إن قياس الميت على الحي، وقياس الممات على الحياة، وقياس أحوال البرزخ على أحوال الدنيا من أوضح الأقيسة فسادا وبطلانا؛ لأن هذا من قبيل الجمع بين المتخالفين، ومن قبيل قياس الضد على الضد، كقياس الضلالة على الهداية وقياس الظلمة على النور وقياس السفل على العلو وقياس العدم على الوجود وقياس البرد على الحر والعطش على الري والجوع على الشبع وغيرها من الأمور المتضادة التي لا تجتمع أبداً.

الخرافة الثالثة عشرة

زعمه: أن زيارة النبي ﷺ واجبة وجوب السنن المؤكدة.

وقوله «إنها قربة مطلوبة لنفسها» لا تعلق لها بغيرها؛ فتفرد بالقصد وشد الرحال إليها؛ ومن خرج قاصد إليها دون غيرها - فهو في أجل الطاعات وأعلاها؛ فهنيئاً له ثم هنيئاً له؛ اللهم لا تحرمنا من ذلك بمنك يا كريم»[1].

أقول: هذا باطل من وجوه:

الأول: أن شد الرحال إلى القبور ليس من الواجبات ولا من السنن؛ بل ولا من المباحات؛ بل هو من البدع في الدين.

قال البركوي الحنفي «السفر إلى زيارة قبور الأنبياء بدعة لم يفعلها أحد من الصحابة والتابعين ولا أمر بها رسول رب العالمين ولا استحبها أحد من

---

(١) المدخل ١/ ٢٥٠.

أئمة المسلمين فمن اعتقد ذلك قربة وطاعة فقد خالف السنة والإجماع ولو سافر إليها بذلك الاعتقاد يحرم بإجماع المسلمين فصار التحريم من جهة اتخاذه قربة ومعلوم أن أحدا لا يسافر إليها إلا لذلك)[1].

إذا كان هكذا، فكيف تفرد زيارة قبر النبي بالقصد وشد الرحال إليها؟!

الوجه الثاني: أن قوله: «إنها مطلوبة لنفسها لا تعلق لها بغيرها فتفرد بشد الرحال إليها، ومن خرج قاصداً إليها دون غيرها - فهو في أجل الطاعات وأعلاها..».

قلب لشرع الإسلام؛ لأن شرع الإسلام رخص أن يشد الرحال إلى مسجد النبي ﷺ أصلاً؛ وإذا وصل الزائر إلى المسجد يجوز له أن يزور قبر النبي ﷺ؛ فيكون شد الرحال إلى المسجد هو الأصل الأصيل فقط. وزيارة القبر الشريف تكون تابعة لهذا الأصل فجاء هؤلاء المحرفون فقلبوا الأمر فجعلوا الزيارة هي الأصل وجعلوا المسجد تابعا لها.

الوجه الثالث: أن قوله: «إنها قربة مطلوبة لنفسها...».

وقوله: «ومن خرج قاصداً إليها دون غيرها فهو في أجل الطاعات..» يستلزم أن يشد الرجل رحاله إلى زيارة قبره ﷺ فحسب؛ دون مسجده ﷺ، ويستلزم كون من نوى زيارة القبر دون المسجد - أفضل ممن نوى زيارة المسجد، ويستلزم؛ أن من نوى زيارة المسجد - فهو ليس في الطاعة أصلاً فضلاً عن أن يكون من أجلها وأعلاها وهذا كله تحريف للدين، وتحريف في الدين، دين الإسلام دين التوحيد، لأن هذا من دين دعاة القبورية.

---

(١) زيارة القبور الشركية والشرعية ص ٢٢.

الوجه الرابع: أن نقول إذا ثبت أن شد الرحال لا يجوز للقبور؛ ولا يجوز إلا إلى هذه المساجد الثلاثة؛ علم أن شد الرحال إلى قبر النبي ﷺ دون مسجده ليس من الطاعات فضلاً عن أن يكون من أجلها وأعلاها فهنيئاً لدعاة القبورية تلك البدع ثم هنيئاً لهم؛ وهنيئاً لأهل التوحيد والسنة التمسك بالنهي ثم هنيئاً لهم اللهم لا تحرمنا من ذلك بمنك يا كريم.

الخرافة الرابعة عشر

قال صاحب كتاب المدخل: «فيأتي إليهم الزائر ويتعين عليه قصدهم من الأماكن البعيدة...»[1].

أقول: قد سبق غير مرة بيان أنه لا يجوز شد الرحال إلى القبور وأن هذا ليس من الطاعات.

قال شيخ الإسلام «ولم يثبت عن النبي ﷺ حديث واحد في زيارة قبر مخصوص ولا روى في ذلك لأهل الصحيح ولا السنن والأئمة المصنفين في المسند وإنما روى ذلك من جمع الموضوع وغيره وأجل حديث روي في ذلك ما رواه الدارقطني وهو ضعيف باتفاق أهل العلم - بل الأحاديث المروية في زيارة قبره كقوله «من زارني وزار أبي الخليل في عام واحد ضمنت له على الله الجنة».

«ومن زارني بعد مماتي فكأنما زارني في حياتي» «ومن حج ولم يزرني فقد جفاني» ونحو هذه الأحاديث كلها مكذوبة موضوعة ولكن النبي ﷺ رخص في زيادة القبور مطلقاً بعد أن كان قد نهى عنها»[2] من البدع القبورية الموصلة إلى أنواع من الشرك فكيف يتعين على المكلف قصد زيارة قبورهم من الأماكن البعيدة؟ ما هذه إلا خرافة قبورية؟!

---

(١) المدخل ١/٢٥١.

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم ص ٧٦٣.

الخرافة الخامسة عشرة

قال صاحب المدخل: «فإذا جاء إليهم فيتصف بالذل والانكسار والمسكنة والفقر والفاقة والحاجة والاضطرار والخضوع ويحضر قلبه وخاطره إليهم وإلى مشاهدتهم...»[1].

أقول: انظر أيها المسلم إلى قول المصنف كيف يظهر البدع فإن هذه الحالة من أحوال العباد التي تكون عند عبادتهم لرب العباد؛ وقد كان الصحابة رضي الله عنهم يحضرون مجلس النبي ﷺ ولم تكن هذه الصفات صفات لهم عند رسول الله ﷺ غير السكوت والصموت والاستماع لحديثه ﷺ وحبه ﷺ والسعي في اتباع سنته ﷺ.

الخرافة السادسة عشر

قال صاحب المدخل: «ثم يتوسل إلى الله تعالى إليهم في قضاء مآربه ومغفرة ذنوبه...»[2].

أقول: هذه خرافة أخرى وبدعة قبيحة وهي وسيلة إلى الشرك الأكبر.

ولم يثبت عن الصدر الأول التوسل بذوات الخلق لا الأنبياء ولا غيرهم.

نعم قد ثبت التوسل بأسماء الله تعالى وصفاته والأعمال الصالحة ودعاء الحي الحاضر، وبينهما بون بعيد وفرق شاسع؛ ولا يجوز الاستدلال بالحق على الباطل فإن هذا من باب كلمة حق أريد بها الباطل.

---

(١) المدخل ١/ ٢٥١ - ٢٥٢.

(٢) المدخل ١/ ٢٥٢.

الخرافة السابعة عشرة

قول صاحب المدخل: «ويستغيث بهم ويطلب حوائجه منهم ويجزم بالإجابة ببركتهم. . .»[1].

أقول: الآن تأكد أن ابن الحاج من أعظم دعاة القبورية بل إنه من أكبر دعاة الوثنية.

فإن الاستغاثة بالأحياء الغائبين أو الأموات، بل بالأحياء الحاضرين فيما لا يقدر عليه إلا الله - الشرك الأكبر والكفر الأصرح الأشد.

قال شيخ الإسلام «فمن جعل الملائكة والأنبياء وسائط يدعوهم ويتوكل عليهم ويسألهم جلب المنافع ودفع المضار فهو كافر بإجماع المسلمين»[2].

وهذا هو بعينه شرك الوثنية الأولى، وقد أرسل الرسل وأنزلت الكتب لقمع هذا الشرك لأنه يضاد التوحيد الذي يبنى على عبادة الله وحده لا شريك له.

الخرافة الثامنة عشرة

قول صاحب المدخل: «ويقوى حسن ظنه في ذلك، فإنهم باب الله المفتوح»[3].

أقول: هذه خرافة أخرى، شبيهة ببدع الرافضة فإنهم يزعمون أن

---

(١) المدخل ١/ ٢٥٢.

(٢) مجموع الفتاوى (١/ ١٢٤).

(٣) المدخل ١/ ٢٥٢.

الإمام هو الباب إلى الله في قضاء الحوائج فلهم باب، والباب، اتخذوه إلها يعبدونه من دون الله.

وأما الرسل عليهم السلام - فالثابت بالاضطرار من دين الإسلام أنهم سفراء لله تعالى لإرشاد عباده وهدايتهم.

فإن قصد دعاة القبورية أن الرسل باب وواسطة بين العباد وبين الله تعالى للهداية والإرشاد.

فهذا معنى صحيح، ولكن دعاة القبورية لا يقصدون هذا المعنى الصحيح ههنا، ولكنهم يقصدون أنهم باب وواسطة بين الله وبين العباد للاستغاثة بهم ودفع المضرات وجلب الخيرات، فهذا شرك صريح.

ولقد صرح بذلك جمع من الأئمة منهم شيخ الإسلام رحمه الله[1].

الخرافة التاسعة عشرة

قال صاحب المدخل: (وجرت سنته، سبحانه وتعالى في قضاء الحوائج على أيديهم وبسببهم)[2].

أقول: هذا تقوّل على الله تعالى وعلى رسله صلوات الله وسلامه عليهم، فالرسل لم يدعوا الناس إلى الاستغاثة بهم ولا قالوا للناس: إن سنة الله تعالى جرت في قضاء الحاجات بأيديهم وبسببهم، ونحن نتحدى دعاة

---

(١) انظر الواسطة بين الحق والخلق ١٠-١٣ط. مطابع القصيم، و٧-١٧ط. المكتب الإسلامي لشيخ الإسلام، وصيانة الإنسان ١٨٥-١٨٦ للسهواني، وفتح المنان ٤٨٦-٤٨٧، ٥٠٢، ٥٠٤-٥٠٥، ٥٠٩، وغاية الأماني ١/ ٢٧٧، ٢/ ٩-١٠، ٣٩، ٣٥٣، كلاهما للعلامة محمود شكري الألوسي.

(٢) المدخل ١/ ٢٥٢.

القبورية عامة أن يأتوا بنص واحد من الكتاب والسنة ينص على هذا، ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً.

الخرافة العشرون

قوله: «ومن عجز عن الوصول إليهم، فليرسل بالسلام عليهم، ويذكر ما يحتاج إليه من حوائجه ومغفرة ذنوبه وستر عيوبه إلى غير ذلك»[1].

أقول: لم يثبت في حديث مرفوع ولا أثر موقوف جواز إرسال السلام إلى الأموات من بعيد وإن ثبت زيارة القبور على وجه السنة ثم السلام على أهل القبور بالدعاء المأثور.

وأما ذكر الحوائج وطلب دفع الضر وجلب النفع عن الأموات سواء كانوا أنبياء أو أولياء فهو من الشرك الأكبر الذي أرسل الرسل لقمعه.

الخرافة الحادية والعشرون

قوله: (فإنهم السادة الكرام - والكرام لا يردون من سألهم ولا من توسل إليهم ولا من قصدهم، ولا من لجأ إليهم)[2].

أقول: بلغ المصنف النهاية في الدعوة إلى القبورية وتجرد في ذلك.

ولا شك في سيادة الرسل وكرم الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

ولكن أين في الكتاب والسنة جواز طلب النفع أو دفع الضر من

---

(١) المدخل ١/ ٢٥٢.

(٢) المدخل ١/ ٢٥٢.

الأنبياء والأولياء والأموات والالتجاء إليهم في ذلك، إنما هو شرك أكبر وقد أنزلت الكتب وأرسلت الرسل لقمعه وقمع أصحابه.

الخرافة الثانية والعشرون

قوله: «فصل: وأما في زيارة سيد الأولين والآخرين صلوات الله عليه وسلامه - فكل ما ذكر يزيد عليه أضعافه، أعني في الانكسار والذلة والمسكنة...»[1].

أقول: لا ريب أن نبينا ﷺ سيد الأولين والآخرين صلوات الله عليه وسلامه.

ولكن لا يجوز الانكسار والذل والمسكنة إلا لله عز وجل فإن ذلك من العبادة.

فقوله: «فكل ما ذكر يزيد عليه أضعافه».

دعوة إلى الغلو المنهي عنه وإنما يجوز للرجل السفر إلى مسجد النبي ﷺ فإذا وصل يجوز له زيارة قبره الشريف ﷺ على وجه السنة لا على البدع.

الخرافة الثالثة والعشرون

قوله: «لأنه الشافع المشفع الذي لا ترد شفاعته ولا يخيب من قصده ولا من نزل بساحته، ولا من استعان به أو استغاث به»[2].

أقول: كونه ﷺ الشافع المشفع في حياته ويوم القيامة حق لا ريب فيه.

---

(١) المدخل ١/٢٥٢.

(٢) المدخل ١/٢٥٢.

وأما في البرزخ - فهذه عقيدة خرافية.

لأنه لم يثبت في الكتاب والسنة أن النبي ﷺ يشفع للسائلين في البرزخ.

فالاستغاثة به ﷺ والاستعانة به ﷺ وهو في البرزخ.

نوع من الشرك الأكبر الذي جاء لقمعه نبينا ﷺ وغيره من الرسل صلوات الله وسلامه عليهم.

الخرافة الرابعة والعشرون

قوله: «إذ إنه عليه الصلاة والسلام قطب دائرة الكمال وعروس المملكة، قال الله تعالى في كتابه العزيز: ﴿لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ ﴿١٨﴾﴾[1].

قال علماؤنا رحمة الله عليهم: رأى صورته عليه الصلاة والسلام فإذا هو عروس المملكة»[2].

أقول: جعله ﷺ قطب دائرة الكمال غلو وإطراء وأمر لم يثبت فيه نص من الكتاب والسنة.

وأما جعله عروس المملكة ففيه توهين لجناب رسول الله ﷺ فدعاة القبورية أرادوا تعظيم رسول الله ﷺ فإذا هم وقعوا في توهينه ﷺ.

وأما تفسير قوله تعالى: ﴿لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ﴾ بأنه عروس المملكة.

فهو تحريف قرمطي وخرافة قبورية، وأسطورة صوفية.

---

(١) سورة النجم: الآية (١٨).

(٢) المدخل ١/ ٢٥٢.

وأما قوله: قال علماؤنا:

فالجواب: أن نقول: من هؤلاء العلماء الذين قالوا هذا، فإن السلف لم يقولوا بهذه الخرافة وإنما هو قول أمثال ابن الحاج من دعاة القبورية فلا يقبل قولهم في تفسير الكتاب والسنة لأنه تحريف محض وتخريف بحت.

الخرافة الخامسة والعشرون

قوله: (فمن توسل، أو استغاث به أو طلب حوائجه منه - فلا يرد ولا يخيب)[1].

أقول: هذه دعوة سافرة إلى الوثنية.

فإن الاستغاثة به ﷺ بعد موته، وطلب الحوائج منه شرك أكبر.

وقد جاء هو ﷺ وغيره من الرسل ﷺ وأنزلت الكتب لقمعه وقطع دابر أهله، وبهذا تبين أن المصنف من الدعاة إلى الشرك (والله المستعان).

الخرافة السادسة والعشرون

قوله: (إذا لا فرق بين موته وحياته، أعني في مشاهدته لأمته ومعرفته بأحوالهم ونياتهم وعزائمهم وخواطرهم، وذلك عنده جليّ لا خفاء فيه)[2].

أقول: تدبر أيها المسلم إلى هذا الكلام الفاسد.

كيف وصف النبي ﷺ عبدالله ورسوله - بصفات الخالق علام الغيوب الذي يعلم السر وأخفى، والذي يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور والذي هو عليم بذات الصدور.

والنبي ﷺ لم يكن يعلم الغيب ولم يكن يعلم أحوال الناس نياتهم وعزائمهم وخواطرهم حينما كان حياً فكيف بعد الموت؟!

---

(١) المدخل ١/٢٥٢.

(٢) المدخل ١/٢٥٢.

فقد كان النبي ﷺ لا يعلم حقيقة قصة الإفك، ولا قصة التأبير، ولا قصة فقدان العقد، ولا قصة مسجد الضرار.

بل هناك آلاف من الحوادث والوقائع ولم يكن للنبي ﷺ أي علم بها في حياته ﷺ.

فكيف بعد موته ﷺ.

ولذا قال جمع من الفقهاء:

من قال: إن رسول الله ﷺ والملك يعلمان الغيب فقد كفر.

لأنه ﷺ لم يكن يعلم الغيب حينما كان من الأحياء فكيف بعد الموت[1].

وتبين من هذا أن قياس الموت على الحياة من أبطل الأقيسة فلو كان في الدنيا قياس واحد باطل فهو هذا، نعوذ بالله من خرافات المخرفين.

وفي الأخير أقول: إن المصنف قد ناقض نفسه بنفسه حيث قال بعد هذا بقليل:

«فترى من لا علم عنده يطوف بالقبر الشريف، كما يطوف بالكعبة الحرام، ويتمسح به ويقبله، ويلفون عليه مناديلهم وثيابهم.

يقصدون به التبرك. وذلك كله من البدع.

لأن التبرك إنما يكون بالاتباع له عليه الصلاة والسلام.

وما كان سبب عبادة الجاهلية للأصنام إلا من هذا الباب..»[2].

أقول: إن المصنف نقض جميع خرافاته..

بهذا النص المهم المبارك القاطع لدابر دعاة القبورية.

ولعل هذا النص يعد ناسخا لما ذكره من الخرافات قبل ذلك والله أعلم وعلمه أكمل وأتم.

---

(١) الفتاوى الهندية ٢/ ٢٢٦ والبحر الرائق ٣/ ٨٨، ٥/ ١٢٠، خلاصة الفتاوى ٤/ ٣٨٥، والدر المختار ٣/ ٢٩.

(٢) المدخل ١/ ٢٥٢.

الخاتمة

هكذا يرى القارئ أننا لم نبالغ حين وصفنا هذه الأخطاء الفاحشة بالخرافات، وقصدنا - والحمد لله - تحذير المسلمين، من هذه الأخطاء والخرافات حتى يكونوا من دينهم على بصيرة، ونسأل الله القبول، فله الحمد كما نقول وخيراً مما نقول، له الحمد في الأولى والآخرة.

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وكتبه

د. محمد عبد الرحمن الخميس

فهرست الموضوعات

طبع على مطابع مؤسسة الرسالة

تلفاكس: ٨١٥١١٢ - ٣١٩٠٣٩ - ٦٠٣٢٤٣

بيروت - لبنان